مصطفى أمين

سنة ثانية سجن



إهـــــــداء2005

الأستاذ الدكتور/ أحمد حمدي محمود

القاهرة

الطبعة الأولى أكتوبر ١٩٧٥
الطبعه الثانية ديسمبر ١٩٧٥

الناشر : المكتب المصرى الحــديث للطبع والنشر
٧ شـارع نوبار ت ٢٦٦٠٠ : الاسـكندرية
٤ شارع شريف ت ٥٣١٢٧ القـــاهرة

مصطفى أمين

سنة ثانية سجن

هذه الرسائل الملقية بالأغلال

هـــذه سنة ثانيـــة سجن !

انها مجموعة من الرسائل كتبتها فى الزنزانة فى السنة الثانيـــة من سجنى . رسائل مهربة ، غافلت قبضة السجان وهربت من جو الزنزانة الخانق الى الهواء الطلق ، خدعت الحراس ، واقتحمت الأسوار ، وضللت الاجهزة التى كانت تراقب المسجونين السياسيين بالليـــل والنهـــار .

الرسائل مذعورة تتلفت حولهـــا فى رعب . الكلمات ثقيـــلة تجر وراءها السلاسل . المعـــانى مسجونة فى حروف . الهول الاكبر أن تحاول وأنت مسجون ان تكتب كلمة حرة ! الأغلال التى فى يديـــك تمنع الكتابة . القضبان امام عينيك تمنع الرؤية . الباب الحـــديدى الذى يقف بينـــك وبين الحياة يمنع التفكير . عالم الممنوع لا يبيح اى شيء . القلم ممنوع . الورق ممنوع . الحبر ممنوع . الاحتجاج ممنـــــــوع ..

المسجون السياسى أســـير فى حرب لم يدخلها . لا يعرف لمـــاذا جاء الى الأسر ، ولا يعرف متى يخرج من الأسر . لا يستطيع ان يشـــكو الظلم لأن الظالم هو الحاكم . ولا يستطيع أن يســـتنجد بالعدالة لأنها مسجونة فى زنزانة مجاورة . ولا يستطيع أن يستصرخ القانون لأنه مشنوق تحته فى غرفة الأعدام !

ومع ذلك استطاع المسجونون السياسيون أن يقـــاوموا القيود المفروضة . وأن يحفروا بابر صغيرة فى الصخر الأصم ثقوبا يدخـــل منهـــا الهواء والنور والحرية ! وتخرج من هـــذه الثقوب صرخات المظلومين وانين المصلوبين ودعوات المعذبين !

كانت التعليمـــات مشـــددة بالا يكون فى زنزانتى قلم ولا ورق ولا حبر . .واذا كتبت فتكون الكتابة فى غرفة الضابط ، وفى حضوره،

والا يزيد ما اكتبــه على خطابين فى كل الشهر والا تزيد مســاحة الخطاب على نصف ورقة ..

ولم استطع ان اخضــع لهذا القرار الظالم . احنيت راسى ، ولعنتــه !

وبدانا نقاوم على طريقتنا ..

واخفيت القلم والورق عند مسجون غير سياسى فى زنزانة تبعد ١٣ زنزانة عن زنزانتى ..

وعند المغرب يتم اغلاق الطابق الرابع كله الذى كنت فيه ..

وتمتد يد محمد الى خارج القضبان تحمل الورق والقلم من نافذة الزنزانة رقم ١٤

وتمتد يد المسجون فى الزنزانة رقم ١٣ خارج القضبان ، وتلتقط الورق والقلم .. وتسلمهما الى المسجون فى زنزانة رقم ١٢ .

وهكذا ينتقل الورق والقلم من نافذة زنزانة الى نافذة زنزانــة اخرى حتى يصلا الى الزنزانة رقم واحد التى كنت فيها ..

وابدا فى الكتابة ..

حينا فى ضوء كهرباء خافت ، واحيانا فى ضوء شمعة ..

وتستمر الكتابة الى ان تجىء حملة التفتيش ، وما يكاد يشــعر بها زميلنا الناضورجى فى الطابق الأول فى عنبر واحد حتى يصرخ « احمد عبد الرحمن » !

وهى كلمة سر معناها ان هناك حملة تفتيش ..

ويصرخ بها الناضورجى فى الطابق الثانى .. ثم الثالث .. واسرع فى زنزانتى أخرج ذراعى من بين قضبان النافذة ، بالقلم والورق ، فيلتقطهما زميلى المسجون فى الزنزانة رقم ٢ ، الى الزنزانة رقم ٣ ، الى ان يصلا الى محمد فى الزنزانة رقم ١٤ .

ويقتحم الضابط والحراس زنزانتى ، ويفتشون كل ركن فيهــا فلا يجدون شيئا ..

ويفتشون زنازين المسجونين السياسيين فلا يجدون شيئا !

ولا يخطر ببالهم ان يفتشوا الزنزانة رقم ١٤ لأن المسجون بها مسجون عادى .. ولا يقرأ ولا يكتب !!

وهكذا استطعت في خلال هذه السنوات التسع أن أكتب عشرة آلاف رسالة ، وست قصص ، وكتابين سياسيين ثم يبقى سؤال ..

كيف كانت هذه الرسائل تتسلل الى خارج السجن .. ؟

ان كل رسالة كانت تخرج من بوابة عليها حارس : وتمر في طريق طويل ملىء بكردونات التفتيش ..

ثم تنطلق من بوابة حديدية ضخمة وقف عليها عدد من الحراس يفتشون كل شيء !

ومع ذلك استطاعت عشرة آلاف رسالة ان تفتح الأسوار .. وكان فريق من أصدقائي يتولى عملية التهريب ، فتصل الرسائل أولا الى سعيد فريحة في بيروت ثم الى علي أمين في لندن ..

وقد كانت سيدة مصرية هي التي تتزعم هذا الفريق من الأصدقاء الذي كان يقوم بهذه المهمة الخطرة ، التي كانت تعرض القائمين بها للسجن أو الاعتقال والوضع تحت الحراسة ..

ولا أستطيع ان اذكر في الوقت الحاضر للأسف أسماء هؤلاء الأبطال الذين عاونوني ..

فقد ادخل السجن مرة ثانية !

مصطفى امين

رسالة من كمال الدين حسين الى جمال عبد الناصر

سجن الاستئناف ..

عزيزتى

تلقيت من بعض تلاميذى وأنا فى سجن الاستئناف أن كمال الدين حسين عضو مجلس الثورة ثائر وغاضب على جرائم التعذيب التى ارتكبت ضد المسجونين السياسيين .. وانه لم يصدق فى أول الأمر ما سمعه ، وعندما تأكد من حوادث التعذيب كتب الخطاب التالى الى الرئيس جمال عبد الناصر ..

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

من كمال الدين حسين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

لا خير فى اذا لم أقلها لك .

اتق الله .

ومن يتق الله يجعل له مخرجا « قرآن كريم » .

ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا « قرآن كريم » .

ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا « قرآن كريم » .

اتـــق الله .

قالها الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم .

« يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين » .

اتق الله . ولا تكن ممن قال فيهم الله سبحانه وتعـــالى .. « واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم ، فحسبه جهنم » .

انق الله . امر الله بها الرسول والمؤمنين .

وامر بها الرسول اصحابه والمؤمنين .

وقالها الخلفاء والائمة لبعضهم ، ولولاتهم ، وللمسلمين .

وقالها المسلمون للخلفاء ، والائمة ، والولاة ، ولبعضهم بعضا .

قالها تلك الامة التى اعزها الله بقوله :

« كنتم خير امة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

صدق الله العظيم .

والسلام على من اتبع الهدى .

كمال الدين حسين

١٢ اكتوبر سنة ١٩٦٥

وقد تلقيت صورة فوتوغرافية من الخطاب بخط كمال الدين حسين .

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

من كمال الدين حسين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد

لا خير فيَّ إذا لم أقلها ... الخ

- اتقوا الله:

"ومن يتق الله يجعل له مخرجا" قرآن كريم

"ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا" " "

"ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا" " "

- اتق الله

قال الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم

" يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين "

رحمة الله: ولكن من قد نسي الله سبحانه وتعالى .

"وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم"

طاعة الله: أمر الله بها الرسول والمؤمنين

وأمر بها الرسول أصحابه والمؤمنين

وقالها الخلفاء والأئمة لمبايعيهم ولرعاياهم والسامعين .

وقالها المسلمون للخلفاء والأئمة والولاة ولبعضهم لبعض

فالتقوى صفة الأمة التي أخرجها الله بقوله

"كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" صدق الله العظيم

والسلام على من اتبع الهدى ؟ كمال الدين حسين

٦٥/٨/١٢

رسالة من كمال الدين حسين الى عبد الحكيم عامر

سجن الاستئناف ...

عزيزتي

ما كاد الرئيس يتلقى خطاب « اتق الله » من كمال الدين حسين ؟ الذى يحتج فيه على تعذيب المسجونين السياسيين ، حتى أحاط تلاميذ مدرسة التعذيب بالرئيس ، وأوغروا صدره على كمال الدين حسين ، فأمر في يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٦٥ باعتقاله فى استراحة بالهرم ، وذلك بعد يومين فقط من وصول رسالة « اتق الله » !

وكتب كمال الدين حسين فى معتقله رسالة الى المشير عبدالحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية والقائد العام .

وقد استطاع تلاميذى أن يهربوا لى داخل السجن نص هذه الرسالة الخطيرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

يا عبد الحكيم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

كلمة صريحة واخيرة ، لن تنزعج بعدها يا عبد الحكيم ، لم أجد بدا من ان اقولها لك بعد كل ما حدث ، وان كنت قد ترددت كثيرا في الكتابة لك ، فانني حين نويت ، لم اتردد قط في ان اكون صريحا .

اليوم يا عبد الحكيم أصبحت اعتقد انه لا حياة لي في بلدى ، الذى أصبحت أرى فيه جزاء الكلمة (اتق الله) هو انا ما فيه وما فيه اهـــلى .

عندما قلت لكم اتقوا الله ، قصدت ان تتقوا الله في هذا الشعب ، الذى تمنا سويا لخلاصه واسترداد حريته . قلت لكم (اتقوا الله) بعد ان الجمنم جميـــع الأفواه ، الا افواه المنافقين ، والمتزلفين ، والطبالين ، والزمارين . قلت لكم اتقوا الله في الحرية التى قضيتم على كل ما كان باقيا من آثارها ، وكنا نأمل أن تتفتح لها براعم نامية ، نطمئن — حين نقضى من هذه الدنيا — ان قد ادينا أمانتنا ، فنترك بعدنا هذه البراعم قد نضجت وأصبحت سوقا قوية قادرة على الصمود .

قلت لكم « اتقوا الله » لأنكم أردتم « استنعاج » هذا الشعب ، وانا لم ولن أرضى بذلك .

ولذلك اصبحت الآن لا أطيق الحياة في هذا الجو الخانق ، وارجو أن يتيسر لك معرفة درجة الاطمئنان في هذا الجو . اذا لم يتيسر لك ذلك فالمصيبة تكون اعظم . فإذا كانت قد بقيت لديكم بقية من أخوة كانت بيننا في يوم من الأيام . فانني لا اطلب سوى أن أخرج انا ومن يريد من اسرتى ، التى نالها أيضا نصيب وافر من اجراءات . أخرج لأبقى الى جوار رسول الله حيث أقضى ما بقى من حياتى ، مستخلصا روحى لنفسى ودين الله .

فاليوم يمكنني أن أرى صورة المستقبل لهذا الوطن ، بعد ما كان جزائي — وأنا الشهيد — على كلمة الحق (اتق الله) ما أنا فيه .

وانت تعلم يا عبد الحكيم انكم لن يمكنكم ان تكبلوا روحي وان اعتقدتم انكم كبلتم جسمي .

.وانت تعلم يا عبد الحكيم انكم لا تملكون اى حق شرعي فيما تمتم به نحوى ، الا حق الديكتاتورية والطغيان . اذا جاز أن يكون لهما حق .

وانت تعلم يا عبد الحكيم انه اذا لم تتقيدوا بشرع تجاهي ، فالناس يعلمون (ومن زمن) انكم غير مقيدين بشرع تجاههم . وهم اذا لم يكونوا قد فهموا معنى القانون ١١٩ لسنة ١٩٦٤ فانهم سوف يعرفون معناه جيدا الآن .

انني آسف أن تتحول ثورة الحرية الى ثورة ارهاب ، يعلم فيها كل انسان مصيره لو قال كلمة حرة ، يرضى بها ربه وضميره ووطنه .

واذا قيل لى وللناس أن هناك مفهوما آخر للحرية فهذا هو التضليل وحكم الهوى ، الذى يضل به الشيطان أولياءه ، لينسوا قانون الله وشرع الله ، شرع الاسلام الذي جاء ليخلص الناس من عبادة العباد الى عبادة رب العباد . حرية يتساوى فيها أبناء آدم جميعا أمام الله ، أمام الشرع أمام الحكم الالهى ، الذى لا يقبل التأويل واللف والدوران .

يا عبد الحكيم ! مهما كانت التعابير الجديدة والشعارات ، فالحرية هى الحرية ، التي عبر عنها عمر حين قال « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » وحين قيل له (اتق الله) قال .. « لا خير فيهم اذا لم يقولوها ، ولا خير فينا اذا لم نسمعها » .. وانت تعلم يا عبد الحكيم انني لن استعطف أحدا ، ولن يؤدبني احدا ، والحق معى ، ولقد جابهتكم جميعا بذلك فى مناسبة سابقة . لانى لا اخاف الا الله .

وانا حين اكتب اليك الآن فانني لا اطلب شيئا غير الرحيل عن هذه الارض التى يئست ان تقال فيها كلمة حق ، فضلا عن ان يقام فيها ميزان عدل — وان ابيتم على ذلك فان وليى الله ، عليه أتوكل ، واليه انيب ، وانا لله وانا اليه راجعون .

يا عبد الحكيم ! ان اجراءاتكم هذه التى اصابتنى ، وان كنت قد تحملتها فى صبر ، فان الصدع الذى اصاب مشاعرى تجاه من امر بها ، صدع يصعب رتقه ، وبقائى هنا متعبة لى ولكم .

وانت تعلم يا عبد الحكيم حينما جئتنى فى مارس عام ١٩٦٥ وقلت لك : اننى مستعد للاعتقال ، والقتل ، واى شىء آخر .

قلت لى عن نفسك « اعتقال ايه يا شيخ ، والله انا اللى ييجى يعتقلنى انا اضربه بالرصاص » .

انا فكرت فى هذا ، ولكنى لم استصوبه ، لأن هذا ينافى ايمانى .

وجاء يحدثنى هلال كرجل ، وعلى لسان رجل او رجال ، ومع ذلك كانت النتيجة أن فتشوا منزلى ، وحجرة مكتبى ورقة ورقة ، وحجره نومى ، وعائلتى ، وحتى ملابسى ، ومتعلقات السيدات .

واعتقلوا اهلى ، وضيوفى الذين تصادف وجودهم فى منزلى حينئذ ، وانا لا اعرف مصيرهم حتى الآن تماما ، كى لا يعلم أحد من افراد الشعب سببب أو مكان ، ولا مصير اى شخص يعتقل منهم ، واذا مات أحدهم (لأى سبب !!!) يكتفى بأن يخطر أهله انه قد هرب او انه قد دفن فى مكان كذا تحت رقم كذا ، مجرد رقم . كان انسانا حيا وأصبح مدفونا !

يا عبد الحكيم ! ان ما قمتم به ضدى جريمة ، تماما مثل الجرائم الكثيرة التى ارتكبت تجاه آلاف المواطنين (طبعــا مع تغيير فى الشكل) . كانت الرجولة يا عبد الحكيم تقتضى أن يواجهنى واحد منكم (واحد منا) لأعلم منه ماذا جرى ، ولماذا انطبقت السماء على الأرض من كلمة حق تصيح فيكم (ان اتقوا الله) ؟

ولكن للأسف خانتكم شجاعتكم ، فابيتم هذه المواجهة ، واستخدمتم سلاحا لا يقنع عقلا حرا ، ولا يكبل ضميرا حيا ، ولايئد ايمانا وتقوى . ولكن يورث النفس مرارة وأسفا .

واذا لم يواجهني واحد منكم فلماذا لا أواجه بمحكمة عادلة علنية او شرعية . على الاقل لاعرف ما هي التهمة الموجهة لي ما دام قد اصبح امرا طبيعيا فى (زمن الحرية) أن يعتقل الناس ، وتصادر حرياتهم دون أن توجه لهم تهمة . انني اتحدى اى اتهام . واتحدى ان يواجهني أحد بأى اتهام يبرر ما حدث (طبعا أنا اخرج من حسابي عمليات التلفيق لأنني ما زلت انكر عليكم اللجوء مع مثلى لمثل ذلك) .

يا عبد الحكيم ! الم اقل لك فى مارس الماضى « ما هى ضمانات الحرية » ؟ فقلت « نحن ضمانات الحرية » !

وقلت لك : انني لا اثق فى ذلك .

وهذه الأيام تاتيني بالبرهان ، بأن للحرية ضمانات ، « وأنتم الضمانات » . . كل شيء جايز . . .

الم اقل لك يومئذ انه اذا لم يتنازل عن تألهه ، وفرديته ، فلا فائدة من العمل معه ؟

فهل يا ترى هذا الذى جرى لى لمواجهة الكلمة (اتق الله) هو دليل هذا التنازل ؟

كلمة صريحة اقولها لك يا عبد الحكيم ! انني أرثى لهذه الحال . ومع ذلك اتمنى أن يهديكم الله . .

لا تغضب انت الآخر يا عبد الحكيم . راجع نفسك . ولا يغلبك الهوى والغرض . راجع ضميرك قبل ثورة ٢٣ يوليو ، وعلى مدى سنتين من هذه الثورة ، ثم أنظر أين ينتهى بكم الطـريق ، طريق الحرية . . اقدس ما منح الله للانسان !!

يجب أن تعلم يا عبد الحكيم رأى الناس فيكم ، وما يحسونه نحوكم . . لقد أصبحتم ويا للأسف فى نظر الشعب جلاديه . نتيجة

تدعو للرثاء ، وحصاد مر لثورة ٢٣ يوليو « التحريرية الكبرى » تتجرعه الملايين المستذلة ، بعد ما وضعت فى تلك الثورة وقادتها ، آمالها . واعطتها الكثير ، واستأمنتها على الكثير « على الحرية » .

ولكن اين الأمانة الان ؟ ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، لقد بددت الأمانة، لقد وئدت الحرية ونعيش فى هذه الأيام مأتمها فى ليل لا يبدو له فجر .

يا عبد الحكيم ! لا تتصور انى مبتئس لما جرى ، ولكنى حقيقة اشعر بالأسف . اقول « يا حسرة على الرجال » « يا خسارة على الثورة » .

واشعر بذنب واحد ، هو أن ثقتى الغير محدودة فيكم مكنت للطغيان ان يسلب هذا الشعب حريته ، وكرامته وانسانيته . مهما كانت الشعارات الزائفة التى تردد والادعاءات الكاذبة التى تقال . والناس جميعا يعرفون حقيقتها .

والسلام ..

كمال الدين حسين
٢٥ اكتوبر سنة ١٩٦٥.

وقد تلقيت فى السجن صورة فوتوغرافية من الخطاب بخط كمال الدين حسين .

الرسالة الثامنة - عبد الحكيم عابدين

بسم الله الرحمن الرحيم

يا عبد الحكيم   السلام عليكم ورحمة الله وبركاته   وبعد

كلمة صريحة (وأرجو أن تتقبلها) يا عبد الحكيم، لم أجد بدا من أن أقولها لك لبعض ما حدث، وإن كنت قد ترددت كثيرا في الكتابة إليك، ولكني بعد تروٍّ، لم أتردد قط في أن أقولها صريحا.

اليوم يا عبد الحكيم أصبحت أعتقد أنه لا حاجة لك [illegible] الذي أصبحت أرى فيه جزاء الكلمة (اتق الله) هو ما أنا فيه وما فيه أهلي، عندما قلت لكم اتقوا الله فأصبحنا أن نتقي الله في هذا الشعب الذي قتلنا [illegible] واستقرارا وحرية. قلت لكم (اتقوا الله) بعد أن أطلقتم جميع [illegible] إلا الإخوان المسلمين والشيوعيين [illegible] والزنادقة. قلت لكم اتقوا الله في الحرية التي قضيتم على كل ما كان باقيا من آثارها، وكنا نأمل أن [illegible] تقصير - [illegible] هذه الدنيا. أن قد أدركنا أمانينا [illegible] هذه [illegible]. قد [illegible] وأصبحت [illegible] على الصدور. قلت لكم اتقوا الله [illegible]. هذا الشعب وأنا لم [illegible] ذلك.

ولذلك أصبحت [illegible] في هذا الجو الخانق وأرجو أن يعجل الله [illegible] في هذا الجو. إذا لم يتيسر ذلك فالعيشة [illegible]

~~[illegible]~~

[illegible] أن أخرج [illegible] إلى [illegible] إلى [illegible] رسول الله [illegible] [illegible] [illegible] الله — [illegible] [illegible] (اتق الله) ما أنا فيه.

وأنت تعلم يا عبد الحكيم [illegible] وأنت تعلم يا عبد الحكيم [illegible] الدكتاتورية والطغيان. إذا جاز أن [illegible]

وأنت تعلم يا عبد الحكيم أنه إذا لم تتقيدوا بشرع [illegible] ([illegible]) [illegible] بشرع [illegible]. وهو إذا لم [illegible] الحاكم [illegible] ١٩٦٢ [illegible]

[illegible] إلى [illegible]. [illegible] التضليل وعلى الهدى [illegible] [illegible]. [illegible] فإن الله [illegible] شرع الله [illegible] من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. [illegible] بني آدم [illegible] أمام الله [illegible]

يا عبد الحليم ما الضمانات التي تدور [illegible] فالحرية هي الحرية التي تعبر عن
[illegible] قال « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » ، ومن قبل له
(رضي الله عنه) قال : (لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها)
أنت تعلم يا عبد الحليم أنني لم أستعطف أحدا ولم ألتمس أحدا (والعياذ)
ولكن ما [illegible] حينا [illegible] من مناسبة سابقة ، لذلك لا التفات إلا الله .
وأنا من أكتب إليك الآن فإنني لا أطلب شيئا غير العدل عند هذه [illegible]
التي [illegible] أن [illegible] عنه فقد [illegible] أن [illegible] يدي ميزانه عدل .
ومن [illegible] [illegible] الله عليه التوكل والحساب وإنا لله وإنا
إليه راجعون . يا عبد الحليم إن [illegible] هذه التي أعانتني وأدركته
قد [illegible] في صحف [illegible] الشيخ الذي أصاب [illegible] [illegible] بين صحيح [illegible]
[illegible] ، [illegible] هنا [illegible] في [illegible] . وأنت تعلم يا عبد الحليم حينما [illegible]
وقلت له أنني [illegible] [illegible] الشيء أو [illegible] آخر [illegible] « [illegible]
أنه يا شيخ والآن [illegible] [illegible] إلا [illegible] » . إنا [illegible] في هذا [illegible]
[illegible] [illegible] بأن [illegible] . [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يا عبد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] التي [illegible] [illegible] الآن [illegible] [illegible] يا عبد الحليم [illegible]
[illegible] [illegible] (واصبرنا) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] كلمة [illegible] [illegible] (أن اتقوا الله) [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] هذه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النفس [illegible] [illegible] . وإذا لم [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] ، على [illegible] [illegible]
هي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . إنا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible])
يا عبد الحليم ألم أقل لك في [illegible] الماضي « ما هي ضمانات الحرية » فقلت
« هذه ضمانات الحرية » وقلت لك أنني لا أسمع [illegible] . وهذه [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] الحرية ضمانات وأين الضمانات » .. [illegible] .. [illegible] »
ألم أقل [illegible] [illegible] أنه إذا لم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] هذا [illegible] [illegible] (أنه الله) [illegible] هنا [illegible] ١٠٠٠

كلمة صريحة أوجهها إلى عبد الحكيم !! أرق
لهذه الحال ومع ذلك أتمنى أن يرحمكم الله
لا تغضب أنت الآخر يا عبد الحكيم - وافهم رسالة -
ولا يغلبك الهوى والغرور .. وابحث ضميرك قبل ثورة
٢٣ يوليو وعن مدى ما استفدتم من هذه الثورة ثم انظر
أين يذهب كل التدبير .. ضمير الحرية ... الذي سيدافع
الله عنه .!!
يجب أن تعلم يا عبد الحكيم رأي الناس فيكم وما يحسونه
نحوكم ... لقد أصبحتم ويا للأسف ما ثار الشعب
ضده : شلة تتسابق للثراء وهدم الثورة
٢٣ يوليو (الحركة المباركة) تتجرعه الجماهير المذلة
بعدما وضعت في تلك الثورة أموالك وأعطت الكثير
واستأثرتم على الكثير "على الحرية"
ومن أجل الأمانة لأنه والله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا
بالعدل . لقد بددت الأمانة .. لقد بددت

(٤)

العربية وتصميم في هذه الأيام ما هي إلا دليل لا يبعد
له نجيب .

يا عبد الحكيم لا تتصور أني مبتئس لما جرى ولكني
وحجمه أشعر بالأسف لقول " يا حسرة على الرجال"
" يا خسارة على الذرة "

وأنا لم يتذبذب واحد منه أنه تنتهي لعبة محدودة
فكلمة مثنت للطغيان أنه سيلب هذا الشعب
حريته وكرامته وإنسانيته . ومهما كانت الشعارات
والأغنية التي تردد والادعاءات الكاذبة التي تقال
وليكن صحيحا ليرفع مطيتكم وسلام

[signature]

٢٥/١١/٦٥

لن يقول أحد لا

سجن الاستئناف ..

عزيزي ..

تسألني رأيي في خطاب كمال الدين حسين الى الرئيس عبد الناصر وخطابه الى عبد الحكيم عامر . ان رأيي أن الخطابين موجهان الى الرئيس عبد الناصر . وما يشكو منه كمال الدين حسين سبق أن شكا منه عبد الحكيم عامر في أحاديثه معي وفي استقالته الخطيرة التي قدمها عام ١٩٦٢ وأعطاني صورة منها . وتحدثت بشأنها مع الرئيس عبد الناصر . ولا أوافقك على رأيك بأن صرخة كمال حسين سوف تفزع الفراعنة الصغار الذين حول الرئيس ، وستجعلهم يعدلون عن غلوائهم واستبدادهم وجرائمهم . على العكس انني أتوقع أن يحدث أن يشتد الضغط والارهاب . ولن يقال للرئيس بأن كمال الدين حسين يعبر عن رأى عام يستنكر تلفيق القضايا ، والمحاكمات الصورية ، وأحكام محاكم التفتيش ، وجو الكبت ، والتعذيب والمعتقلات . بل سيقولون له أن كمال الدين حسين يريد أن يتزعم المعارضة .

وليست هذه أول مرة يوضع رجل في مكانة كمال الدين حسين ، نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الثورة ، في المعتقل .. فقد أصبح السجن الآن أشبه بكلوب محمد على الذى كان يضم رؤساء الوزارات والوزراء والكبراء في العهد الماضي ! .

انك لو أحصيت الذين دخلوا السجن أو المعتقل لوجدت بينهم رئيس جمهورية هو اللواء محمد نجيب ووصيا على العرش هو القائمقام رشاد مهنا ورؤساء وزارة أمثال ابراهيم عبد الهادى ونجيب الهلالى وفؤاد سراج الدين وزير الداخلية وعثمان محرم

وزير الاشغال ومحمد صلاح الدين وزير الخارجية ومرتضى المراغى وزير الداخلية وزكى عبد المتعال وزير المالية وعبد المجيد ابراهيم صالح وزير المواصلات والدكتور حافظ عفيفى وزير الخارجية السابق ورئيس الديوان الملكى وعبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية وحسن الهضيبى مرشد الاخوان المسلمين والمستشار بمحكمة النقض والابرام واحمد عبد الغفار وزير الزراعة وحامد جودة رئيس مجلس النواب .

واهمية القبض على كمال الدين حسين انه كان من اقرب اعضاء مجلس الثورة الى قلب الرئيس ، ووقف معه بحماس فى كل معاركه. وعندما اختلف معه اعتكف فى بيته ولم يقل لأحد اى شىء عن سبب الخلاف مع انه كان سببا هاما جدا ، وهو على ما اتذكر أن الرئيس عرض عليه هو وعبد اللطيف بغدادى وحسن ابراهيم خطة جديدة فى تطبيق الاشتراكية فى مصر تجعلها اقرب الى الشيوعية فاعترض عليها الثلاثة وعندما قال الرئيس انه سيؤمم محلات البقالة الصغيرة قال له كمال الدين حسين « فى المشمش » وأرسل الثلاثة استقالتهم.

فلما اعترض كمال الدين حسين على ما جرى للمسجونين السياسيين من تلفيق وتعذيب وارسل للرئيس يقول له اتق الله كما فعل المسلمون مع عمر بن الخطاب خليفة المسلمين .. فاذا بالأمر يصدر بالقبض على كمال الدين وكل الذين كانوا يزورونه فى بيته فمعنى ذلك أن الحرية فى بلادنا تصادف محنة كبرى .

وسيكون من نتيجة ما حدث لنا ، وما حدث لكمال الدين حسين ، أن احدا لن يجرؤ ويقول الحقيقة للرئيس .. ولن يسمع بعد ذلك سوى المدح والثناء ، والتأييد والتاليه .. وهذا هو أكبر خطر يتعرض له عبد الناصر .

ان ميزة عبد الناصر الكبرى انه كان يسمح لنا بان نقول له آراءنا بصراحة تامة ، ولم يكن يغضب عندما كنا نعترض على بعض التصرفات . ولم يحدث الا بعد مرضه انه كان يضيق بكلمة الاعتراض على رأى له . وقد أرسل لى عبد الحكيم عامر وانا فى السجن يقول ان سبب « مصيبتى » اننى كتبت مقالا فى الموقف

السياسى فى اخبار اليوم من الكونغو ! نعم عن الكونغو .. وان الرئيس فهم من المقال أننى اقصد الحالة فى مصر ، واننى اريد أن اقول انه نشر الارهاب ، وانه كمم الأفواه ، وان هذا هو السبب فى القرار الذى صدر بالبطش بى « حتى أعرف الارهاب يبقى أيه »
واذكر انه فى أوائــل ديسمبر ١٩٦٢ ، استدعانى عبد الحكيم الى بيته فى الحلميـــة ، وأعطانى نص استقالة ارسلهـــا الى الرئيس عبد الناصر ، وشعرت يومهـــا أن شرخا حــدث فى العلاقة بــين الصديقين العزيزين أو بين (التوأمين) كما كان يقول عبد الحكيم .

كان عبد الناصر يشكو لى أن عبد الحكيم سيىء الاختيار فى اختيار مديرى مكتبه .. كل مدير مكتب اختاره حاول أن يقوم بانقلاب ضد عبد الناصر ...

وكان عبد الناصر يشك ان السبب فى ذلك ان الجو الذى حول عبد الحكيم يكره الرئيس عبد النــاصر ، وهذا هو سر أن جميــع الانقلابات تجىء من داخل مكتب عبد الحكيم ، أما عبد الحكيم فهو يقول أن على صبرى وسامى شرف وباقى حاشية عبد الناصر هى التى افسدت العلاقة .

وان عبـــد الناصر اصبح ديــكتاتورا ، وهو يرى أن لا حــل الا بالديموقراطية وبمنح الصحافة حريتها ..

وغضب عبد الناصر من صيغة استقالة عبد الحكيم ، ثم هدا بعد ذلك ووعد عبد الحكيم بتنفيذ كل ما فيها من طلبات ..

ثم عدل بعد ذلك ولم ينفذ منها اى طلب .

وهذا هو نص استقالة عبد الحكيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب القائد العام ..
عزيزى الرئيس جمال عبد الناصر
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ارى أن الواجب .. وايضا الوفاء .. يقتضى أن اكتب اليك معبراً عن رأى مخلص رغم الأحداث الأخيرة .

فبعد عشر سنوات من الثورة وبعد عشرين سنة صلة بينى وبينك لا يمكننى أن اتركك واعتزل الحياة العامة دون أن أبوح لك بما فى نفسى كعادتى دائما .

انى اعتقد ان الانسجام والتفاهم بين المجموعة التى تشارك فى الحكم امر ضرورى واوجب من ذلك الثقة المتبادلة بين افراد هذه المجموعة وقد وجــدت فى الفترة الأخيرة أن الاسلوب الغالب هو المنــاورات السياسية ونوع من التكتيك الحــزبى . فضــلا على ما لا أعلمه من أساليب الدس السياسى ، والذى قد اكون مخطئا فى تصوره ولو ان الحوادث كلها والمنطق يدل على ذلك .. والنتيجة التى وصلنا اليها خير دليل على هذا التصور فقد استطاع هذا الاسلوب أن يتغلب على ما كنت اعتقده مستحيلا .. وهو تحطيم صداقتنا وما نتج عن ذلك من احداث لا داعى لسردها فكلها لا تتفق مع المصلحة العامة فى شىء ..

المهم فى الموضوع انى لا استطيع بأى حال أن اجارى هذا الاسلوب السياسى لانى لو فعلت لتنازلت عن اخلاقى وانا غير مستعد لذلك بعد أن انتهى نصف عمرى .

الذى أريد ان احدثك اليه بخصوص نظام الحكم فى المستقبل فانى اعتقد أن التنظيم السياسى القادم ليكون مستمراً وناجحا يجب ان يبنى على الانتخابات من القاعدة الى القمة بما فى ذلك اللجنة العليا للاتحاد وبما فى ذلك اللجنة التنفيذية العليا وان تمت اللجان العليا بدون انتخابات حقيقية فسيكون ذلك نقطة ضعف كبرى فى التنظيم الديمقراطى للاتحاد .

وان ما يجب أن نسعى اليه الآن هو تدعيم الروح الديمقراطية ، وخصوصا بعد عشر سنوات من الثورة وانى لا اتصور بعد كل هذه الفترة وبعد ان صفى الاقطاع ورأس المال المستغل وبعد أن منحتك الجماهير ثقتها دون تحفظ ان هناك ما تخشاه من ممارسة الديمقراطية بالروح التى كتب بها الميثاق .

وخصوصا بأن الملكيات الفردية الباقية والقطاع الخاص لا يشكلان اى خطر على نظام الدولة كما أنه ليس هناك ما يمنع اطلاقا من ان تنسجم هذه القطاعات مع النظام الاشتراكى .

كذلك الامر بالنسبة للصحافة فيجب أن تكون هناك ضمانات تمكن الناس من كتابة آرائهم وكذلك تمكن رؤساء التحرير والمحررين من الكتابة دون خوف أو تحفظ . وقد تكون هذه الضمانات عن طريق اللجنة التنفيذية العليا مثلا او اى نظام آخر يكفل عدم الخوف من الكتابة وتوهم الكاتب انه سيطارد أو يقطع رزقه وخصوصا ان الآراء التى ستعالج لن تخرج عن مشاكل الناس والمسائل التنفيذية وبعض المناقشات فى التطبيق الاشتراكى وفى هذا فائدة كبيرة لانه سيعبر عن الآراء التى تدور فى خلد بعض المواطنين .

دعنى وانا أودعك ان احدثك أيضا عن الحكومة ورأيى فيها .

قبل كل شىء لا يمكن أن تسير أى حكومة فى طريقها الطبيعى وهو الحكم السليم اذا كان نظام الحكم فى حد ذاته ممسوخا مشوها فيجب أولا أن نستفيد بتجارب العالم وحكوماته التى عاشت مئات السنين مستقرة منتظمة دون حاجة لتغيرات شاملة كل فترة قصيرة من الزمن .

ففى رأيى ان النظام الطبيعى للحكم يكون كالآتى :

أما حكومة رئاسية ويرأس الوزارة فيها رئيس الجمهورية ويكون مسئولا أمام البرلمان مسئولية جماعية مع وزرائه . وبدون الدخول فى التفاصيل يمكن أن يكون هناك نائب للرئيس ويجب أن تكون أنت رئيسا للدولة ورئيسا للحكومة .

أو حكومة برلمانية يرأسها رئيس الجمهورية ويكون رئيس الاتحاد الاشتراكى هو رئيس الوزراء أو ربما يكون رئيس الوزراء ليس رئيسا للاتحاد الاشتراكى ولا أريد أن أدخل أيضا فى التفاصيل ولكن تكون أيضا مسئولية الوزارة جماعية أمام البرلمان كما ورد فى الميثاق .

على كل حال أى من هذه الحلول ، وجودك فى النظام او الاصح على رأسه ضرورة وطنية وانا لا أقول ذلك مجاملة فهناك كثيرون

مستعدين للمجاملة او الموافقة على رأيكم بمجرد ابدائه ولكنى أعتقد ان اى تصرف غير ذلك سيكون بداية لنهاية لا يمكن معرفة مداها .

دعنى ايضا قبل أن أودعك ان اقول لك أن اختلاطك الشخصى بالناس ضرورى فانه يعطى الثقة المتبادلة ويعطى احساسات متبادلة ويعطى افكارا ايضا متبادلة وهذا هو الطريق الطبيعى للارتباط بأفراد شعبنا القياديين فى المستقبل أما انعزالك التام فانه سيجعل صور البشر عندك أسطرا على ورق او اسماء مجردة لا معنى لها وهو فى رأيى لا يمثل الواقع فالعقل والعاطفة من مكونات الانسان ولا تستطيع أن نفصل كلية بينهما ولكن يجب الجمع بينهما فى الطريق الصحيح وهذا لا يكون الا عن الاتصال الشخصى وهذا ايضا هو الطريق الوحيد لاظهار شخصيات قيادية تعتز برأيها وتقوله دون خوف ولكنها فى نفس الوقت تثق فى قيادتها وتحترمها .

وهذا النوع من الناس أنت فى أشد الحاجة اليه .. بل وبلدنا كلها محتاجة اليه .. نوع جديد لم يتمكن منه حب المنصب فيسكت عن الخطأ ولم تأخذ الاضواء نور بصره فيضحى بكل القيم ليعيش فيها .

وانا أودعك ايضا أرجو من الله الا يحدث منى أو منك ما يجعل ضميرنا يندم على الاقدام عليه او يجعلنا صغارا فى أعين انفسنا .

ويكفى فى رأيى ما حققه اهل السوء الى الآن فقد نجحوا فيما تمنوا وفيما كانوا يعتبرونه مستحيلا .

لا أريد أن أطيل عليك لكنى أبديت آرائى لك فيما أعتقده أنه المصلحة العامة .

وليكن فراقنا بمعروف ، كما كانت عشرتنا بالمعروف ، والله أسأل أن تتم حياتنا بشرف وكرامة ، كما بدأناها بشرف وكرامة ..

ورغم كل شيء .. ورغم كل ما أعلم فانى أدعو لك من قلبى بالتوفيق وأتمنى لك الخير وأدعو ربى أن يوفقك فى خدمة هذه الأمة ولخيرها .

والسلام ..

عبد الحكيم عامر

القاهرة ١٩٦٢/١٢/١ م

فى اليوم الأول من ديسمبر سنة ١٩٦٢.

هل الرسالة بقلم عبد الناصر!

سجن الاستئناف ..

عزيزتي

تلقيت في السجن نص الخطاب الذي أرسله المشير عامر الى كمال الدين حسين يرد فيه ردا عنيفا على رسالة كمال الدين حسين . الرسالة عنيفة . ليس هذا أسلوب عبد الحكيم في الحوار . اعتقد أن الرئيس عبد الناصر هو الذي أملى عبد الحكيم هذه الرسالة ، أو على الأقل الاجزاء العنيفة منها . فانا أعرف مثلا أن عبد الحكيم هو آخر من يتهم كمال الدين حسين بأنه عندما يحتج على التعذيب والطغيان ومحكمة الدجوى وأمثالها والقانون الذي منح رئيس الجمهورية سلطات الآلهة انما يفعل ذلك غضبا لما اصاب جماعة الاخوان المسلمين وحدهم ! . فالمظلومون ليسوا اخوانا فقط . ان بين المظلومين اخوانا وشيوعيين ووفديين ومستقلين وسعديين ودستوريين وحزب مصر الفتاة .. كل الاحزاب ممثلة في زنزانات السجن الحربي .. منهم مسلمون ومسيحيون . بينهم استاذة جامعة وعمال .

ولقد كنت أرى كمال الدين حسين كثيرا في عام ١٩٥٤ عند جمال عبد الناصر عندما حدثت مذبحة الاخوان الأولى . وكل ما كنت الاحظه أن كمال الدين حسين متدين ، ولكنه يخاف على البلد من حكم الفرد ومن الطغيان ومن الشيوعية . ولا يوجد عاقل يرضى بأن تنسف مواسير المياه ، أو أن تنسف مدينة القاهرة أو تنسف المسارح والملاهي .. ولقد قابلت هنا كثيرا من الاخوان وسألتهم هل حقيقة كانوا ينوون قتل أم كلثوم وجميع المطربات ، وقتل عبد الوهاب وجميع المطربين ؟ فأقسموا لي أن هذا من اختراع « ولاة الأمور » ، وان المقصود به تبرير القمع والارهاب والمشانق امام الرأي العام ..

ولو كانت هذه التهم صحيحة ، فلماذا لم يقدموا الى محاكم جنايات عادية ؟ ولماذا أختير الجزار الدجوى فى محكمة عسكرية مكونة من ضباط ؟ ولماذا هذا الضرب بالسياط والكلاب المسعورة والنفخ وألوان العذاب والتعذيب ! ؟

كل هذه التصرفات غير القانونية تؤكد أنه لا توجد هناك قضية ولا أدلة قانونية ، والحاكم لا يلجأ الى المحاكم الاستثنائية الا عندما يكتشف أن العدالة لا تقر تصرفاته . ومن الغريب أن عبد الحكيم يتصور أن التعذيب والمحاكم الاستثنائية (مسائل بسيطة) وسوف يعيش عبد الحكيم ليكتشف أن كل هذه الأشياء سوف تؤدى بمصر الى التهلكة . . وسيكون هو أول الهالكين !

وهذه هى رسالة عبد الحكيم بنصها :

عزيزى كمال :

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

لقد تعودت الا تزعجنى الصراحة . . لأن الصراحة هى الطريق الى الفهم الصحيح . . ودعنى أيضا أن أصارحك القول ، وقد تعودت أن أقول ما أعتقد ولا أخشى فى ذلك الا الله وضميرى . .

ان طبيعة الرسالة التى تلقيتها منك كانت بمثابة صدمة عنيفة ، قد نسفت فى نظرى جميع القيم والروابط التى تجمعنا دون سابق مقدمات . . وفى رأيى لم يكن هناك ما يبررها على الاطلاق فهى مرسلة . . وسأعبر عن ذلك مخلصا وصادقا . « من كمال رسول الله الى عبد الحكيم كسرى أنو شروان » أى من نبى مؤمن الى قائد ملحد وأنت لست نبيا وما كنا نحن بملحدين كافرين . . فنحن نؤمن بالله واليوم الآخر . . وكنت أنتظر أن تكون رسالتك فى مثل هذا الوقت وهذه المؤامرات الاجرامية التى تدبر ، والتى كان الغرض منها التحطيم ، والقضاء على نفوس بريئة ، والرجوع بها الى الخلف سنين طويلة . . كنت أنتظر على الأقل أن تستنكر ذلك وما عهدت فيك عدم الوفاء وما عهدت فيك أن ترى الأمور بهذه الطريقة الغريبة التى لا أعلم ولا يعلم الا الله كيف وصل بك الأمر الى ذلك . . تتشكك فى كل شىء وترى صورا قاتمة لا وجود لها . . ماذا ألم بك ؟ . .

لا أعلم ! ارجع الى نفسك يا كمال : وتأمل كل شيء بهدوء ، وبنفس خالية من الغضب والنزعات .. فكر فى الأمور بعيدا عن المؤثرات ، وبعيدا عن كلام المغرضين وهمساتهم وافتراءاتهم .. الذين لهم هوى ، والذين لا يبغون الا مصلحة ذاتية من ورائك .. وقد وجدوا فى شخصك الأمل الذى يحقق لهم الأمان وهذه الأهداف ، فهم يدعون الكلام باسم الحق وهم لا يريدون الا الباطل .

ان المؤامرة الأخيرة التى دبرها الاخوان المسلمين المتعصبين .. مؤامرة لا يمكن وصفها جريمة ضد شعب بأسره .. بل جرائم تقتل باسم الاسلام ، جرائم تدبر باسم الاسلام ، دماء تسيل ، وخراب يعم باسم الاسلام .. هل هذه هى الحرية التى يطالب بها هؤلاء الذين يريدون فرض انفسهم على الناس بالدماء والخراب ؟ .. والله هذا لا يقره دين ، ولا يقره ضمير ، ولا يقره أى شخص عنده انسانية .

اننى تابعت التحقيق خطوة خطوة .. والمؤامرة فيها أكثر مما نشر حتى الآن . أيريد سيد قطب ، الذى كانت توزع كتبه ، أن يصنع من نفسه نبيا ينزل عليه الوحى يأمره بقتل الناس وتدمير البشر ؟ .. أهو ظل الله على الأرض ينهى حياة ما شاء من العباد ؟ .. لا اعلم كيف لم يحدث فى نفسك هذا العمل الالم كل الالم .. وكيف اكتفيت بارسال خطابك لى بالمعنى الذى سبق ان ذكرته لك ؟ .. هل فكرت ماذا كان سيترتب على نسف محطات الكهرباء فقط ؟ .. توقف المستشفيات وفاة المرضى رجالا ونساء واطفالا .. القاهرة بلا اضواء .. بلا مصانع يعمل فيها آلاف العمال وقد اصبحوا عاطلين الناس لا تجد قوت يومهم .. بل لا يجدون حتى الماء ليشربوه .. مجارى تطفح فى الشوارع وفى المنازل .. أوبئة تقتل الناس بالجملة .. خراب كامل .. كيف تعوض مثل هذه الخسارة قبل سنوات طويلة .. أما الأرواح فلن تعوض طبعا .. باسم ماذا يحدث كل هذا ؟ بأمر من يحدث كل هذا ؟ حكم من هذا ؟ حكم من جعلوا انفسهم خليفة الله فى الأرض .. اغتيال لشعب ، ولحريته ولحيانه ، ولتقدمه ، بل أيضا لمعاشه اليومى .

وماذا يكون شعورك واولادك فى منطقة تتفجر فيهم مواد النسف ؟! ماذا يكون شعور كل اب ؟ . كل أم ؟ .. كل أخ .. ؟ فكر قليلا يا كمال دون تحيز ودون غضب ، لان هذا هو حكم الطغيان بكل

معانيه .. حكم الغابة بكل صوره .. هذا هو الارهاب بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى مروع ..

هل الاخوة والوفاء تعنى تأييدك لهذا العمل الشائن أو تعنى أنه كان يجب عليك استنكاره ؟

هل المبادىء الاسلامية والانسانية تقر أنك لا تقف تحارب كل هذا بكل قوتك بدل أن تؤيده فى خطابك الاول الذى يدل معناه على ذلك ؟

ان معنى ذلك انك توافق على قتلنا ، وهذا رأيى فى أبسط الأمور فلكل أجل كتاب .. ولكن كيف يطاوعك ضميرك وكيف تقنع نفسك بالموافقة على اغتيال شعب ؟

تعرضت فى كلامك عن الثقة فينا ، وأنا بدورى أقول انك لم تخطىء بثقتك فينا ، وكل ما أريده منك وأرجوه أن تفكر بعيدا عن كل مؤثر أو مظهر ، ولا تجعل أى تصرف شخصى أو تصرف بسيط يؤثر على جوهر المواضيع .

اننا ومن جانبى ايضا سنعمل على المحافظة على مصالح شعبنا ، وسنحافظ عليه ضد اى محاولات من هذا الطابع بكل وسيلة ممكنة ، وكما ذكرت حقا فى خطابك الأخير ان الناس يعرفون الحقيقة ولكن ليست الحقيقة التى تتصورها أنت .. والتى طبعا يصورها لك بعض الناس الذين تعتبرهم ثقة وان كلامهم لا يقبل المناقشة .

وتقول انك تريد ان تخرج الى السعودية .. لماذا ؟ هل هى بلد الحريات هل هى بلد الاسلام .. ؟ ما هذا يا كمال .. عجيب والله هذا التفكير ان النبى صلى الله عليه وسلم كان بشرا ومات كما يموت البشر .. وان جلوسك بجانب قبره لن يعطيك شيئا . لا تخدع نفسك يا كمال .. جرد نفسك من كل الاعتبارات وفكر مليا وسترى الأمور بغير هذه العين خصوصا بالنسبة للحقائق التى سردتها لك ولا تقبل جدلا .

ثم بعد ذلك تكلمنى عن قانون .. ويزعجك ان يصدر مثله .. وهذا ليس موضوعا جوهريا ومهما اخطأت الثورة يا كمال فانها تصحح دائما اخطاءها .. ولكنها ما كانت قاسية .. وما كانت منتقمة ..

وانت تعلم ذلك وشاركتنا فى افكارنا ، وفى قراراتنا ، وفى جميع الأحداث التى جرت بشعبنا منذ يوليو ٥٢ .. وتعلم جيدا كيف نفكر وكيف نتصرف .

ان الذى يقضى على الحرية ويقتلها هو التعصب مهما كان نوعه ومهما كان شكله .. ومهما كانت الشعارات التى يحتمى فيها .. ان كان تحت اسم اسلام أو تحت اسم اصلاح أو غيره ..

ان بلادنا يتآمر عليها الاستعمار والرجعية . الا يكفى ذلك حتى تخرج هذه الفئة لتضع البلاد تحت رحمته وتجعلنا فى قبضته مرة أخرى وربما الى سنين طويلة لا يعلم الا الله عددها ؟

هل هذا مفهوم الحرية ؟ .. وهل هذه هى الحرية .. التى أعلنها الاسلام ؟ انا أقول كلا والف كلا .. بل ان هذا هو الكفر بعينه بكل القيم البشرية والانسانية بأكملها .

أتوافق يا كمال على ان يحكم مثل هذا الشعب مثل هذه الحيوانات الكاسرة التى نزعت من قلوبها الرحمة ؟ .. تعصب أعمى لا يرى الا فى القتل والتهديد وسيلة لكل شىء .. وبأمر من ظل الله على الأرض سيد قطب .. ؟ ! وهل هذا هو حكم الله ؟ ان الله برىء من القتلة والسفاكين .

لماذا انت عاتب اذن ؟ .. أليس عتبى عليك اكثر وأعظم ؟ .. أليس من حقى وأنا بشر ولست نبيا ولا أدعى اننى أوتيت من الحكمة كلها أو بعضها .. أليس من حقى أن أصاب بصدمة حين أجد أن هذا هو أسلوب تفكيرك الجديد .. وهذا ما يقره ضميرك ، وهــذا ما تراه حقا ..

اننى يا كمال كما تعرف لا أخاف أحدا ولا أخشى شيئا الا الله وضميرى ، ولولا سفرى السريع لفرنسا لجابهتك بهذه الحقائق ، مع ضعف أملى انك ستستمع لما أقول وتقتنع بالحقائق الملموسة .. أننا لم نمنع الناس عنك الا خوفا عليك وخوفا على الناس أيضا حتى تنتهى هذه المأساة البشرية التى كانت تهدد بل تعمل على نسف

عمل ثلاثة عشر عاما .. قد نختلف فى الرأى .. لكن أرجو أن تصغو الى نفسك وتفكر فى هذه الآراء .. وتطرح المسائل الصغيرة جانبا .. وطبعا انت حر فى ان تأخذ بها أو تلقيها فى عرض البحر ولكن لى الحق أن اكتب اليك ناصحا بأمانة وصدق كما كتبت الى لائما وناصحا .. ربما تذكر انك كنت فى الحكم ، وجميع السلطات فى يدك سياسية وتنفيذية .. وهذه حقيقة . وكنت حر التصرف .. وهذه حقيقة أيضا .. ولم يحدث طوال هذه الفترة ان اختلفت على المبادىء التى نسير عليها بل كنت متحمسا لها ، وكنت أشد تطرفا .. هذه حقيقة أيضا .. ربما تذكر القوانين الاشتراكية سنة ٦١ والآراء التى أبديتها أنت شخصيا فى الاجتماع بالاسكندرية ؟ .. وكنت يا كمال متطرفا لحد كبير ، ومتحمسا للقوانين اشد التحمس .. حقيقه أيضا .. ماذا تغير اذن بعد ذلك حتى تتحول هذا التحول المفاجىء المتطرف أيضا ؟ .. وفجأة يصبح كل شىء خطأ .. وتصبح الحريات مقتالة على حد تعبيرك ، الذى لم أهضمه مطلقا .. فجأة حدث كل ذلك .. ما الذى غير افكارك بهذه السرعة الكبيرة .. ما الذى اخل بتوازنك لهذه الدرجة وحتى تنقلب افكارك فجأة ؟

لقد تناقشت معك اكثر من مرة فى افكارك وتطارحنا الحجج والبراهين .. وصدقنى والله ما وجدت فى آرائك التى اصر على انها ظهرت فجاة شيئا منطقيا أو سليما .. وجدت لديك اصرارا غريبا وعقلك يرفض أن يناقش بل تصميم فقط على ما أنت فيه .. ان تطبيق اى نظام وحكم الشعوب يحتاج منا جميعا لاعادة النظر فى خطواتنا من حين لآخر فجل من لا يخطىء .. واظن انك لا تعتبر معصوما من الخطأ .. ولا أظن أن يصل بك الأمر الى هذا الحد .. ولكن كل الشواهد تدل على غير ذلك .. فانك تريد فرض رأيك ، ورأيك انت فقط ، لأنه فى نظرك هو الصحيح . وهذه هى الدكتاتورية فى أعنف مظاهرها يا كمال .. وهذا هو قتل الحريات ، وضربها ضربة قاصمة . كل منا قد يرى عيوب غيره حبذا لو فكر فى عيوب نفسه .. لماذا لا تحاول أو تجابه نفسك وتعرف عيوبك ، كما تبحث عن عيوب الآخرين ، وتبالغ فيها الى اقصى الحدود ؟ .. ان فعلت وحاولت بالنسبة لنفسك يكون حكمك على الأمور أقرب الى الصواب ، ولا تختلط الأمور فى ذهنك هذا الاختلاط الفظيع . لا تجعل حالتك النفسية تؤثر على تفكيرك .. ولا تجعل لكلام من

حولك قدسية .. وهم فى كلامهم معك فى قرارة نفسهم يعملون طلبا للنفوذ وطلبا للسطوة وطلبا للشهرة .. وعندى على ذلك امثلة كثيرة واقعية امثلة حية غير مبنية على استنتاج أو على كلام الغير .

اذا فكرت جيدا وحللت كل شيء لنفسك بصراحة ووضوح ستجد اننى كنت خير ناصح لك حتى أكثر ممن تظن انهم اقرب واخلص الناس اليك . واعود مرة أخرى واقول كيف تتصور أن تولد الحرية فى ظل الدماء والخراب ؟ . وان يكون لفئة من الناس الحق فى ان يتكلموا ويفعلوا باسم الله مفوضين منه .. يفعلون ما شاءوا .. هل هذه هى الحرية ؟ .. هل هذا هو طريق الحرية ؟ .. أو الديمقراطية ؟ !

اقول بدورى يا كمال اتق الله فى نفسك .. اتق الله فى شعب مصر .. اتق الله فى حياة الناس وأرزاقهم .. ولا تظلم نفسك ولاتظلم الناس معك .. لقد حاولت جهدى أن اشرح لك الحقيقة وان كانت مرة .. ولكن دفعتنى الى ذلك دفعا .. وأقول وانا مرتاح الضمير اللهم اننى اديت الأمانة .. ولعلك ترى الأمور على حقيقتها بعيدا عن المؤثرات التى وقعت تحت تأثيرها فترة من الزمن ، وان حدث ذلك كان نصرا عظيما لك على نفسك وكان نعمة وبركة من الله للجميع .

وقد ترددت أن أكتب اليك خوفا من أن تكون قد سددت أذنيك ، لا تريد أن تسمع أحدا ، الا اذا حدثك على هواك وعلى ما تحب .. ولكننى قررت أن أرد عليك قدر جهدى ومناقشة الموضوعات التى اثرتها ليست صعبة .. فقد ناقشتها معك مرارا ، وما اقتنع أحد من الذين ليس لهم غرض بما تقول يا كمال .

والسلام عليكم ورحمة الله ..

امضاء
عبد الحكيم عامر
فى : ١٩٦٥/١١/٤

ملاحظة :

اننى أخشى حكم التاريخ عليك ان يقول كمال الدين حسين انقلب على الحكم متبنيا أفكارا جديدة لأنه ابتعد عن السلطة التنفيذية والسلطات التى كان يمارسها .

امضاء
عبد الحكيم عامر

كتبت اليك هذا لتعرف الجانب الآخر من الصورة التى تذ تكون تاهت عنك ، وسط خضم المتكلمين والمتحدثين ، وانى أكتب لك ما أعتقده وعن صدق ، والحديث طويل ولا يتسع له حتى هـذه الصفحات القليلة ، ولكن لعل الله يجمع ما تفرق ، ويهدى ، ويرتق الصدع . انه على كل شىء قدير .

امضـــاء

عبد الحكيم عامر

[illegible]

الأخ الفاضل الأول

أخي [illegible] كمال   بعد السلام عليكم ورحمة الله

لقد تعودت أن [illegible] [illegible] [illegible] الطريق إلى [illegible] [illegible] ودعني أيضاً أن [illegible] [illegible] وقد [illegible] [illegible] [illegible] ١٠٧ [illegible] ولقد [illegible] [illegible] إلى الله وحده

[illegible] برسالة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ..... [illegible] نؤمن بالله واليوم الآخر [illegible] ... [illegible] إلى الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ..... [illegible] [illegible] ... [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ماذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم



نائب القائد الأعلى

ارجع إلى نفسك يا كمال وتأمل كل شيء بهدوء

ونفسك خالية من الغضب والانفعالات ... تجد من

[illegible] بعيداً عن [illegible] ... وبعيداً عن كلام المغرضين

وتصرفات [illegible] ... الذين [illegible] حتى

والتي لا [illegible] ... [illegible] ...

فقد وجدوا في شخصيتك [illegible] هذه الأهداف

هؤلاء الذين يدعون الإسلام باسم الحق ولكنهم لا يريدون إلا [illegible] ...

إن [illegible] الذي [illegible] المتعصبة

[illegible] ... [illegible] باسم

[illegible] ... باسم الإسلام ...

[illegible] ... [illegible] الإسلام ...

هل [illegible] ... ما تريد؟

فرصتك [illegible] ... وأن هذه

الفترة [illegible] ... [illegible] شخص

منك [illegible] ... [illegible] التنظيم خطوة خطوة

والآن [illegible] ... أريد سعيد.

[illegible] أم [illegible] من نفسك [illegible]

[illegible] الناس [illegible] البشر ...؟

الحمد لله [illegible] حياة [illegible] العباد ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب القائد الأعلى

[redacted]

بعد أيام قليلة لم يبق نفسك هذا يحمل

الظلم كل الظلم من رأيتم أتيتم بإرسال خطابك لي

بالمعنى الذي سبق أن ذكرته لك ...؟

هل تعلمت ماذا أنا مستعد به للدفاع عن موقع الأكراد

فقط ؟

قتلت المستشفيات ونالت المرضى رجال ونساء وأطفال.

الشاهد .. بعد ضرب .. بعد مصنع يعمل

ينتج الحليب للأطفال

الناس الذين ... لا يجدون حتى

الماء ليشربوه

صبرا تصطفى لا الشوارع ولا المنازل — علام تتقاتل

أو حتى تفتك الناس بالجملة — مؤسسات

ضرب أطفال ... — كلابس

كيف تقصف مثل هذه الحضارة في مستوى ضربك

أما يكفي رواح آلاف يقصف جميعاً

بالله ماذا تريد كل ذلك ؟

لأي سبب يحدث كل ذلك ؟

كل هذا هذا ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب القائد الأعلى

كم من عملاء من أنفسهم خلفوا الآن الخوف

إغتيال شعبه وأرضه وكيانه وننقذه بل

أين المناشدين لهم ... ؟

ماذا يعني مشهدك والرياح تعصف تتنفس

شعب منذ سنين ... ماذا يعني مشهد كل

أب .. كل أم .. كل أخ

يمر قليلاً بالبال دون تحليل ودروك تعصف

لذا هنا حد على الضعفاء من كل مصائب ... فكفى

اشتاه . بل حدوده ... هنا نحن الإرهاب بكل ما

تحمل هذه الكلمة من معنى مروع ....

هل . الدهشة والوفاء تعني تأييدك لهذا العمل

الشنيع . ... أو تعني أنه كان يجب عليك استنكاره ؟

هل البادئ بالإرهاب والإجرام تقر أنك لا تقبله

من حب هنا بل قولك يدل منه أن تؤكد إعجابك

الذي يدل مضمونه على ذلك ...... أم بعض

ذوي أنك تتعاطف مع قتلنا وهذا من سابق إبداعك

السابق مثل أبناء ... وعن كيف يطالبك

منطقه وكيف تفضي نفسك بالمبالغة في اغتيال شعبه

[illegible]

[illegible]

قد رفضت يا كاميليا من البداية شيئا ... وأنا بدوري أقدر
أنك لم ترفضي شخصك شيئا ....
ولكن يا أميرة منك وأرجو أن تتذكري بعضا من أهل
مصر أو غيرها ... ولا تجعلي أي تصرف شخصي أو
شعور بسيط يؤثر على مجرى المواضيع ... إننا وإن
كنا أبعدنا مستقبل من المواقف لمصالح شعبنا
ومشاعرنا [illegible] أن نحاول [illegible] هذا العالم لأجل وسيلة ممكنة
من قوة ذراعه [illegible] أن [illegible] تقدير الحقيقة
وتلك البيئة الخفية التي تتصدرها أنت ... والشيء [illegible]
[illegible] تتعدى [illegible] كلامهم لذا
ميعاد المناقشة ... وتفضل أنت تريد أن تتزوج
إلى مسعود ... لماذا ... هل هو بلد الحريات ...
هل هي بلد الإسلام ... ؟ ما هذا يا كمال الحبيب والآن
هنا [illegible] ... إن هل الله لم يسمح لأي بشر [illegible]
البشر وإن جلوسك بجانب الشيخ لن يغطي شيئا
لا تنسى نفسك يا كمال [illegible] جرد نفسك من أجل الإنسانية [illegible]
[illegible] ومستقبل الأمة بغض هذه الأسماء [illegible]
[illegible] التي [illegible] ولا تنفي [illegible]

[illegible]

[illegible]

ثم بعد ذلك تخلت عن تأكيد ويطلب أن

يصدر قبل هذا البيان [illegible] من نغمات الشعور بالألم والغضب

تصحي دائما أخطائك وتمضي ما كانت مناسبة وما أنت

تستحق وأنت تعي ذلك ومشاركتنا في أفكارنا وفي

قراراتنا وفي جميع الأحداث التي مرت لنتجنب [illegible]

وتعي جيداً كيف نفكر وكيف نتصرف....؟

إن الذي يقضي على الحرب، وينتج هو المستقبل

منها الأمن [illegible] ومنها كانت شكل [illegible]

[illegible] التي [illegible] أن كان تحرك الإسلام

أن نحمي الدين الإسلامي [illegible] ...

إن علينا شيئاً من بلاغ الشعار والحرب .. إلا

تكفي ذلك حتى نخرج هذه اللعبة لتصبح البلاد [illegible]

[illegible] خطيئتنا في شيء آخر وربما الإسلام

الإسلام بالبديل [illegible] الله [illegible] ...؟

هل هذا معروف الحرب ... وهل هذه هي حرية

التي أملتها الإسلام ... أنا أقول كلا وألف كلا

إلا أن هذا هو الذي نصيب بكل المعنى البشرية والإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب القائد الأعلى



يا [illegible] ... أتخافين يا [illegible] من [illegible] هذا [illegible]

مثل هذه الحياة ... الخاسرة ... [illegible]

[illegible] أحس بالحزن يا [illegible] أقبل والتدخين يسليني

لكل شيء .... [illegible] [illegible] مع [illegible] [illegible]

وصل هنا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ..

والسجائر ....

لماذا أنت غاضبة إذاً ...؟ أليس عندك [illegible]

[illegible] [illegible] ...؟ ... [illegible] [illegible] وأنا

[illegible] ولست نبياً ولست [illegible] إن الحقيقة [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] أم أصاب [illegible] [illegible] أحد أحد

هنا [illegible] [illegible] تتكلم عن الجديد ... وهنا ما [illegible]

[illegible] .. وهنا ما تراه هنا [illegible]

إنك يا [illegible] لن تعرفيه لأنك [illegible] أبداً. ولقد أحسست [illegible]

إلى الله [illegible] ... ولولا [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] مع [illegible] أملي أنني سيتسع [illegible]

وتقنعي بالحقائق [illegible] ... إننا لم نمنع الناس عنك

إلا [illegible] [illegible] ... ولكننا لم [illegible] أيضاً هنا

[illegible] هذه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] هادئة ...

بسم الله الرحمن الرحيم



نائب القائد الأعلى

قد تختلف مع الذي معك أو معه أو تتفق إلى .
نفسك وتفكر لا في شيء .. وتستطرد في السؤال الصعب.
أحياناً ... وغالباً تتشبث به أو ما قد يكون
أو تلقيني في غرفة الجمع ... وقد يكون من الحق أن لا أكتب
إليك ناصحاً بأمانة وصدق كما كتبت إليك في الأيام الماضية
ربما يتذكر أنه كتبه من القلب وقبيل إعلان [illegible]
[illegible] وتنفيذه (وهذه حقيقة) وكذلك [illegible]
وهي حقيقة أيضاً) ولم [illegible] حال [illegible] .
إنه إذا [illegible] البلاد [illegible] بسبب [illegible] من قبل
[illegible] لهم، وكذلك أشد تطرفاً (وهذه حقيقة أيضاً)
ربما يتذكر التطرف [illegible] بد [illegible] أيديهم
أنه مشروعاً في الإخوان بالمسلمين وكذلك [illegible] متطرفة
[illegible] وصحيح للقيادة [illegible] المتطرف (وهذه حقيقة أيضاً)!
فإذا تصبح إذاً بعد ذلك ... حتى يتحول هذا
التحول المناخي المتطرف أيضاً .. ودائماً يصبح أن
[illegible] ولقد كتبت [illegible] لا [illegible]
[illegible] لم أتعمد مطلقاً ... [illegible] ما حدث في ذلك!

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب القائد الأعلى

ما الذي غيّر أفكارك بعد اللقاء الأخير ...؟

ما الذي أقلق تفكيرك إلى هذا الحد حتى تنقلب أفكارك

شيئاً ... لقد تناقشنا معك أكثر من مرة في أفكارك

وتطلعاتك الشخصية والمذهبية ... ووصفت ذلك بما

وصفته عن معرفتك بأنه أفكار [illegible] سياسياً

عسكرياً أو سياسياً ... ووجدتك تطالب بأمور غريبة

وتعليقات [illegible] ... [illegible]

ما [illegible] ... [illegible] وقدمت القضايا

[illegible] هنا [illegible] في تطورات [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

يصل بك الأمر إلى هذا الحد ... ولكن من الشواهد تدل

على [illegible] ... [illegible] رأيك ورأيك

[illegible] الصالح وهذه هي

[illegible] ... وهذه هي

[illegible] ... على

هذا تقدير [illegible] ... [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب القائد الأعلى



لماذا قد تحاول أن تحاسب نفسك وتلومه .
حبيبك ألا يكفيك من حبيب تبذله وتبالغ فيه إلى
أقصى الحدود ... إن فعلت وحاولت بالحب نفسك
عليك فعلك لن تجد أقرب إلى الصواب ولا تخلط
الأشياء في ذهنك هذا الاختلاط النفسي
لا تجعل حالة النفس تؤثر على تفكيرك ...
ولا تجعل كلام من حولك تحسب ... ومن
الكلام ما هو في تقديرهم ... طيباً للنفوس
وطيبة للسعادة وطيباً للشهرة ... ونجد في ذلك
أمثلة كثيرة وواضحة ... أمثلة حية على مسمع ومن
مشاهد أو في كلام الناس ... ؟
إذا كنت صادقاً وحاسبت أولاً نفسك فيما هم
ووضح مستقبل أنك كنت خير ناصح لك حتى ممن
تظن أنهم أقرب وألصق الناس إليك ...
وأعود مرة أخرى وأقول كيف تتصور أن
تولد الحرب في ظل الرخاء والخراب وأن تنشأ منه
النتيجة الحتمية أن تتجلى وتتحلى باسم الله ... نتوجه
منه ... فنجدها قد شاركوا ... فهل فضل المعرفة ...

بسم الله الرحمن الرحيم



مكتب القائد الأعلى 1

هل هذا هو ذنبي في الحب ... ؟ أم أنه [illegible] ؟

إنك لم تدرك بعد بأنك:

إنك الذي تملك

إنك الذي تحب مصر

إنك الذي [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ...

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible] أحد [illegible]

[illegible]

مصطفى

إنني أخشى من ظلم التاريخ لك أيها البطل.
قال صبحه إنقلب لي ذلك مستيقظاً بعبارة وردت
لتوه إنني من العاطل إستثني و من الغفلة
الأمر له صبا حي

[illegible]

كتبت إليك هذه لتعرف إلى أي حد أنا من الصدق الصريح
قد تكون ثابت عندك في وسط هذا الظلم والوحشية
وإني أشهد ما أعتقده من صدق والحق لدى
ولا يستطيع هنا له حق الصفحة التالية ... ولكن حسن الله يجمع
ما تفرق ويلهم ويرشد الصدق إنه مما لا شك فيه و
[illegible]

أسرار الاستقالات

سجن الاستئناف ..

عــزيزتى

ما اغرب ان أعيش فى زنزانة ، وارتب منها الحوار العجيب الذى يحدث بين الحكام ! هذا الحوار الذى يجرى فى الخفاء ، ولــكن بفضل بعض تلاميذى استطعت ان أعيش فيه ، وكأننى ما زلت جالسا فى مكتبى فى أخبار اليوم . ما أعظم الفرق فى الزنزانة فى ليمان طره ، والزنزانة فى أخبار اليوم .لا فرق بين زنزانة السجن وزنزانة الصحافة ! هناك فى الصحافة كانت هناك قضبان وسلاسل وقيود ، وعيون متلصصة ورقابة صارمة وخطوات محسوبة .. هنا القضبان منظورة ، وهناك القضبان غير منظورة ! هنا محكوم على المسجون السياسى بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وهناك محكوم على الشعب المصرى بالعمى المؤبد ، فلا يرى الحقيقة . ومحكوم عليه بالصمم المؤبد فلا يسمع الحقيقة !

فى كلتا الزنزانتين أعرف الحقيقة ولا أستطيع أن أنشرها أو أقولهــا !

ان المناقشة بين كمال الدين حسين وعبد الحكيم تؤيد رأيى فى أن الحكام عندما يجلسون فوق مقاعد السلطة لا يرون الحقيقة فاذا نزلوا منها رأوها كلهــا !

كأن مقعد الحكم هو عصابة توضع على العيون .

والحقيقة التى يجب الاعتراف بها ان كمال الدين حسين بدأ يرى الحقيقة .. وفى أول الأمر لم يرها كلها ، وفى آخر الأمر لم يصدق عينيــه !

لقد عشت الصراع كله بين عبد الناصر واعضاء مجلس الثورة ، وقد استطاع أن يأكلهم واحدا واحدا ، ولم يبق منهم ســوى عبد الحكيم وقد حاول أن يأكله بعد انفصال سوريا ، ثم وجد أنه صعب الهضم بسبب موقف الجيش معه ، ولهذا اجل عمليــة اكله الى حين ..

وهذا هو نص خطاب كمال الدين حسين الى عبد الحكيم عامر ، كما استطاعوا أن يهربوه لى فى السجن .

وفى هذا الخطاب يشير كمال الدين حسين الى المناقشة مع الرئيس جمال عبد الناصر عندما اعترض كمال الدين حسين على الاشتراكية المتطرفة فساله عبد الناصر :

ـ ايهما أحسن عبود أم ستالين ؟

لقد عشت استقالات اعضاء مجلس الثورة كلها ..

وقد بدأ الصراع بعد خروج محمد نجيب ، وانفراد جمال عبد الناصر بالسلطة تدريجيا .

وكانت أول استقالة هى استقالة يوسف صديق فى فبراير سنة ١٩٥٣ .

وكانت ثانى استقالة هى استقالة صلاح سالم فى سنة ١٩٥٤ ، عندما فشل فى مهمته فى السودان ، واتهم بأنه المسئول عن ضياع السودان وفى سنة ١٩٥٤ خرج خالد محيى الدين من مجلس الثورة بسبب اتهامه بأنه يحرض سلاح الفرسان ضد الثورة .

وفى هذا العام نفسه قرر عبد اللطيف بغدادى وكمال الدين حسين الاستقالة احتجاجا على انفراد عبد الناصر بالسلطة ، والاتجــاه الى الحكم الديكتاتورى .

وسويت الخلافات .. وانتهت ازمة الاستقالة .

ومرة أخرى فى ١٤ أبريل سنة ١٩٥٤ قدم بغدادى استقالته بسبب خلافه مع عبد الناصر ، فقد كان يعارض فى أول الأمر فى اقالة محمد نجيب ، وكان يعارض فى استئثار عبد الناصر بالسلطة .

واستقال عبد اللطيف بغدادى من رياسة مجلس الأمة وكمال الدين حسين من عضوية مجلس الأمة لأن عبد الناصر أرغم المجلس على أن يسحب قراره برفت الأعضاء الذين قبلوا وظائف فى مديرية التحرير أثناء التحقيق فى التصرفات غير القانونية التى حدثت فيها .

ثم سويت الاستقالة .

واستقال زكريا محيى الدين فى ذلك الوقت لأنه قال أمام بعض الوزراء « لازم نشيل عبد الناصر » وذهب بعضهم وأبلغ هذا الى عبد الناصر .

واستقال كمال الدين حسين من وزارة التربية والتعليم لأن عبد الناصر أراد فتح باب الانتساب لكليات الجامعة برغم معارضة أساتذة الجامعة .

واستقال عبد اللطيف بغدادى وكمال الدين حسين لأن الرئيس عبد الناصر لاحظ أن الصحف تتحدث عنهما كثيرا فوزع منشورا دوريا على الوزراء يعترض على الوزراء الذين يقومون بدعاية لأنفسهم .. وكان الذى يكتب عن بغدادى وكمال الدين حسين فى الصحف واحدا من ألف مما يكتب عن عبد الناصر وحده !

وبعد الانفصال بين سوريا ومصر ، قرر عبد الناصر التخلص من عبد الحكيم ، واعتبره مسئولا عن الانفصال ، لأن مدير مكتبه فى سوريا عبد الكريم النحلاوى هو الذى قاد عملية الانفصال .

واتصل يومها عبد الناصر بكمال الدين حسين وطلب منه أن يتولى منصب القائد العام .

وقبل كمال الدين حسين على أن يتولى بغدادى الطيران !

وعرض عبد الناصر على بغدادى أن يتولى قيادة الطيران وكان يريد التخلص من الفريق صدقى محمود قائد الطيران بأى ثمن .

ولكن فى كل مرة يقترح نقله من منصبه يهدد عبد الحكيم بالاستقالة .

وهكذا ترين أن الحالة بين عبد الناصر وعبد الحكيم كانت سيئة ، ولكن عبد الحكيم طيب القلب ، ولهذا كان يسهل دائما مصالحته .

وهو يبدو اليوم متحمسا جدا فى موقفه فى تأييد انفراد عبد الناصر بالسلطة .

وسوف يندم غدا .

وهذا نص رد كمال الدين حسين :

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ عبد الحكيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

لم يكن فى نيتى بعد خطابى السابق أن أكتب لك ثانية .. فقد وعدتك الا أزعجك وكنت عند وعدى ولكن هناك نقطا خطيرة فى خطابك اشعر أنها تحتاج الى ايضاح وأنا أحاول فى هذه السطور أن أوضح هذه النقط حتى لا يكون حكمك فيها مبنيا على معلومات أو استنتاج خطأ أو تصورات خطأ وارجو الا تحمل كلامى هذا أكثر من هذا المعنى .

١ — تقول ان الرسالة التى تلقيتها منى كانت بمثابة صدمة عنيفة نسفت فى نظرك جميع القيم والروابط التى تجمعنا ، وطبعا أنت حر فى وجهة نظرك من ناحية الروابط ولكنك لست حرا فى أن تبنى أحكامك على تصورات خاطئة .

٢ — تقول ان الرسالة التى تلقيتها وكأنها من كمال رسول الله (حاشا لله) الى عبد الحكيم كسرى أنو شروان وهذا خطأ فلم يقصد منها الا أن تكون لعبد الحكيم عامر الحاكم من كمال الدين حسين المواطن الحر بدون التمحك فى صداقات وأخوة .. وأنا لم أتخيل

لنفسى أن أدعى هذا الموقف وحاشانى أن أدعى ذلك .. ومن أنا بالنسبة لرسول الله حتى ادعى ذلك .. الفرد فى أمة مفـروض أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر له أن يقول للحاكم « اتق الله » وقد قالها واحد من المسلمين الى سيدنا عمر فما كان من عمر الا أن قال « لا خير فيهم اذا لم يقولوها ولا خير فينا اذا لم نسمعها » ولم يتصور الذى قالها فى وقتمن الأوقات كرسول الله ولم يخطر ببال عمر أنه متهم بالكفر والزندقة .. واستمر المسلمون يقولونها الخلفاء من بعد عمر ولم يجرؤ واحد منهم حتى معـاوية أن يبطل استعمالها حتى جاء واحد من أسرته فأبطل استعمالها .

٣ ـ أما عن التوقيت فقد أخبرتك فى مناسبة سابقة لى أننى كثيرا ما فكرت فى كتابة خطابات لجمال عبد الناصر ولكنى كنت أعود واعدل عنها حتى لا يساء فهمها .. وربما وجدتم فى بعض مذكراتى أو النوت التى كنت أكتب فيها مسودات لهذه الخطابات التى لم ترسل ..

ومن الطبيعى أن يفيض الأمر بنفسى بعد ما علمته عن الاعـداد التى تعتقل من الناس الأبرياء والمجهول الذى يقذفون فيه والعذاب الذى يقاسونه والموت الذى يحولهم من آدميين أحياء مفروض أن يكونوا أحرارا الى مجرد أرقام مدفونة فى التراب .. ولم يتجرأ مخلوق أن يحدثكم بالحقيقة فاذا لم يوجد واحد فى بلد تعداده ٣٠ مليونا يمكن أن يقول لحاكميه اتقوا الله فقل على هذا البلد العفاء وقل لحاكميه الا تفرحوا بأن هذه حال بلدكم .

ومع ذلك فما مفهوم كلمة اتق الله هل هو رمى المخاطب بالزندقة والكفر .. لا أعتقد ذلك ابدا .. فهى عندما قيلت لعمر بن الخطاب من واحد من عامة المسلمين ، لم يخطر على بال من قالها أن يدعى أنه كرسول الله وكذلك لم يخطر ببال عمر أنه يطعنه بالكفر والزندقة ، وقلت فى نهاية الخطاب أن أمة المسلمين خير أمة أخرجت للنـاس أمرها الله أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . وقـد قلت لك فى أول الخطاب لا خير فى اذا لم اقلهـا لك (والله يقـول أيضا ذلك) « لعن الذينكفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » صدق الله العظيم .

وتقوى الله هى مراعاة الله وخشيته ورعاية عدل الله .. ويقول الله فى ذلك « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ، ان الله خبير بما تعملون » أخشى يا عبد الحكيم أن تكون هناك عقدة نفسية من هذا الموضوع فأنت لو قرأت كتاب الله وعرفت معانيه لما تطرق الى ذهنك هذا التفكير .

٤ ــ بعد ذلك ذكرت موضوع المؤامرات والنسف والتدمير وقلت انه كان من الأجدر ان استنكرها بدلا من هذا الخطاب وسوف اقول لك حقيقة مشاعرى بلا مواربة فى هذا الموضوع :

اولا :

انا لا اريد الجريمة بطبعى ولا يمكن ان اقرها ولكن أرى أن يحاكم المجرم بمحاكمة عادلة ثم يأخذ جزاءه الرادع .

ثانيا :

انه وخاصة بعد تجربتنا الغير موفقة فى موضوع الحرية لا أؤمن اطلاقا بأن أى نوع من الانقلاب أو التآمر يمكن أن يؤدى الى الحرية، بل سيؤدي الى دكتاتورية أشد قطعا ، فاذا ارتكب باسم الدين كان أدهى وأمر .

ثالثا :

ان جو المناقشة الحرة والمعارضة النزيهة اذا وجد فهو احسن مناخ يمكن أن تتم فيه التربية السياسية ويمكن أن يصلح فيه الحكم ويزيد الانتاج وهو بلا شك يفتح الطريق لمبادىء الحق أن تنتصر .

رابعا :

ان المبالغات التى صاحبت هذا الموضوع مثل القنبلة اليدوية التى تنسف القناطر الخيرية ، تجعل المواطن الذى فقد ثقته فيما يذاع فى وسائل الاعلام المختلفة على لسان كثير من المسئولين بكثرة وما فيها من كذب .. تجعله يشك شكا كبيرا فى حقيقة هذا الموضوع ومداه .

خامسـا :

ان قسوة الاجراءات التى اتبعت مع الآلاف التى قبض عليها ظلما وعدوانا ولا يعرف مصيرها ، تجعل الناس فى جو الديكتاتورية الموجود يعتقدون انها فرصة للقضاء على كل اثر للمعارضة وزيادة تكميم الأفـواه .

سادسـا :

ان الشيوعيين الذين أخذوا يتريقون فى الجرائد بالكلام والصور على الاخوان المسلمين لم يبرئهم الناس من التشفى فى الاسـلام نفسه « وأهى فرصة » .

٥ ـ أما بخصوص الكتب التى أعطيتها لبعض زوارى ، فأنا فى مارس ١٩٦٥ أعطيت لعباس رضوان ولصلاح نصر على ما اظن كل واحد نسخة من كتاب سيد قطب وطبعا أعطيت لأمثالهم مثل هذه النسخ لأن ما فيها يعبر عن رأيى كما قلت ، ولم ولن فى يوم من الايام أتردد من المجابهة بهذا الرأى .

٦ ـ واخيرا فيجب أن أنبه أنه يجب التفريق بين الاسلام وبين أذى مخلوق يحاول التعبير عن رأيه .

٧ ـ جملة ثانية لم افهمها أبدا .. وان كنت تعنيها فلتجابهنى بصراحة ولا داعى للف والدوران .. انك تقول هل الاخوة والوفاء تعنى تأييدك لهذا العمل اللا انسانى أو تعنى أنه يجب عليـك استنكاره .

فأما من ناحية الاستنكار فقد أوضحت لك موقفى من ناحية أما عن تأييدى فهذا هو الافتراء بعينه .. من الذى قال ذلك .. من الذى يفهم ذلك .. والله اذا كان هذا اتهاما فأنا مستعد لمواجهـة هـذا الاتهام .. واذا كان خطأ فى الفهم فهو موضوع آخر .

انت تقول انت تؤيد فى خطابك الذى يدل على ذلك ، وتستطرد فتقول « أى أن معنى ذلك انك توافق على قتلنا وعلى اغتيـال

شعب .. » انت يا عبد الحكيم .. لست انا الذى أوافق على ذلك ؟ ومع ذلك فأى كلمة فى خطابى من الكلمات اعطتك هذا المعنى هذا جناية على الحقيقة وجناية على الكلمات ان نحمل اى معنى آخــر عن الذى عنيته وهما قضية الحرية والعدل .. أما أن تفهم انى أؤيد النسف والتخريب والقتل .. الخ بهذه الكلمات .. فكلام غريب .. وغريب جدا ويمكن ان يعرض على ناس غير متوترى الأعصاب مثلا .. ولكى يقولوا رأيهم فيه أم انك يا عبد الحكيم تدخل معى فى مناقشة على طريقة عبود أحسن أو ستالين . ليس معنى انى غير موافق على ستالين انى اوافق على عبود .. وكذلك ليس معنى انى أقول لكم اتقوا الله انى موافق على التدمير والتخريب .

٨ ــ أما الحقيقة التى يعرفها الناس ، فأنا لى رأى وانت لك رأى ، ولو كان هناك حرية فى البلد لأمكن أن تعرف الرأى الصواب ، ولكن انت فى موقف الحاكم الذى لا يملك أحد الرد عليه ، فلك أن تعتقد ما شئت ولكن تذكر انى قلت لك فى مارس ١٩٦٥ أنه يجب عليك معرفة رأى الناس ما دمت مسئولا عن الناس .. وكان ذلك ردا على كلامك بأنك لا تقابل أحدا ولا تتصل بأحد وطبعا لا يكون لك من سبيل الى معرفة الحقيقة الا عن طريق التقارير .. بالضبط كما كان يراد لنا أن نعرف الحقيقة عنك أنت شخصيا عن طــريق التقــارير .

٩ ــ اما عن موضوع رحيلى الى الخارج فانى كنت أعنى حقيقة الذهاب الى المدينة المنورة وليس معنى ذلك أن السعودية بلد الحرية المفقودة أو الاسلام الصحيح ولكن جو المدينة جو ملائم من الناحية الروحية ومع ذلك فانى لم اقصد ان أحدد غير هذا المعنى ولكنى أفضل اى بلد عربى أو اسلامى .

١٠ ــ ذكرت لى وطلبت منى الا أخدع نفسى وأن أرى الأمور على حقيقتها والا أكلمك عن القانون وعدم التحدث عن أشياء صغيرة .. فاذا كنت تعنى القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ فاعلم يا عبد الحكيم أنه ليس موضوعا قانونيا وصغيرا ولكنه موضوع رئيسى لأنه هو موضوع الحرية التى تقهر .. اذ أن هذا القانون يسلب الناس أى معنى من معــانى الحرية ويعطى لرئيس الجمهورية سلطة مطلقة لم يتمتع بها أى حاكم لهذا البلد منذ قرون .. المــادة الرابعــة

فيه تنص على انه لا يجوز الطعن فى قرار رئيس الجمهورية باى شكل من الأشكال أو أمام اى جهة كانت .. أى ليس هنـــاك الا الله عز وجل هو الذى يطعن أمامه يوم القيامة ان شاء الله .. ان الموضوع ليس مجرد قانون عادي ولكنه ينسف اى كلام عن الدستور المزعوم أو الحرية كل الحرية للشـــعب أو خـــلافه من الشـــعارات .

١١ ــ وغريبت ايضا أن ترجع يا عبد الحكيم فتناقش الأعمـــال التى قيل أنهم سيرتكبونها .. أنت تتساءل ، هل هذه هى الحرية التى اعلنها الاسلام وتقول « كلا .. والف كلا .. بل هذا هو الكفر » وانا اقول أيضا من قال أن هذه هى الحرية ؟ ان هى الا عود الى المناقشة على طريقة « عبود أحسن والا ستالين » ومع ذلك فهـــذه فرصة أتوجه بها اليكم راجيا أن تذوقونا طعم هـــذه الحرية التى اعلنها الاسلام ما دمتم مؤمنين بالله واليوم الآخر اظن كلمة اتق الله فى الاسلام لا تواجه بمثل هذا الذى جابهتمونا به .. اسمع .. ان الله يقول :

« الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » ويقول « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » ويقول « والذين استجابوا لربهم واقاموا الصـــلاة وأمرهم شورى بينهم وممـــا رزقناهم ينفقون » ويقـــول « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليـــه توكلت واليه أنيب » ويقول « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » ويقول « وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون » .

ويقول : « ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين . واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليـــه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم

ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئـــك هم المفلحون » .

ويقول : « ان ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين » .

ويقول : « وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعـــد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق » .

ويقول : « وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون .. » .

ويقول : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا ممـــا قضيت ويسلموا تسليما » .. طبعا الحديث وجه الى الرسول .

ويقول : « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بمـــا اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما » .

ويقول : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

ويقول : « ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو ، كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون » وآيات كثيرة فى هذا المعنى أن نرجع أمورنا والحكم فيها الى الله ورسوله ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ..وأن ما بينى وبينكم احتكم فيه الى الله والى الرسول .

١٢ ــ وانى لا أمنعك يا عبد الحكيم أن تعتب ولكنك تقول « انك

اصبت بصدمة حيث وجدت أن هذا أسلوب تفكيرى الجديد وان هذا ما يقره ضميرى وهذا ما اراه حقا » .. العجب كل العجب انــك تصورنى كيفما تريد ، وتصور أسلوب تفكيرى كما تريد .. هــل سألتنى عن شيء من ذلك .. لا أعتقــد أنى أوافق على الارهاب والتدمير والتخريب .. الخ والتى لا يدل عليها أى كلام قلته أو عمل قمت به .. ولكنها تهيؤات .. ولعبة عبود أحسن والا ستالين » .

١٣ ــ طلبت منى ان اهدأ نفسا وان اطرح المسائل الصغيرة وانا لم اناقش مسائل صغيرة وبمنتهى الهدوء وصفاء النفس اناقشك.. وأنتم لا تنكرون على أنى لم أدخر وسعا للعملبتفانى فى كل ما أوكل الى من أمر .. أما أن جميع السلطات كانت فى يدى سياســية وتنفيذية فهذا وهم .. اذا لم يكن لرئيس المجلس التنفيذىولا للمجلس نفسه اى سلطة لدرجة اثارت ترقية توفيق عبد الفتاح فى جلســة من الجلسات زوبعة وكان هناك النظام المعقد للوزارة المركزية ولم يكن للمجلس التنفيذى أو رئيسه اى سلطة غير انه ممر تمــر عليه المواضيع . ومع ذلك ففى فترة الاتحاد القومى قد حاولت قدر ما أوتيت من جهد أن أخلق أحسن جو ملائم للناس جميعا من اسوان الى الاسكندرية ليعبروا عن آرائهم بمنتهى الحــرية والتى كانت لا تعجب كثيرا من الوزراء الذين كنت أحاول جاهدا ان يكونوا خداما مخلصين لهذا الشعب .. وأنت تعرف المجهود الذى بذل فى هذا السبيل .

١٤ ــ أما بالنسبة للقوانين الاشتراكية فأنا لا أنكر اشتراكى فيها ولا أنكر تحمسى لها ولا يمكن أن أكذب على نفسى فى ذلك .. ولــكن الحقيقة أيضا هل نفذت القوانين الاشتراكية كما صدرت ؟ .. أبدا . وهل كان المبدأ هو الملكية العامة لجميع وسائل الانتاج كما قيــل فى جلسة مارس ١٩٦٤ حيث قلت لــكم دينكم ولى دينى .. ثم أين قرارات اللجنــة التحضيرية لمؤتمر قوى الشعب الوطنية .. وأين التصريحات عن « الحرية كل الحرية للشعب » .. ؟

هل طبقت هذه التوصيات بالنسبة للعزل .. أبدا .. ثم المؤتمر الوطنى لقوى الشعب الوطنية أين التصريحات التى قيلت فيــه ؟ وأين قراراته .. الميثاق نعم .. ولكن أين تقرير الميثاق ؟ ؟ كلام

تافه وركيك كما يقول جمال عبد الناصر .. أنا أعلم أن للميثاق وجهين وجه ماركسى ووجه اسلامى .. اما الوجه الاسلامى فهذا الذى تقرر فى تقرير الميثاق .. وأنت تعلم أن الناس كانوا يريدون تعديل الميثاق ولكن طلبنا منهم بناء على رأى جمال عبد الناصر عدم التعديل ولكن ما يريدون من تعديل يوضع فى التقرير .. واقر جمال عبد الناصر التقرير .. وقرر المؤتمر أن يكون التقرير جزءا لا يتجزأ من الميثاق وله قوته نفسها .. أين هو تقرير الميثاق الآن ؟ لقد قال الشيوعيون الذين اشتركوا فى لجنة تقرير الميثاق أن هذا التقرير ينسف الميثاق من وجهة نظرهم لانه يتحدث عن نوع خاص من الاشتراكية بمفهوم خاص ويحذر من نوع آخر من الاشتراكية .. ويقول ان القوانين يجب أن تستمد من الشريعة وأن قيم المجتمع وثقافته يجب أن تبنى على إساس الدين .. الخ من الكثير الذى جاء فى التقرير ..

وأنا قلت فى مارس ١٩٦٤ أن الميثاق وتقريره أساس جيد للعمل .. ولكن اين الميثاق وأين تقريره .. بدون حرية .. كيف يمكن تطبيق الميثاق أو تقريره .. ؟ أين ضمانات الحرية المنصوص منها فى المثاق وتقريره .. أين الدستور الذى كان مقررا أن يعمله الشعب فى سنة ١٩٦٢ .. أين قانون الاتحاد الاشتراكى الذى عمله الشعب ؟ أين قانون الانتخاب الذى عمله مؤتمر الاتحاد الاشتراكى؟ أين المحكمة الدستورية العليا ؟ اين اى قانون محترم ؟ .. أين سيادة القانون ؟ .. واذا لم يكن كل ذلك موجودا فعن أى شيء نتحدث من الحرية ؟ .. وكيف يقال أن هذه موضوعات صغيرة ؟.

قرارات اللجنة التحضيرية نفذت كما يريد جمال عبد الناصر بالنسبة لموضوع العزل وهو موضوع هام بالنسبة للانتخابات وغيرها .. وقانون الاتحاد الاشتراكى عمله جمال عبد الناصر والدستور منحه جمال عبد الناصر للشعب وقانون الانتخاب عمله جمال عبد الناصر والقانون ١١٩ عمله جمال عبد الناصر .. وجمال عبد الناصر عمل ما يريد فى كل هذا . .؟

فهل هذه هى الحريات السياسية والتنظيمات السياسية التى استقلت أنت بسببها مرة وقرأت أسباب استقالتك ؟ هل كنت تعنى حينئذ هذه المسوخ المشوهة للحرية والديمقراطية »

١٥ ــ اما موضوع التفكير الذى تقول أنه جديد .. فهذا كلام قيل لى فى مارس ١٩٦٤ وأنت لا يمكنك أن تنكر ولا جمال عبد الناصر يمكنه أن ينكر اتجاهنا الدينى الاسلامى والوطنى منذ تعارفنا على بعضنا وأنت تعرف الظروف التى جمعتنا بجمال عبد الناصر وتعلم أننا حلفنا على المصحف والمسدس فى حجرة مظلمة فى حى الصليبية مع المرحوم السندى وأنت تعلم كيف أننا اقنعنا الضباط سنة ١٩٥٤ حين قام الاخوان بحركتهم بأننا نسير فى طريق الاسلام ولكن ليس بالتعصب والشعارات وأننا سنعمل على تطبيق الاسلام وأنا لا أعلم أننا اتفقنا على غير ذلك وأنت تعلم أننا كثيرا ما تحدثنا ومعك بالذات عن الاشتراكية الاسلامية وقد قلت أنكم .. فكرتم مرة فى عمل حزب آخر يحمل شعار الاشتراكية الاسلامية .. وأنا حين وجدت أن الانحراف سيجرف تيار الثورة قلت أنه لا عاصم لنا الا الاسلام وهذا كلام الله الذى قال « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

وأنا كنت وما زلت أعتقد فى ذلك من قبل الثورة للآن .. ولكننا توهمنا انه يمكن أن نصل الى أهدافنا بطريقة غير صحيحة ولكننا يجب ان نواجه أنفسنا بالحقيقة .. والاسلام يعطينا الحرية .. والاسلام لا يعبد فيه الا الله .. ولا نتخذ فيه من احد العباد الها آخر .

يخضع الحاكم والمحكوم لحكم الله .. لأن الحاكم عبد الله .. الله عادل وخبير بخلق الناس ويعلم طبائعهم وهو سبحانه فوق شبهة الهوى .. فالاسلام فوق شبهة الهوى والغرض ولذلك فتقوى الله واجبة الاتباع .. وهذه بديهيات الدين .. وليس فى ذلك معنى التعصب ولا تحكم طوائف دينية معينة ولا أى شيء من هذا القبيل .. لأن الاسلام لكل فرد .. وكل فرد يمكنه أن يتصل بروحه مباشرة بالله بدون وصى ولا وسيط وليس المجال مجال محاضرة عن الاسلام .. ولكن الذى أقوله أن أفكارى ليست جديدة .. ولكن الانحراف هو الذى أصاب نفوسنا .. واجراءاتنا عندما نسينا الله الذى نصرنا فى كل خطوات كفاحنا فى ثورة ٢٣ يوليو وفى حرب السويس .. الله هو الذى نصرنا وليس الصاروخ الروسى .

١٦ ــ يا عبد الحكيم أنت الــذى تتهمنى بأن عقــلى يرفض أن يناقش .. من قال ذلك .. ؟ انا لم ارفض النقاش ولم أرفضه .. وانا لا اصر على راى ولا احاول أن اكون دكتاتورا .. ولكن هــذه التهمة وجهها لى جمال عبد الناصر فى مارس ١٩٦٤ وقد رددت عليه يومئذ بأن يسال الناس من اسوان الى الاسكندرية أيضا عن حقيقة ذلك فى مناقشاتنا الشعبية المختلفة أما أن تفرض على عقيدة معينة غير الاسلام .. فاذا لم اقبلها كنت دكتاتورا .. فأنا لا اقبلها طبعا وأنا احتكم الى الله وسنة رسول الله .. أما أن تتهمنى حين أتمسك بدينى بأننى دكتاتور فلك ولجمال عبد الناصر أن تقــولا ما تشاءون ما دام لكم أن تقرروا ما تشاءون .. أما اذا كانت هناك حرية رأى فليطرح ذلك على الناس لنرى من منا على صواب اليس هذا هو الشعب القائد والشعب المعلم .. الى آخره ..

اواقع أن جمال عبد الناصر يحاول بذلك دفاعا عن نفسه حسب نظرية الهجوم احسن وسيلة للدفاع فيتهمنى انى دكتاتور .. وجميع الناس يعلمون جيدا من هو الدكتاتور ..

١٧ ــ وتنصحنى يا عبد الحكيم وانا اشكر لك النصح .. أن أبحث عن عيوبى .. انا لا أدعى أن أصلح حالى أو أن أرد ما يمكن أن يكون فيها من توهم ..

اتهمتنى بأنى اجعل لكلام من حولى قدسية . وأنا لا أعرف من تقصد بهؤلاء الذين من حولى علاوة على انى لا اقدس كلام أحــد الا الله .. ثم تقول انهم يعملون طلبا للنفوذ وطلبا للسيطرة وطلبا للشهرة وانا لا أدرى عمن تتحدث .. وأنا أخبر كل من يزورنى أن اسمه يؤخذ وانصحه بعدم زيارتى حتى لا يصيبه مكروه .. وفعلا قد أصاب الكثير مكروه .. وأكون شاكرا أن تدلنى من هذه الأمثلة التى تتحدث عنها حتى أعــرف كيف تفكر أنت الآخر .. لا تتوهم يا عبد الحكيم انى لا أفكر جيدا أو لا أحلل جيدا أو انى لست صريحا مع نفسى .. على قدر طاقتى طبعا وفى حدود تصورى .. فمن هم يا ترى الذين تقول انى أتصور انهم أخلص الناس الى والذين تتصور أيضا انى آخذ كلامهم بقدسية .

١٨ ــ تقول يا عبد الحكيم كيف اتصور الحرية فى ظل الدماء والخراب واعود فأقول من الذى جعلك تتصور أنى اتصور هذا .. ولا تظن أنى مراوغ فى ذلك ولكنك تعلم انى لا أغش ولا أكذب .. وانا يقينا أرفض أى تآمر أو انقلاب أو تخريب أو أى شيء من هذا القبيل لأننى أعلم حقيقة ما لا يعلمه الناس الكثيرون .. أن الأنبياء فقط هم المعصومون وأن أى حفنة من المتآمرين مهما كانت الشعارات التى يرفعونها ستقيم دكتاتورية أعنف .. وأشد الأمر أن تكون حربا اهلية لا قدر الله .

فكيف تخاطبنى بهذا الاعتقاد الخاطيء انك بذلك تظلم الحقيقة وتظلم تفكيرك وتظلمنى أيضا .. من يقول ان الحرية تأتى عن هذا الطريق .. كل تعليقاتك عن هذا الطريق فى حديثك لا محل لهـــا أصلا ما دامت مبنية على هذا الوهم الخاطيء .

١٩ ــ وتقول لى اتق الله وانا لا أرفض تقوى الله اطلاقا وأتمنى على الله أن يمنحنى تقـــواه وأن تطمئن نفسى بتقواه أما بالنسبة لشعب مصر وحياة الناس وأرزاقهم فانه كان من أسهل السهل على .. لولا مصلحتهم بعد الله ما كنت خرجت من الحكم وما كنت عارضت وما كنت تكلمت وكنت أكلت « عيش وبقلاوة كمان يا عبد الحكيم » .

٢٠ ــ أما الحقيقة المرة التى تتحدث عنها يا عبد الحكيم .. فأنا لم أرها بعد الا من جانب آخر .. وأنى لا أرى الأمور على حقيقتها .. فاذا كان لديك كلام آخر غير الذى اتهمتنى به باستنتاجك الخاطيء ظلما وعدوانا فأكون شاكرا لو تكرمت على به أما من ناحية انى أسد اذنى فأنا لك آذان صاغية .. ومن ناحية هواى فانه ليس لى هوى ولا أريد شيئا لا جزاء ولا شكورا الا أن تحكموا الله والرسول فيما نختلف فيه ، وليس الغرض أو الهوى كلمة تقال أو اتهام يوجه ولكن هاتوا برهانكم .. والتاريخ يا عبد الحكيم زوره المزورون وقـــــد زوره ســـتالين ٤ مرات وزوره خروشوف أكثر من مرة .. وهو أخيرا لا يكذب وأصدق تاريخ هو الذى يسجله الله لعباده .

فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه وأما من أوتى كتابه بشماله فيقـــول يا ليتنى لم أوت كتابيـــه » صدق الله العظيم .

وانا لم اتبن افكارا جديدة كما قال جمال عبد الناصر فى مارس عام ١٩٦٤ ولكن الحقيقة أننا اختلفنا ايديولوجيا كما قال أيضا .. انا احاول ان نرجع الى الأصل الذى بدانا منه وانتم تغريكم مظاهر جديدة وافكار جديدة وأيديولوجيات جديدة .. وانتم احرار وانا حـــر أيضا .

اما عن السلطات فانت تعلم انه حينما بدانا الحديث فى مارس ١٩٦٤ قلت اننى لا انوى الاشتراك فى الحكم وانت الذى الحيت على فى القبول وحين قبلت كان على اساس ولكن انهار الأساس قبــل أن نبدأ اى عمل مع بعض فرفضت الاشتراك رفضا قاطعا .. وانت تعلم أنى قلت مرة أنا مستعد ان اعمل محافظا لسيناء أو أن أعمل مستشارا .. او اى عمل ما دام هناك اتفاق على المبادىء .. لكن ان اعمل بوجهين أو اقول خلاف ما أعتقد فهذا لا يمكن لأن طبعى يابى الا أن أكون صادقا مع من اعمل معهم .. مخلصا لمن أعمــل معهم واشعر طبعا انهم يبادلوننى نفس الصدق والاخلاص .. لا أن يحاكمونى محاكمة غيابية أو يقولوا على من ورائى ما لم يقل لك حتى الآن .. رغم كل ما حدث ورحم الله أمرءا عرف قدر نفســـه لا غرورا ولا افتتانا .. ولكن اشعر حقيقة بذنوب ما كان يجب أن اشترك فيها وأنى احاول أن أستغفر ربى لكى يكفر عن خطيئتى .

وطبيعى اننى لم آخذ نصحك بمعنى التهديد وعموما فحتى هذا لا يضيرنى شيئا .. ولله الأمر اولا وآخيرا .. والســـلام .

امضـــاء .

كمـــال الدين حســـين

سجن الاستئناف

ينـــاير سنة ١٩٦٦

عزيزتى

تلقيت اخبارا غريبة من تلاميذي خارج السجن . كان كمال الدين حسين معتقلا فى استراحة مصلحة الآثار فى الهرم. التليفون مقطوع. الزيارات ممنوعة . المدافع مصوبة . أسلاك شائكة . حرس مدجج بالمدافع الرشاشة . كأنها قلعة حربية . شكا نائب رئيس الجمهورية السابق وعضو مجلس الثورة الســـابق أن الاستراحة كلهـــا من البلاط . أولاده يرتعشون من البرد القارص . ينامون على مراتب فوق البلاط . لا يجدون ماء ساخنا . يضطرون الى تسخين المـــاء فوق وابور غاز . وطلب كمال الدين حسين نقله الى مكان آخر لأن صحة الأسرة تسوء فى هذا المكان . .

وصدر الأمر بنقله الى مكان آخر فى طريق مصر الصحراوى بين القاهرة والاسكندرية ، وهو مكان منعزل عن العالم . وذهب كمال الدين حسين وزوجته الى البيت الجديد . وكانت ساعة المغرب . .

وما كادت الزوجة ترى البيت حتى تراجعت وقالت :

ــ مستحيل ان ادخل هذا البيت !

ــ لمـــاذا ؟

ــ انني اشعر لو دخلت هذا البيت ، بأنني سأموت فيه !

وقال لها كمال الدين حسين بحزم :

ــ ادخلي ! لا اريد أن أعترض على ما يفعلونه بنا !

ودخلت الزوجة تجر اقدامها . .

ومرضت زوجة كمال الدين حسين . وساءت صحتها . وطلب كمال الدين حسين من الصاغ كمـال المحمدى القائد المشرف على الدراسة بأن يطلب اذنا من السلطات العليا للسماح باحضار طبيب فورا لاسعاف زوجته .

وابلغ القائد الطلب فى الحال الى سلطات الدولة ..

ومضى يوم .. ويومان .. وثلاثة أيام .. وعشرة أيام ، ولم يصدر الاذن بدخول طبيب الى المعتقل لاسعاف زوجة عضو مجلس الثورة السابق ، ونائب رئيس الجمهورية السابق .

وصاح كمال الدين حسين :

ــ أنتم مسئولون عن موتها اذا لم تحضروا الطبيب !

وفى اليوم الحادى عشر صدر الاذن للدكتور رفاعى كامل بالذهاب الى المعتقل لعلاج زوجة كمال الدين حسين !

وكان الاذن متأخرا جـدا ــ جاء الطبيب ليجـد أن نسبة السكر ارتفعت الى ٤٠٠ فى المـائة !

وامر الطبيب الكبير باعطائها حقن انسولين ..

وجاءت الحقـن من السلطات .. لم يسمح لاحـد من أسرة كمال الدين حسين بأن يخرج لشراء الحقن المطلوبة !!

وما كادت زوجة كمال الدين حسين تأخذ الحقنة حتى أصيبت برعشة غريبة !!

وبعد يومين اسلمت الروح ..

واغرب من هذا كله أن أمرا صدر بأن لا يذهب أحد من كبار رجال الدولة لتعزية كمال الدين حسين فى وفاة زوجته !

ومع ذلك امتلأ ميدان التحرير بالوف المعزين .

واستمر السرادق المنصوب فى مدينة بنها ثلاثة أيام متوالية غاصا بوفود الاقاليم !

لم يطـع الشعب الأوامر بعدم تقديم العـزاء الى نائب رئيس الجمهورية السابق وعضو مجلس قيادة الثورة السابق .

هـــذا هو الشعب المصرى ..

المحاكمة ...

سجن الاستئناف ..

اخى العزيز ..

لابد انه وصلت اليك انباء مهزلة المحاكمة . لقد رتبت المسرحية باخراج مثير . ودعت المخابرات الصحفيين لسماع تسجيلات بصوتى قالت أنها تحوى اعترافاتى ! ومن المضحك أن بعض الزملاء الذين لا يعرفون لغة أجنبية خرجوا بعد سماع الأشرطة وهم يؤكدون أننى اعترفت اعترافا كاملا ! وكلما شعر أصحاب المهزلة بأن الناس لا تصدقهم مضوا فى اختراع الأكاذيب وتزييف الأدلة وتأليف الاعترافات .

ومن الغريب ان الفريق الدجوى رئيس المحكمة قال للمحامين أن القضية ليس فيها شىء ! ولكن هذا لا يقدم ولا يؤخر ، لأن الدجوى ليس هو الذى يحكم . انه يتلقى الأوامر بالتليفون ، وينطق بها كالببغاء ! وعندما قيل لى فى المخابرات اثناء التحقيق أن الدجوى هو الذى سيرأس المحكمة تأكدت أنهم لم يجيئوا به ليحاكمنى ، وانما ليحكم على ! ولا أنسى محادثات تليفونية كثيرة دارت بينه وبينى اثناء توليه محاكمة صلاح الدين وزير الخارجية ، فقد كان يرجونى الاهتمام بنشر صوره ، وكان يحرص على أن يقول لى انه أخلص رجل لجمال عبد الناصر ، وانه اذا طلب اليه أن يلقى بنفسه فى النار ، فلن يتردد ، وكان يقول لى هذا طبعا لأبلغه الى الرئيس عبد الناصر ، لأنه كان يعلم أن العلاقة بينى وبينه وطيدة ! وعندما اردت مرة أن أطمئن منه على الحكم فى قضية صلاح الدين ، وانا واثق انه برىء ، فوجئت به يقول لى يومها أنه واثق أيضا أن صلاح الدين برىء ولكنه « عبد المأمور » ! وبعد ذلك حكم على محمد صلاح الدين « البرىء» بالأشغال الشاقة المؤبدة ! .

ولقد قيل لى أن غلطتى الوحيدة هى أننى قلت ان الرئيس هو الذى كلفنى بالاتصال بأمريكا ، وأن هذا سر كان يجب أن أحتفظ به ، حتى لو وقفت أمام المشنقة ! وقد رفضت أن أقتنع بهـذا المنطق الأعرج ، حتى وأنا اتلقى أشكالا وألوانا من التعذيب . وقد تلقيت تهديدا قبل المحاكمة اننى اذا فتحت فمى وتكلمت عن التعذيب فسوف يسموننى فى السجن ، ويخطفونك ويضعونك فى صندوق ويرسلونك الى مصر ! وانا لم أخف من كل هذا ، فان الموت أخف كثيرا مما تعرضت له . ولكنى أعرف أن لا جدوى من الكلام أمام الدجوى ، فقد صدر قانون خاص من أجلى ومن أجل جميع الذين عذبوا ، وقد نص هذا القانون الغريب على أنه لا يجوز الطعن فى اجراءات التحقيق فى هـذه القضايا بالذات ، وذلك حتى يمنـع المحامين من أن يثيروا موضوع التعذيب الوحشى الذى حدث فى هذه القضايا . وعندما وقفت أمام الدجوى رفضت أن أتكلم ، أو أدافع عن نفسى بكلمة واحدة . فقد علمت من هيكل أن المحاكمة ستكون سرية حتى لا يعرف الناس ما جرى فيها . ولو كان الذين ظلمونى يظنون أن المحاكمة تديننى لأسرعوا باذاعتها كاملة . ولكن ما كادت الجلسة تبدأ حتى طلب الادعاء جعل الجلسة سرية . وخرج عشرات الصحفيين الذين جاءوا من أنحاء العالم لمشاهدة محاكمة الصحفى الذى تجرأ وقال « لا »!

وانا لم اقل « لا » للاشتراكية . ولم اقل « لا » لتأميم أخبـار اليوم . ولم اقل « لا » لأى عمل كبير من الأعمال التى حققتها الثورة من أجل الشعب . لقد قلت « لا » للدكتاتورية . « لا » للتعسف والارهاب . « لا » للمعتقلات والسجون ، « لا » للعـدوان على الحرية وحقوق الانسان . أننى أحد الذين اشتركوا فى بناء الهرم فمن غير المعقول ان أعمل على هدمه . ولكن هل أسـكت على الذين وضعوا فوق قمة الهرم صندوق زبالة يضعون فيه قاذوراتهم . أننى كنت أخاف على عبد الناصر ولا أخاف منـه . أخاف على الثورة ولا أخاف منها ، أخشى أن ينحرف مسارها وينهار الجبل فوق رؤوسنا جميعا ! فى الأوقات العادية لا يعتبر هذا العمل « خيانة وطنية » بل يعتبر « منتهى الاخلاص » ولكن يوم يتسلق الى قمـة الثورة الانتهازيون والافاقون ومجنونو السلطة تصبح كلمة « لا » الصديقة هى خنجر فى ظهر القيادة ! انهم لا يريدون أصـدقاء بل يريدون

عمـــلاء ! لا يريدون شركاء وانما يريدون تابعـــين . ولا يريدون نصحاء ، وانمـــا يريدون حمـــلة مباخر يسجدون مع الساجدين ويركعون مع الراكعين ! .

ومن المضحك أن الادعاء وقف اثناء المحاكمة والتفت الى وقال :
ــ كيف تطلب قمحا من أمريكا ؟ ! مين قال لك يا مصطفى احنا عايزين قمح ؟ مصر ليست فى حاجة الى قمح من أمريكا .

ومن سخرية القدر انه فى هذا اليوم بالذات ظهر مقال محمـــد حسنين هيكل الأسبوعى وقال فيه بالحرف الواحد « انه ليس سرا أن ستة أرغفة : من عشرة مصنوعة من قمح المعونة الأمريكية »!.

ومن الطرائف أنه ظهر اثناء المحاكمة بجلاء أن شرائط التسجيلات ملفقة ، ومحذوف منها كلمات ، وقد كان التزييف واضحا حتى أن الادعاء لم يجرؤ على الدفاع عن سلامة هذه الأشرطة .

ومن أهم ما جاء على لســـان الادعاء أن مصطفى أمـــين ضلل المخابرات الأمريكية .

فقلت له ساخرا : وهل هذه جريمتى التى أحاكم من أجلها ؟

وترافع الدكتور محمد عبد الله المحامى مرافعة رائعة ، وترافع الأستاذ حمادة الناحل مرافعة ممتازة ، ويدأ مرافعته بأن هـــذه ليست أول مرة أترافع فيها عن مصطفى أمين ، فقد ترافعت عنـــه فى قضية اتهم فيها بالعيب فى الذات الملكية ، ثم فند الاتهام ونسفه نسفا . وترافع الأستاذ محمد عبد السلام المحامى المنتدب وقـــدم مذكرة قوية أعجب بها محمد عبد الله . وقد أثار المحامى المنتـــدب أن التسجيلات استخدمت فى ليلتين فى ندوة بنقابة الصحفيين بدعوة من رجال صلاح نصر . ومعنى ذلك أن الشريط الأصلى ليس موجودا فى المحكمة ، وكان المفروض أن يكون فى حرز . وقد بدأ على المحكمة الفزع ، وتجاهل الدجوى هذه الفضيحة ولم يرد عليهـــا . ومن المضحك أن رجال صـــلاح نصر ادعوا أمام الصحفيين أننى الذى توليت بنفسى ترجمة الأشرطة ، مع أنهم هم الذين لفقوها وترجموها!

وفى نهاية الجلسة طلبت ان اتكلم . ووقفت وقلت : اريد أن اقول كلمة وهى اننىمؤمن بالله ومؤمنببراءتى ومؤمن ببلادى . وانا سعيد ان احاكم فى هذا البناء .. مجلس الثورة .. ففى اثناء عدوان عام ١٩٥٦ اختارنى الرئيس جمال عبد الناصر من بين الثمانيـة والعشرين مليونا من المصريين ، لاقوم بالدعاية فى أوربا وأمريكا لهذه المعركة . وان اتفاوض باسمه فى الجلاء . وكنا فى الغـرفة التى فوق جلسة هذه المحاكمة . يومها قال لى الرئيس عبد الناصر احب أن انبهك انك ستركب أول طيارة تطير أثناء الضرب ، وانك قد تموت أثناء الرحلة .

قلت : ليكن ! ان عشرات الألوف يموتون الآن فى بورسعيد .

ومن سخرية القدر أن يقف الادعاء ، فى نفس هذه البناية ، ليطالب بعد تسع سنوات براسى !

ومن سخرية القدر ان يراس هذه المحاكمة الفريق الدجـوى الذى كان يحارب فى المعركة ، واسره اليهود وهو فى الجيش ، وصوروه فى تليفزيون أمريكا وهويستسلم ويشكر اسرائيل ، وهاجموه وهاجموا الجيش المصرى معه واختارنى يومها الدكتور أحمد حسين سفير مصر فى أمريكا لأدافع عن الدجوى وعن بطولة الجيش المصرى فى ١٦٠ محطة اذاعة وتليفزيون فى أمريكا .

وأخيرا يبارك الله فى خطوات جمال عبد الناصر من أجل هـذا الوطن ، حتى لو أدت هذه الخطوات الى أن يدوس على حريتى وحياتى !

ووجمت المحكمة . واصفر وجه الدجوى . ولم ينطق الادعاء بكلمة .. وبكى عدد من رجال الشرطة .

وكان المفروض أن تقول النيابة الكلمة الأخيرة ولكنها لم تتحرك .

وقال الدجوى بصوت هامس : انتهت المحاكمة !

* * *

وقال لى ضباط الشرطة الذين حضروا الجلسة السرية انهم واثقون أن البراءة مؤكدة مائة فى المائة ! اننا الآن نعرف القضية تماما .

وضحكت ساخرا وقلت لهم : ولكن أنتم لا تعرفون الدجوى !

ونسيت أن اقول لك أنه قبل بدء المحاكمة جاء الى السجن ضابط شرطة لينقلنى الى المحكمة فى سيارة لورى . وطلب الضابط من أحد جنود الشرطة الذين معه أن يأخذ « القيود الحديدية » معه . . ولم يكن الضابط يقصد أن يضع القيود الحديدية فى يدى ، وانما قصد أن يحملها الجندى وهو يمشى بجوارى .

ولكن الجندى رفض باستنكار وقال : انت تحط الحديد فى يدى مصطفى أمين ؟ !

وقال لى الضباط أنه مضى عليه ٢٠ سنة فى الشرطة وان هذه أول مرة يرفض فيها عسكرى اطاعة الأوامر ووضع القيود فى يد متهم !

هذا هو الشعب !



الدجوى أسير الملك :
الفريق الدجوى رئيس المحكمة العسكرية يقسم على
القرآن أن يحكم بالعدل فى بداية المحاكمة !



القانون في اجازة .

المحامون علي حمادة الناغي ومحمد عبد الله ومحمد عبد السلام
في اثناء المحاكمة كان من رأى محمد عبد الله انه لو كان القاضي تلميذا
في السنة الاولى بكلية الحقوق يعرف الف باء القانون لحكم بالبراءة !!



قلت للدكتور محمد عبد الله وحمادة الناحل
المحامين : أريد أن أثبت للمحكمة بأن
المتهم برىء ، والقاضى هو المتهم !

كمال الدين حسين يتكلم !

سجن الاستئناف

عـزيزتى ••:

زار بعض تلاميذى السيد كمال الدين حسين بعد الافراج عنه فقال لهم بالحرف الواحد : خطاب « اتق الله. » الذى أرسلته لجمـال عبد الناصر كان احتجاجا صريحا ، وكلمة حق واجبة على كل مسلم ، ازاء اجراءات الارهاب والقمع والبطش على المواطنين الأبرياء . فقد عرفت ان كل مسجون سياسى يدخل السجن ــ ايا كان هـذا السجن ــ لا حرمة له ، حياته مستباحة ، شرفه مستباح ، دمه مستباح . كنت أسمع كل يوم الوانا غريبة من التعذيب التى تحدث للمعتقلين والمسجونين السياسيين . ولقد تأكد لى صحة ما كنت اسمعه . ان عمليات القهر والعدوان والغاء القانون واباحة التعذيب فاقت كل وصف . لقد اصبح الحاكم الها ، منذ صدر القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ . أعطى هذا القانون كل السلطات للحـاكم شخصيا . حق الاعتقال ، ومصادرة الأموال ، واقامة المحـاكم العسكرية بلا أية اعتراضات من أية جهة قضائية . وهذه هى المهزلة الكبرى ، أصبحت كل الجهات القضائية والتنفيذية ملغـاة أمام هذا القانون ، ابتداء من شيخ الحارة حتى رئيس محكمة النقض! ولذلك ، وبعد أن تأكدت بطرقى الخاصة وبصفة قاطعة من وقائع التعذيب الفظيعة التى لا يمكن أن توصف ، كنزع الأظافر ، والنفخ ، والقتل ، وهتك الاعراض ، والصلب ، الى آخر انواع التعـذيب التى لا يقرها دين ولا قانون ولا شرع ، بعد أن تأكدت أن الحـاكم اصبح الها ومنح لنفسه كل الاختصاصات وكل السلطات ، وبعـد أن منح لنفسه الحق الالهى ، كان واجبا على كمسلم ، وكمـواطن مصرى ، وكما يطالبنى الدين ، وكمواطن ساهم فى الاعداد والقيام

بثورة ٢٣ يوليو ان اقول له هذه الكلمة « اتق الله » .. حـــرام عليــك ..

قلتها واصبحت مستريحا ، فلا خير فى اذا لم اقلها ، وقد قلتهــا له كتابة فى ذلك الخطاب « اتق الله » .

وقد اعتقلت ثلاثة شهور كاملة فى استراحة الهرم .. والغريب أن جمال عبد الناصر كان يسمي الاعتقال تحديد اقامة ، فهل تحديد الاقامة يكون باحاطة الاستراحة بمائة عسكرى من القوات المسلحة بالمدافع الرشاشة ، والأسلاك الشائكة ، واقامة الخنادق والدشم والسيارات المدرعة حول المبنى الذى أعتقلت فيه . ومنع الزيارات ؟ هل هذه الاجراءات هى تحديد الاقامة !

وقبل القبض على جاء رجال مخابرات صلاح نصر وفتشوا بيتى ومكتبى ، كانوا يعتقدون انني أخفى أسلحة أو وثائق ، أو اسماء لبعض الضباط ، ولكنهم لم يجدوا شيئا فاضطروا لأخذ مذكراتى التى كنت أكتبها عن الثورة .. ثورة ٢٣ يوليو .. ولم تكن مذكرات كاملة . كانت عبارة عن مسودات للمذكرات ، ولكن .. لقد اخذوها قبــل ان اتم كتابتها كاملة . كما أخذوا صورة الخطاب الذى أرســلته الى جمال عبد الناصر وقلت فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

من كمال الدين حســين

انا لا احقد عليك .. ولكنى ارثى لحالك .

أنت الذى كنت تقول للناس ارفع راسك يا اخى ، فقد خفضت كل الرؤوس ..

كنت تقول للناس ان بناء المصانع سهل وبناء المدارس سهل وبناء المستشفيات سهل . ولكن الصعب هو بناء الرجال . لقد حطمت كل الرجال .

كنت تقول كذا .. وعملت كذا .

كنت تقول كذا .. وعملت كذا .

ان الشيء الوحيد الذى اندم عليه فى حياتى هو اننى شاركت يوما فى صنعك انت .. صنع الصنم الأكبر .

كمال الدين حسين

وقال كمال الدين حسين لتلاميذى : انهم وهم يفتشون بيتى عبثوا بكل أمتعتي وآثاث البيت ، ولكنهم لم يأخذوا شيئا منها .. مزقوا بعضها فقط .. والحمد لله!

وقال كمال الدين حسين ، كتبت الى جمال عبد الناصر ٣ استقالات الأولى سنة ١٩٦٢ .

الثانية سنة ١٩٦٣ .

والثالثة والأخيرة كانت فى اغسطس سنة ١٩٦٣ .

ومضمون هذه الاستقالات كلها هو فى الحقيقة تحذير للحاكم من انفراده بالسلطات ، تحذير له من جمع كل السلطات فى يده ، تحذير له من ضربه حقوق الشعب بعرض الحائط . تحذير له من التسلط على الناس ، من الاتجاه بالدولة الى حكمها حكما ديكتاتوريا مطلقا .

كنت اقول فى كل خطاب استقالة لا أستطيع أن أستمر فى السلطة التنفيذية وسط المسرحية الكاذبة المضللة عن الديمقراطية ، وكانت ديموقراطية مزيفة .

كنت أقول فى استقالاتى اننى لا أستطيع ان أواجه الشعب وأبرر له كيف أن ثورة ٢٣ يوليو وهى ثورة الحرية والديموقراطية والعدالة تنقلب تدريجيا ، وطبقا لمخطط مرسوم دقيق ، الى ثورة بطش وارهاب وديكتاتورية .. وتأكد ذلك فعلا بعد صدور القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ الذى أعطى للحاكم الحق الآلهى ! ولقد ضمنت خطاب آخر استقالة فى اغسطس سنة ١٩٦٣ قولى « انا لو بقيت سأفقد نفسى ، وأنا لا أريد أن أفقد نفسى ، ولا أظن أن من مصلحة وطنى أن أفقد نفسى » .

انتهى بالحرف الواحد ما قاله كمال الدين حسين .

في عربة حيوانات !

سجن القناطر

اغسطس سنة ١٩٦٦

كان اول ما اهتممت به أن ابلغكم اننى سأنتقل الى سجن القناطر . القرار سرى وأحيط بكتمان شديد كانه سر حربى ! ولكنى عرفته !

قلت لكم اننى محتاج لثلاث حقائب انقل فيها حوائجى . انقذتنى الحقائب الثلاث . اضطررت أن أربط بعض حاجاتى بدوبارة . عدت الى استعمال « البقجة » بعد غياب طويل .

مأمور السجن أمر بمنع دخول الطعام أو خروجه يوم الانتقال من سجن الاستئناف الى سجن طره ، خشية أن يتسرب الى الأعداء نبأ انتقالنا ! الأعداء هنا هم الشعب المصرى طبعا !

الذى أدهشنى أن الحراس فى سجن الاستئناف ودعونى وهم يبكون بحرارة . وكذلك المسجونون . لم أتصور أنه من الممكن أن أصنع كل هذه الصداقات الحلوة بهذه السرعة وبهذه الكثرة ! السجن كالموسى يبرى المشاعر . يجعلها حامية حساسة مدببة ! كالأقلام الرصاص التى نبريها بالموسى ! العاطفة هنا تنمو فى داخل الزنزانة فى يوم أكثر مما تنمو فى عالم الحرية فى سنة .. صخب الحياة فى الخارج يميت المشاعر ويمزق الروابط ويضعف الصداقات علاقات المحنة تولد فى النار ، ولهذا تصقل ولهذا تعيش . لم أتصور أن زملائى المسجونين أحبونى الى هذه الدرجة كانوا يبكون كالأطفال، أنا لم أفعل من أجلهم أى شىء سوى اننى أحببتهم ، سوى اننى شعرت بهم . لم أستطع أن اتغلب على شعورى أمام هذه العواطف فامتلأت عيناى بالدموع .

وكم كانت دهشتى عندما وضعونى أنا وزملائى المسجونين السياسيين ، فى سيارة لورى مفتوحة يحيط بها السلك من كل

جانب ، كالسيارة التي يحملون فيها الخراف الى السلخانة للذبح .

لم اصدق عيني . كأنهم يتعمدون احتقارنا . أو كأنهم يريدون أن يقولوا لنا انهم سيعرضوننا على الناس ، ولن يتحرك فرد واحد من اجلنا . منتهى الاحتقار لنا والثقة بالنفس منهم ! وعندما صعدت الى اللورى لم اجد فيه مكانا للجلوس . لم تكن فيه مقاعد . زملائي جلســوا على الأرض . وقررت أن أقف . ولكن سقف السـيارة السلك كان منخفضا . فاضطررت أن أحنى رأسي من القـاهرة الى القناطر . وقد فهمت أن المقصود من وضعي في هذه السيارة ان يضطروني الى احناء رأسي ! يا لهم من أطفال صغار !! ان الظالمين يتوهمون انهم يذلوننا عندما يضعوننا في عربة نقـــل الحيوانات .

لم اشعر بأى اهانة . ان قدم الظالم فوق رأسي لا ترفعـــه وانما تنزل به الى الحضيض ! كان الناس يلمحونني في الشـــوارع فلا يصدقون عيونهم ! لم يتصوروا أن حكومتنا تعامل خصومهـــا في الرأى معاملة الحيوانات ! وفهمت من هذا التصرف شيئا جديدا . منذ سنوات كان الظالم يرتكب مثل هذه الحماقات سرا . أما اليوم فهو يتباهى بها ! انها خطوة كبيرة نحو النهاية ! عندما يكشف الطغيان عن وجهه سافرا ، ولا يتخفى ، ولا يخجل من نفسه . هذه الجراة والاستهتار هي التي تضع النهاية .. هي أعراض السكتة القلبيـــة التي يصاب بها فجأة الطغيان ! الحكومات عندما تظلم الأبرياء لا تظلم الأبرياء وحدهم ، انما هي تظلم نفسها ! وعندما تشنق الأبرياء انما هي تشنق نفسها ، أو على الأقل تعد المشنقة التي ستعلق عليهـــا في يوم قريب ! انني الاحظ أن الطغاة الصغار لا يستحون . لا يخجلون من الجرائم التي ارتكبوها . أصيبوا بالعمى فلا يرون ما تفعـــل أيديهم : أصيبوا بالصمم فلا يسمعون صرخات المعذبين وصراخ المضروبين بالسياط ! معى هنا في السجن متهم بسرقة ثلاثة جنيهات . يا للجريمة الكبرى ! أما الذى يسرق الملايين فهو مطلق السراح . أحيانا اشعر بأن العدالة مسجونة معي في الزنزانة المجـــاورة لزنزانتي ! وأمامى زنزانة فيها « الحرية » .. وزنزانة ثالثة فيها « المروءة » ! ما أكثر الأشياء الجميلة المسجونة معنا .

سيجىء اليوم الذى سيطلق فيه سراحنا جميعا !

ولكن لابد أن تقع كارثة كبرى ليفتح الطغاة عيونهم وآذانهم وعقولهم !



ضابطان من قوات الامن يقودانني الى مجلس الثورة حيث عقدت محكمة الدجوى . مئات الجنود المسلحين يقفون فى الطريق من السجن الى المحكمة

سجن القناطر

أغسطس سنة ١٩٦٦

تمتعت بالرحلة من سجن الاستئناف الى سجن القناطر فى لورى. رحت أقنع نفسي بأنني استنشق هواء النيل الذى حرمت منه أكثر من عام! ولكن يظهر انني استنشقت هواء أكثر من اللازم، ولهذا أصبت بانفلونزا حادة جدا. كان أكثر ما أسعدنى فى الطريق محاولات سكرتيرتى أن تلحق بسيارتها سيارة اللورى التى تحملنى، ومقاومتها للحراس، وعنادها، واصرارها على المقاومة، ثم رأيت كيف فقد الضابط الذى يحرسنا أعصابه وهدد بكسر سيارة السكرتيرة! كان الضابط يخشى أن تخبرنا السكرتيرة بأخبار الدنيا الممنوعة عنا! .. آه لو يعلمون اننى فى زنزانتى أعرف ما كنت أعرفه وأنا رئيس تحرير أخبار اليوم. فى الطريق مررنا بشارع الجلاء الذى كنت أمر فيه صباح كل يوم الى أخبار اليوم، ومررت على كوبرى أبو العلا، وتذكرت بيتى فى الزمالك، وتذكرت طريق الكورنيش الذى كنت أقطعه ذهابا وايابا، وكنت أمر به عندما أسافر الى الاسكندرية بالطريق الزراعى. وفى طريق القناطر تذكرت أنه نفس الطريق الذى كنت أقطعه بسيارتى مئات المرات عندما كان الرئيس جمال عبد الناصر يستدعينى لمقابلته فى استراحته بالقناطر الخيرية. لم أقارن مطلقا بين سيارتى البويك وعربة الحيوانات التى ركبنا فيها. ولا بين زيارة رئيس الجمهورية فى القناطر الخيرية وزيارة سجن القناطر. بالعكس كنت مرحا. أضحك وأهزر. كانت روحى عالية جدا، أدهشت زملائى الذين كانوا معى. وكنت أشعر بحزن للآلام التى تعرض لها زميلى المسجون الأميرلاى محمد يوسف، فهو مريض بغضروف فى ظهره، وكانت رحلته فى اللورى أشبه برحلة الموت!

وعندما كنا نسير فى شوارع القاهرة كنا نخالف اشارات المرور ، كانت سيارتى تعدو بسرعة مجنونة ، تكاد تصطدم بكل سيارة من شدة سرعتها . كنا نقع فوق بعضنا عندما يدوس السائق على الفرملة فجاة . كان الضابط يقول ان الوقت المحدد للرحلة نصف ساعة على الأكثر ، واذا لم نصل فى الموعد فستقوم الدنيا ولا تقعد . ولكن حدث عندما وصلنا أمام القناطر الخيرية أن وجدنا الهويس مفتوحا ، واضطررنا أن نقف فى الشمس نصف ساعة ، وحاول الضابط عبثا اقفال الهويس ، وتجمع الناس حولنا ، وراحوا يشيرون بأصابعهم الى ، ويحيوننى ! واصيب الحراس بالرعب ، وقال لى واحد منهم انهم سيحيلون الضابط والعساكر الى مجلس عسكرى، وطلب منى عسكرى أن أدير ظهرى للناس ، فأطعت وادرت ظهرى، واذا بالناس الواقفين فى الناحية الأخرى يحيوننى ! وانقذ الموقف انهم اقفلوا الهويس !

عندما وصلنا الى القناطر انشرح صدرى بمشاهدة الأشجار والمزروعات الخضراء ، ولون جدران السجن البيضاء . كان سجن القناطر اشبه بالجنة اذا تسامحنا واطلقنا على سجن الاستئناف اسم « مقبرة » .

واستقبلنا بالتفتيش الدقيق . أهم شيء هنا أن الشمس تدخل الى فناء السجن . فى سجن الاستئناف كانت أشعة الشمس من الممنوعات . كانت زنزانتى فى الاستئناف تطل على غرفة تنفيذ الاعدام . وأحمد الله اننا نقلنا فى ذلك اليوم ، فقد كان من المقرر تنفيذ حكم الاعدام فى احد المسجونين ، ولم أكن أريد أن اشهد أكثر من تنفيذ حكم اعدام واحد . . وكانت الأخبار وصلتنى أن النية متجهة الى اعدام عدد من الاخوان المسلمين . ان عملية تنفيذ الاعدام تهز أعصاب كل من فى السجن هزا عنيفا . . فما بالك اذا كان تنفيذ الاعدام سيكون فى أبرياء ! ؟

قيل لى انه اختيرت لى أحسن زنزانة فى السجن . وهى فى الطابق الثانى رقم ١٤ . الغرفة أصغر كثيرا من زنزانتى فى سجن الاستئناف . الحائط ليس مرتفعا وبدأت اجراء تعديلات فيها . اننى اجد لذة فى أن أصنع من النسيخ شربات . استعنت بمسجون

اسمه « كشكش » خبير فى الطهى والنظافة والدهان وتهريب الممنوعات ، من النوع الذى يقال فيه « بتاع كله » !

من أهم المشاكل التى صادفتنى مشكلة الكهرباء . مفتاح الكهرباء موجود خارج الغرفة ، وليس قريبا من الباب ، كما كان الحال فى سجن الاستئناف ، ولا استطيع أن امد يدى من خلال حديد قضبان النافذة لأصل الى مفتاح الكهرباء ، ثم عرفت أن المسجونين هنا اخترعوا طريقة وهى ربط المفتاح بدوبارتين ، تشد دوبارة فتفتح النور ، وتشد الدوبارة الثانية فتطفىء النور ، وتعلمت هذه الطريقة المبتكرة الى أن هرب لى أحد المسجونين « كمتراية » . وانقذت الكمتراية الموقف تماما . ولم تحدث العقبات والصعوبات التى حدثت للكمتراية التى وضعتها فى زنزانة سجن الاستئناف .

كان السرير فى حالة سيئة . وكذلك المرتبة . البق اتخذ فى داخل المرتبة قواعد حربية ورفض الجلاء ! مكثت عدة ليال اقاوم العدو . مرة انتصر ومرات ينتصر هو . طلبت الاذن باحضار سرير ومرتبة من البيت . وعندئذ صدر الأمر بصرف مرتبة جديدة وسرير جديد . عيب المرتبة الجديدة انها نصف مساحة السرير . هكذا يصبح نصف جسمى معلقا فى الهواء . بالطول والعرض ايضا ! أمكن تدبير الموقف . قام المسجونون بتنجيد مرتبة جديدة .

واستطعت بعد بضعة أيام أن أذوق النوم ! من مزايا هذا السجن انك تجد مسجونين من جميع الصناعات ! جزمجى وحداد وترزى ومنجد . وجزار وحانوتى أيضا !

أحضر لى المسجون كشكش جردل الماء الذى كان يشرب منه فؤاد سراج الدين عندما كان مسجونا هنا ! . . واعتبرت حصولى على هذا الجردل تكريما خاصا !

كان أهم ما اسعدنى أن الكولونيا فى هذا السجن ليست ممنوعة . وكان هذا خبرا سارا جدا بالنسبة لى . فقد كانت زجاجة الكولونيا تلعب لعبة القط والفار مع مأمور سجن الاستئناف .

ووضعت لمبة الكهرباء فوق راسى ، ولقد كنت وضعتها كذلك فى زنزانتى فى سجن الاستئناف ، ولكن مأمور سجن الاستئناف قال ان اللائحة تقول ان اللمبة تكون فى وسطة الغرفة ، ونفذت الأمر ، ونتج عن ذلك أن عينى كانت تتعب من القراءة ، لأن النور كان بعيدا عنى . احمد الله وامسك الخشب لأننى الآن سوف أستطيع أن اقرا كما اريد !

بقيت عدة أيام بغير كرسى . كانت سكرتيرتى احضرت لى مقعدا من القماش ، أردت أن أجلس عليه فلم يتحمل ، ووقعت على الأرض . ولكن جت سليمة صرفوا لي أخيرا كرسى خيزران وأحسست وأنا اجلس عليه لأول مرة كاننى أجلس على كرسى السلطان !

أحضرت لى السكرتيرة مائدة ، استعملها لتناول الطعام . استطعنا أن نهربها الى داخل السجن ! بقيت عدة أيام قبل ذلك أتناول الطعام فوق حقيبة ، واستعمل الحقيبة كمكتب . وكانت تقوم بهذه المهمة خير قيــام .

نسيت أن اقول لك اننى عندما دخلت سجن القناطر قابلنى جميع المسجونين العاديين فى شبه مظاهرة ، واقبلوا على يحيوننى ، وأصيب الحراس بالرعب وجاءوا يقولون لى « بيتنا سيخرب » . وصدرت الأوامر يمنع اختلاط المسجونين العاديين بالمســجونين السياسيين ، ونقلوا جميع المسجونين العاديين من الطابق الذى نحن فيه . ولكن هذه الأوامر لم تمنع المسجونين فى دهاليز الأدوار الأخرى من أن يحيونى ويدعوا لى . ومع أن الترحيب الذى قوبلت به فى سجن الاستئناف أذهلنى ، الا أن الترحيب الذى رأيته هنا عشرة أضعاف ما حدث لى فى سجن الاستئناف .

ان كل مسجون لا صــوت له يعتقــد اننى صــوته ! والذين لا يستطيعون الا أن يهمسوا يعتقدون اننى وحدى أستطيع أن أصرخ ! أحس بالذعر لانهم يتوهمون اننى أقوى الف مرة من حقيقتى ! انهم لا يعلمون اننى أضعف منهم جميعــا . كيف يستطيع المظلوم أن يرفــع الظــلم عن مظــلومين مســحوقين ؟ اننى لم أقــل

لاحد انني اهرب قصص المظالم الى خارج السجن ولكن العجيب انهم يشعرون بشعور خفى لا اعرف مصدره انني أريد أن أساعد كل واحد منهم ! هل يوجد لاسلكي خفى بين القلوب يعرف به الناس من يحبهم دون أن يفتح فمه !

اننى أحيانا لا انام الليل . اسائل نفسى هل استطيع أن أساعد كل هؤلاء ؟ . أنا رجل بلا قلم . بلا عمل . بلا اسم . ماذا أستطيع أن افعل لمقاومة هذه المطارق الهائلة التى تنهال علينا كلنـــا ! المهمة المطلوبة منى لا يستطيع أن يقوم بها بشر . الله وحده هو الذى يستطيع أن يفعل كل هذا . احساس غريب يقول لي أن الله معى. هذا الاحساس وحده هو الذى يجعلنى أغمض عينى وأنام !

الحكم على الأطفال بالجوع !

سجن القناطر

حدثت ازمة فى أوائل أيام وصولنا الى سجن القناطر . ان كثيرين من المسجونين السياسيين لم يصلهم طعامهم من بيوتهم . اسر كثيرة لا تملك أجر الركوب فى الأتوبيس من القاهرة الى القناطر ! السجن ليس سجنا فقط . انه خراب بيوت أيضا . الحاكم لا يسجن خصمه وحده ، بل هو يحكم بالجوع على زوجته وأمه واطفاله . طعام السجن لا يؤكل . الكانتين كان مقفلا ولم يسمح لهم بشراء طعامهم من الكانتين . فى العهود الغابرة كانت الأحزاب تنفق على المسجونين السياسيين . كانت اللجان تؤلف لمساعدة أسر المسجونين أذكر كيف كنا ونحن أطفال نذهب مع أم المصريين لزيارة اسر المسجونين والمنفيين فى بيوتهم . الآن مساعدة أسرة المسجون السياسى جريمة . خيانة عظمى ! معى فى السجن مسجونون مطلوب الحكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة لأنهم ساعدوا أسرة مسجون سياسى كاد أطفاله يموتون من الجوع . من يصدق أن المروءة فى هذا العصر اصبحت جريمة أشنع من السرقة والنصب والقتل ! كم سنة سوف يحتاج اليها هذا البلد ليسترد قيمه وتقاليده ومثله ! لا يزال بعضنا يقاوم . ما زلت أرى مروءة وشهامة وصداقة ترتكب فى الخفاء وكأنها جريمة خلقية !

وجدت أن الحل الوحيد لمقاومة الجوع الذى فرض على زملائى المسجونين بسبب اغلاق الكانتين أن أستنجد بأصدقائى خارج السجن . وأمكن أن أوزع طعامى عليهم . استطعت أن أقسمه على ١١ مسجونا سياسيا . كل واحد منهم نال نصيبا ضئيلا ! ما ألذ الطعام القليل عندما يقسم على الكثيرين ! وما أردأ الطعام الكثير اذا انفرد به شخص واحد !. انني أمضيت أسبوعين أوزع طعامى على زملائى ، واكتفى بعلبة سردين أو قطعة جبن .. كانت

اشهى من المآدب الكبرى التى حضرتها فى حياتى . كنا جميعا جوعى . ولكننا كنا سعداء بحلاوة المشاركة فى الجوع . رفقة السجن تجعلنا نقترب من بعضنا كثيرا . احساسنا باننا نقاوم الظالم جائعين يسعدنا ، ويشبعنا !

لقد اصبحت المقاومة الوحيدة التى نستطيع ان نقاوم بها الظالم هى أن نعيش .

ولكن فى كل يوم يسقط واحد منا مريضا !

راقبوه .. احذروه !

سـجن القنـاطر

اغسطس سنة ١٩٦٦

لست أعرف من أين ابدا . انني اشعر كأن لدي أشياء كثيرة ارجو ان اقدمها . لا أعرف كيف أبدا القصة . ولأحاول ان ابدأ القصة من أولها .

عندما سمعت بنبأ القرار الذى صدر بنقل المسجونين السياسيين من سجن الاستئناف الى سجن القناطر ، كان أول شيء فكرت فيه هو انتم . كنت احمل هم المشوار الطويل الذى ستقطعونه كل يوم من القاهرة الى القناطر . الطريق زراعى ملىء بالسيارات والأتوبيسات والدواب . وكان يزعجنى تصورى انكم سوف تقطعون هذه المسافة مرتين فى اليوم ، ثم عندما عرفت انكم اقترحتم بأن تكتفوا بالحضور الى السجن مرة واحدة فى اليوم تنفست الصعداء .

وكانت المسألة الثانية التى تشغل بالى هى خيبة أملكم . انكم عشتم شهورا على الأكاذيب التى كانت تقال لكم من أنه تقرر نقلى من السجن الى مستشفى خارجى . فاذا بكم ترون أن الذى تقرر هو نقلى من سجن قريب الى سجن بعيد ! وكانت المسألة الثالثة هى اننى اعتدت أن أكتب كثيرا ، وأنا فى سجن الاستئناف . وانتقالى الى سجن القناطر جعل المسألة صعبة جدا . الوجوه جديدة . الحراسة شديدة . المثل يقول « الغربال الجديد له شدة » وهكذا اشتدت الرقابة ! التعليمات الصارمة سبقتنا . راقبوه ! احذروه ! شددوا عليه الخناق . احيطوه بالجواسيس الذين يجيئون لنا بكل حركة يقوم بها أو بكل كلمة يقولها . اننى أخطو خطواتى بحذر شديد . خطوة واحدة فى الهواء قادرة على أن تقطع صلتى بالعالم

كله ! المطلوب الا اتصل باحد او يتصل بى احد . الا يعـرف أحد اننى مظلوم ! مهمتى الأولى أن اعرف العيون التى تراقبنى لأضـع على هذه العيون عصابة سوداء .

المشكلة الرابعة والاخيرة التى تشغلنى اننى عرفت النـاس فى سجن الاستئناف وعرفونى ، وسوف أحتاج الى وقت طويل حتى أكون صداقات جديدة . حبى للناس يجعل النـاس الذين لا أعرفهم يحبوننى . أعطيهم قلبى فيعطوننى حياتهم !

كيف يستطيع رجل واحد ان يقاوم دولة ! رجل مقيد بالأغلال لا يملك أى شيء سوى ايمانه . فصلونى من عملى دون انتظـار الحكم . رفضوا أن يعطونى مليما واحدا ثمنا لدار أخبار اليـوم . وضعونى تحت الحراسة . اقفلوا شقتى بالشمع الأحمر . قلمى قصفوه . لم يبق لى الا ايمانى بالله ، وحب الناس .. اشـعر بهذا أننى قوى جدا . سأحاول أن أقاوم . لن أموت الا واقفا !

تهريب الخطابات

سجن القناطر

اغسطس سنة ١٩٦٦

منذ وقت طويل لم أكتب اليكم . كأنها شهور طويلة . ان فى الكتابة الى الذين أحبهم راحة وسعادة . ولكنى لم أستطع أن أكتب . لم يكن عندى قلم أكتب به فى السجن الجديد . لم أجد مائدة فى زنزانتى أكتب عليها . وطلبت من الطبيب أن يصرح لى بمائدة نظرا لأن مرض النقرس يمنعنى من أن أحنى ظهرى على الأرض وأنا أتناول الطعام . . وبقيت عدة أيام فى مفاوضات ومباحثات واتصالات حتى سمحوا لى بمائدة . وعندما وصلت المائدة مرضت ، ومنعنى مرضى من الكتابة .

وكانت مشكلتى الأولى هى كيف أضع فى السجن الجديد خطة لتهريب الخطابات . أن الشبكة التى كونتها فى سجن الاستئناف لم تنتقل معى الى سجن القناطر . كان لابد من تكوين شبكة جديدة . المهمة صعبة . كيف أستطيع أن أجد عددا من الرجال الذين يمكن الثقة بهم ، ولا يشوا بى الى ادارة السجن أو المباحث أو المخابرات ! ليس عندى ما أعطيه . لا مال ولا نفوذ ولا سلطات وهم عندهم كل شىء ! ليس معى الا الله . أومن بأن الله سوف يحمينى وأنا أؤلف الشبكة الجديدة التى سوف تهرب لى الخطابات هنا !

وقد بدأت اختيار العضو الأول فى العصابة . انه رجل اعترف انه قتل ولم يقتل ! ولكنه كان يعمل فى خدمة عمدة فى أسيوط ، وقتل العمدة أحد خصومه ، ثم طلب من خادمه أن يفتديه ويعترف بأنه القاتل فى مقابل أن يعطيه فدانا ! وقبل ابراهيم هذه القسمة الظالمة.

وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة لينجو القاتل الحقيقى . أحس ابراهيم اننى برىء مثله ، وقبل أن يتولى عملية التهريب الخطرة . انه لا يقرأ ولا يكتب ويتصور اننى اكتب تظلمات وشكاوى الى الجهات العليا ، لا خطابات الحب فيها الظلم والظالمين ! اننى أحتاج لعشرة مثل ابراهيم . ولن تكون مهمة العثور عليهم صعبة . فما أكثر المظلومين فى بلادنا !

سجن القناطر

اغسطس سنة ١٩٦٦

عزيزتى

مرضت فجاة . كانت مفاجأة غريبة . كنت أسير فى فسحة الصباح . شعرت بأننى متعب . صعدت الى زنزانتى . أحسست بقشعريرة شديدة . وضعت الترمومتر فى فمى . درجة حرارتى هى ٤٠ درجة و ٨ خطوط . اشتدت الحالة بعد ذلك . أحضر زملائى مكمدات باردة . وضعوها فوق رأسى طول اليوم . عرفت اننى كنت أهذى ، وكنت أقول « بقى أنا ح أموت ؟ وده كلام ؟ يارب ؟ » واحمرت عيناى . شعرزملائى بفزع شديد . تناوبوا على تمريضى طوال الوقت . حضر الدكتور منير أعطانى أدوية عديدة لانزال الحرارة وحقن تراماليسين . لم تنجح الحقن الا فى أن تنزل الحرارة الى ٣٩ درجة ونصف !

لم أخف من الموت ! الذى رأيته فى غرف التعذيب أشد هولا من الموت . كنت أريد أن أعيش ولو يوما واحدا لأشهد مصرع الطغاة ! يوما واحدا يارب وأموت ! سأقاوم الموت بالايمان كما قاومت التعذيب جربت أن أصلى وأنا راقد فى فراشى . هل سينصفنى الله بعد أن أموت ؟ لا ، سيجعلنى أعيش لأرى مصرع الظالمين ! هل أنا أصلى أم هذا هو هذيان الحمى ! تمنيت فى هذه اللحظات أن أرى الله . ثم هدأت . احسست أن الله يرانى !.

جاءت خيرية وزينب لزيارتى يوم الخميس . كان من رأى الطبيب وأصدقائى الا أغادر الفراش وحرارتى فوق ٣٩ ، اقترحوا على أن

اطلب تأجيل الزيارة . رفضت . خشيت اذا عرفتا أنني مريض أن أثير فزعهما . تحاملت على نفسي . تجلدت . كنت في أشد الحاجة الى ان أشعر انهما بجانبي في هذه اللحظة . وفعلا اصبحت حالتي النفسية أحسن كثيرا . ولكن درجة الحرارة بقيت فوق ٣٩ درجة .

ثم حدثت مأساة . ممرض السجن اعطاني الحقنة خطأ . كان يعطيني حقنة الترامايسين في العرق ، ونزلت الحقنة تحت الجلد ، واذا بي أشعر بحريق يشتعل في ذراعي . وتورمت ذراعي . شعرت بعذاب وألم لا يطاق . احضروا مكمدات ساخنة وضعوها على ذراعي طوال اليوم . وهكذا كانوا يضعون فوق رأسي مكمدات الثلج ، وفوق ذراعي مكمدات ساخنة ! بعد يومين اختفى الورم ، ورفضت بعد ذلك أن يعطيني ممرض السجن أي حقنة ، وتولى ذلك زميلي عبد الغني النشرتي المرض المتهم بأنه سيكون وزير الصحة في انقلاب موهوم لفقته مخابرات صلاح نصر ! استمرت الحرارة غير عادية حوالي عشرة أيام . أصبحت في يوم الجمعة ١٢ أغسطس حرارة عادية للمرة الأولى .

ليس هناك اصعب من المرض في السجن . وخاصة أنه في الساعة الخامسة مساء تقفل أبواب الزنزانة على المسجون ، ويترك المريض الى رحمة الله حتى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي . واذا حدث للمسجون المريض أزمات أو مضاعفات أو احتاج الى اسعاف ، كان الله في عونه ، ومع ذلك استطعت أن أمر بهذه الأزمة بسلام . كان الطبيب ، وهو الدكتور منير يصعد الى زنزانتي في الطابق الثاني مرتين في اليوم ، وهو مريض بالأزمة القلبية . وجاء المأمور والضباط لزيارتي . كان اهتمام زملائي المسجونين بي غير عادي . المكمدات الحقيقية كانت محبة المسجونين لي ! تخصص زميلي المسجون العميد محمد يوسف في صنع شراب الليمون الذي كنت اتناوله باستمرار . تخصص زميلي أنور زعلوك المسجون المتهم بأنه سيكون محافظ الوادي الجديد في الانقلاب الملفق المزعوم في وضع المكمدات على رأسي . كانوا يساعدونني في ارتداء الملابس وخلعها ، وفي غسل وجهي . كنت موضع رعاية واهتمام الجميع .

انشغلت فى الأسابيع الأولى بترتيب حجرتى . هوايتى الكبرى أن أصنع من الفسيخ شربات . وأحول الزنزانة الضيقة الى شقة أنيقة . وأحول السجن الى أخبار اليوم ! وضعت الستائر على النافذة . علقتها على باب الزنزانة لأخفى الشقوق والبقع والخروم. جئت بجردل صغير وركبت له حنفية وضعت تحتها طبق بلاستيك . أصبح عندى للمرة الأولى حوض . كنت فى سجن الاستئناف اغسل يدى ووجهى فى جردل البول . هذا تقدم لو تعلمون عظيم ! علقت الستارة البلاستيك الجميلة البيضاء ذات الخطوط الزرقاء فوق الرفوف الخشبية ، استطاعت أن تخفى الرفوف ، وتخفى الطعام. وقسمت الزنزانة الصغيرة الى غرفتين الغرفة الأولى غرفة نوم مع غرفة الطعام والغرفة الثانية غرفة أوفيس ومطبخ وحمام . كل غرفة عرضها متر فقط . . عز !! لم يبق أمامى الا أن أدهن زنزانتى بالزيت . . حتى أقطع الطريق على الحشرات . اننى أجد لذة فى أن أزين سلاسلى وقيودى . اننى لا ألعن الذين وضعوا القيود ، اننى أرثى لهم . عندما انتهى من ترتيب زنزانتى سأبدأ فى المقاومة . سأكتب وأكتب ! كلماتى هى مدافعى وسوف أستمر أطلقها الى أن ينفد الرصاص الذى فى روحى ! اننى أضمد جراحى بالكتابة . لا أبكى على نفسى وانما أبكى على بلدى ! المهم أن أستطيع أن أنظم طريقة للاتصال بكم تجعل رسائلى تقفز فوق الأسوار بسرعة ! الشىء الذى يضايقنى أنه كلما نظمت وسيلة الاتصال فى سجن ، نقلونى الى سجن آخر . حياتى هنا تبدأ بأن أستيقظ الساعة السادسة صباحا . أقرأ القرآن أبدأ بترتيب زنزانتى . أعد الملابس التى سأرتديها . أخرجها من حقيبة الملابس . وفى هذه اللحظة تبدأ الاذاعة . صوت الراديو هنا أجمل من صوت راديو سجن الاستئناف . أسمع القرآن وحديث الصباح من سامية صادق ونشرة الأخبار والموسيقى . فى حوالى الساعة السابعة والنصف يفتح السجان باب زنزانتى ، وهو عادة يفتح زنزانتى قبل أى زنزانة أخرى لأنه قارىء قديم من أيام مجلة الاثنين ! أتوجه الى دورة المياه وأعود الى زنزانتى ، وأرتدى ملابسى ، وأنقل الثلج من الترموس الكبير الى الترامس الصغيرة . ثم أحمل كرسيا الى دهليز السجن ، وفيه نافذة كبيرة تطل على عدد من الأشجار وعلى سجن النساء ! لا أستطيع أن أرى أحدا فى سجن النساء . ولكن منظر الأشجار جميل . كانت نافذة الدهليز فى سجن الاستئناف تطل على المكان

الذى تلقى فيه الزبالة ، وكان على يمينها المشنقة فى غرفة الاعدام ! المنظر هناك مقبض ، والمنظر هنا يرد الروح . اتمشى قليلا فى الدهليز . عيبه انه ضيق . لا يتسع الا لمرور شخص واحد . يمتاز عن سجن الاستئناف بأنه مفتوح من فوق ، يدخل فيه الهواء وتسطع الشمس باستمرار . أستطيع لأول مرة منذ شهور أن أستنشق هواء نظيفا ومنعشا . كان الهواء فى سجن الاستئناف مزيجا من التراب ورائحة الزبالة . هناك فرق كبير بين الهواء فى السجن والهواء فى الحرية !

فى الساعة التاسعة صباحا تبدأ الفسحة ، وهى فى حوش أوسع عشر مرات من حوش الفسحة فى سجن الاستئناف الذى كان مليئا بالمجارى والروائح الكريهة بينما ، وأنت تمشىٰ ، تسمع صوت الراديو تنبعث منه الالحان الجميلة ، أو تسمع موسيقى من فرقة موسيقى المسجونين . وهى موسيقى بدائية ، ومع ذلك فالمسجونون يصرون على أن أطلب الأدوار التى أحبها ليعزفوها لى اثناء الفسحة التى تستمر نصف ساعة . عادة أسأل زملائى عن الأدوار التى يريدونها فاطلبها . لا أريد أن يتحكم ذوقى فى أذواقهم . انهم يريدون الألحان الراقصة ! الطير يرقص مذبوحا من الألم !! أعد لنفسى مائدة الافطار . ما زلت فى انتظار سعيد فريحة ليصل معه تموين مربى السكر وأطعمة مرضى السكر . أمضى الصباح فى قراءة الصحف العربية . الصحف الأجنبية أوفرها للمساء . زملائى من المسجونين السياسيين يتضايقون من الساعة التى تقفل فيها باب الزنزانة ، الا انها تسعدنى . انها ايذان بلقائى الغرامى بقلمى ! أتناول غدائى فى الساعة الثالثة ، وفى الساعة الرابعة ننزل الى الفسحة مرة أخرى ، ونمكث بين نصف الساعة وثلاثة أرباع الساعة . ثم نصعد الى الطابق الذى فيه زنزاناتنا ، ونجلس بجوار النافذة ، ونحن نسمى هذه النافذة المعمورة ، اشارة الى بلاج المعمورة فى رمل الأسكندرية ، وتحل الأشجار محل لابسات المايوهات الفاتنات ! فى الساعة السادسة تقفل أبواب الزنزانة . أخلع ملابسى . استلقى على السرير واقرأ الى الساعة التاسعة . ثم أكتب ما أستطيع أن أكتب وأنا أتلفت يمينا ويسارا . أنام عند منتصف الليل . أشعر بأننى أنام هنا أحسن من سجن الاستئناف . الجو معتدل . لهذا السبب اختفى « حمو » النيل من جسمى وقد لازمنى حوالى شهر . وكان أطباء سجن الاستئناف ، غفر الله لهم ، يقولون

انه ارتكاريا ! انا أعتقد أن حكومتنا هى المصابة بأرتكاريا سياسية ! فى كل يوم تهرش باحثة عن مؤامرة موهومة ! التحقيقات والتلفيق والتزييف والتعذيب تجعل جسم الحكومة أحمر ! هذا الهـــرش المستمر يدل على أنها فى طريقها الى كارثة ! الحل فى راى الطب السياسى هو الحرية والديموقراطية والعدالة ! ولكن الأطباء عندنا يفضلون « الهرش » المستمر على الشفاء !

أنا أسعد من غيري!

سـجن القنـاطر

١٤ اغسطس سنة ١٩٦٦

عزيزتى

صحتى الآن جيدة . حرارتى أصبحت عادية . عـدت أتناول الطعام . لا أعرف كيف أشكركم على الأدوية . مكثت عدة أيام أعيش على عصير الليمون فقط . المرض مؤلم ولكنه أشد ايلاما فى داخـل الزنزانة ! ليس فى السجن دواء . أدويتكم خففت الأزمة . كنت أتناول الأدوية فى موعدها . زملائى كانوا يتصورون أننى سوف أموت هنا . أنا كنت أريد أن أعيش . شعرت بأننى اذا استسلمت للموت فمعنى ذلك أننى أستسلم للطغيان ! قررت أن أعيش لأقاوم ! الذين وضعونى فى السـجن توهموا أنهم وضـعونى فى تابوت . أطمأنوا أننى لن أخرج حيا . أننى أعيش الآن صراعا بين العـدل والظلم ، بين الحقيقة والزيف ، بين الحرية والطغيان . أعرف أن معسكر المظلومين ضعيف جدا . ما قيمة المقيدين بالسلاسل والأغلال فى معركة مع مطلقى السراح ؟ ما قيمـة الضعفاء المقهورين مـع أصحاب الجبروت والسلطان ؟ ما قيمـة البكم مع الذين يملكون الصحف ومحطات الاذاعة ؟ أنها معركة غير متكافئة . ولكنى أؤمن أننا بالصمود سوف نستطيع أن نربح هذه المعركة . المهم الا نيأس ولا نستسلم . أننى هنا أحاول أن أرفع معنويات كل زميل من زملائى المسجونين السياسيين . أحاول أن أضىء شمعا فى ظلامهم . أحاول أن أجد ثغرة فى القبور التى تضمنا ليدخل منها الهواء والأمل . أننا نختنق هنا . ولكننا نتنفس بالأيمان . وسوف نعيش بالحب . الذى يؤلمنى أننى أجـد أن الرسائل التى يتلقاها زملائى المسجونـين السياسيون تتناقص . الزيارات تقل .

ان التراب يغطى تدريجا عـلاقات حلوة ، وزيجات سعيدة ، وصداقات وطيدة ! ان شوقى يقول اننا فى بلد كل شىء فيه ينسى بعد حين ! والمسجونون السياسيون يخشون أن ينساهم الناس . لا احد يذكرهم . والصحف مغلوبة على أمرها . الرقيب لن يسمح بذكر اسم مسجون سياسى حتى فى صفحات الوفيات ! بل لقـد حدث أن مات أحد أولاد عم مسجون سياسى معى ، فاذا بأهـل الفقيد يحذفون من تلقاء انفسهم اسم قريبهم المسجون ، وكأنهم يتبراون منه ، أو يخشون أن يصاب افراد الأسرة بمكروه اذا عرفوا أن لهم قريبا مسجونا ! أنا لا الوم الأسرة المذعورة ، وانمـا الوم الذين ملأوا البـلاد بالخوف والارهاب ! زمـلاؤنا المسجونون السياسيون ممن لهم اقارب من ضباط الجيش ، فوجئوا بأنهم نقلوا من الجيش الى وظائف مدنية بلا ذنب سوى أنهم أقرباء مسجون سياسى ! تذكرت أن الدكتور أحمد ماهر كان مسجونا ومطـلوب الحكم باعدامه ، فى الوقت الذى كان شقيقه على ماهـر وزيرا للعدل ! وتذكرت أن اللواء نصار كان محكوما عليه بالسجن المؤبـد فى انقلاب عسكرى وعين الرئيس جمال عبد الناصر شقيقه الدكتور نصار وزيراً للصحة . ماذا حدث ؟ ان السنوات الأخيرة شهدت تدهورا فى احترام العلاقات الانسانية .

. .

بعض زملائى هنا لا يزورهم أحد . أنا لا الومهم . الغائب عذره معه . الخائف عذره معه . الفقير عذره معه . قال لى أحد العمال المسجونين أننى اعرف اذا جاءت زوجتى من قنا لتزورنى ، فمعنى ذلك أن يبقى أولادى جائعين عدة ايام . اننى افضل ان يأكلوا على أن تجىء زوجتى لتقف معى بضـع دقائق ! ولكن بعض النـاس لا يكلفون انفسهم ان يرسلوا خطابا بطابع بريد بعشرة مليمات ! وهؤلاء أعذرهم أيضا . أن الدولة لا تعترف بالصداقة ولا بالقرابة . ان موظفا بوزارة المالية نقل من القاهرة لأنهم ضبطوا خطابا منه الى شقيقه المســجون فى السجن الحــربى يســاله عن الصحة ! ان المسجونين السياسيين فى السجن الحربى مضى عليهم عام لم يتلقوا خلاله رسالة واحدة من اهلهم ، ولم يسمح لهم برسالة واحدة يكتبونها الى اهلهم ! ولو أن المسجونين السياسيين كانوا تابعين لجمعيـة الرفق بالحيوان ، لاحتجت الجمعية على هذه المعاملة السيئة !

انني أسعد حالا من غيري . لانني لا اشعر مطلقا بانني وحدي . احس أنني معكم . لا تنهار قوني ولا أفارقكم . أسمع صوتكم . ارى لمعان عيونكم . استرجع صدى ضحكاتنا معا . أنا لا ارى خيـالات واطيافا . ارى حقيقة جميلة أعيشها . لا يمكن ان يمحوها الزمن ، او تقلل من روعتها الأيام . ليس هناك فى الحياة أجمل من أن يشعر الانسان بانه ليس وحده .. وأن هناك من يحبه . ان هذا الحب هو اعظم منحة يعطيها الله لعباده . انه يقوى الضعيف . ويسعد الشقى . ويملأ قلب اليائس بالأمل والرجاء . يحول الظلام الى نور . والدموع الى بسمات .. انني أحس أنني أتلقى منكم رسائل حب كل يوم . رسالة الحب ليست فى حاجة الى ان تكتب بالحبر على الورق . انني أرى هذه الرسالة فى « زرار » يثبت فى البيجاما . فى طبق أحبه . فى فنجان قهوة أشربه من يدكم . فى منـديل طويتموه بأصابعكم .. فى كيس وسادة . هذه الأشياء كلها تحكى وتتكلم . انها تقول شعرا ونثرا . تغنى أغانى حب وهوى وغرام . تحمل مناجاة وقبلات وأشواقا . ليست الكلمة وحدها هى التى تعبر عن حرارة الشوق . ان طبقا من الطعام أعدته امرأة لرجل تحبه قد يكون فيه من الحرارة أكثر مما فى خطاب غرام ! ان قميصا غسلته فتاة بيدها وكوته ، وطوته ، ولمسته أصابعها ، هو اجمل عواطف الدنيا . هذه الأصابع كتبت على القميص عبارات من الحب قـد تكون أبلغ من كل رسالة غرام .. فأنا أشعر بأننى فى زنزانتى رجل محظوظ لأننى أتلقى منكم عشرات الرسائل كل يوم . رسـائل أضعها على فمى كأنها قبلات ، أو أضعها على جسدى كأنها عناق . هذا الحب يسعدنى . يملأ وحدتى القاسية . يجعلنى أطل من نوافذ كثيرة على الحياة خارج السجن . يشعرنى بأننى قـريب منكم . الحب يلغى المسافات بل ويلغى الزمن أيضا . أنا لا أشعر بأننى بعيد عنكم . أن بينى وبين الزمالك ساعة بالسيارة . ومع ذلك أشعر بأنكم جميعا معى فى سجن القناطر . فى نفس المدينة . فى نفس الزنزانة . الأيام الطويلة لا تعنى شيئا . حبنا يختصرها الى دقائق . كلما صمدنا تهاوى الزمن . الحب الصحيح يهزم الزمن ويهزم المسافات .

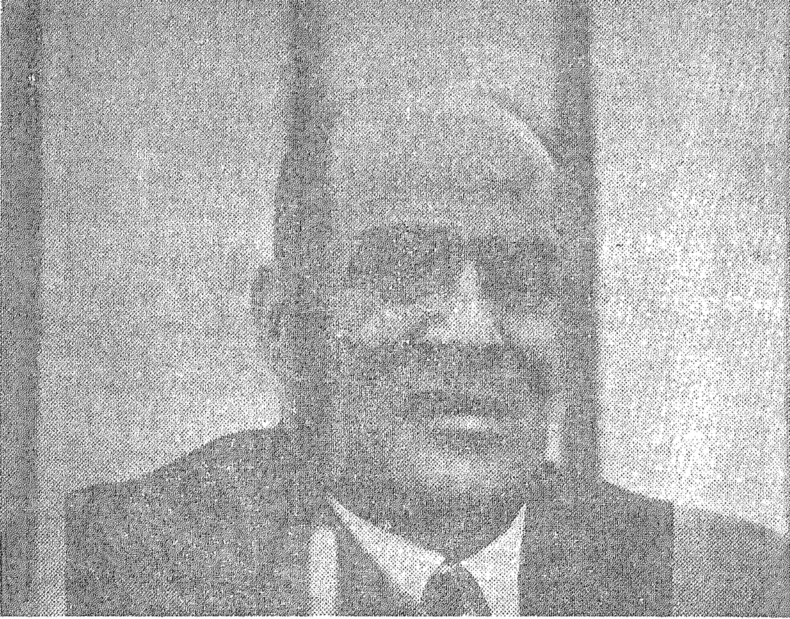
أنا أقدر الظروف التعسة المؤلمة التى تعيشونها ! أنا أحسن منكم حالا . أنا دائما معكم فى بيوتكم وأعمالكم . وأنتم دائمـا معى فى

الزنزانة !! ايمانى بالله يجعلنى اثق بأن الله لن يتخلى عنـــا . الله وقف بجوارنا فى أزمتنا ، ومد يده الينا فى كل محنة صادفناها . اننى رأيت الله كثيرا . أحسست أنه بجوارى دائما منذ أن دخلت السجن . يبدو أن الله لا يزور كثيرا الحكام فى قصورهم ، ولكنـــه يزور دائما المظلومين فى سجونهم وزنازينهم !

ما دام الله معنا ، فان من واجبنا أن نطمئن ، وأن نثق بأنه مهما طال الليل فلابد لشمس الحرية أن تشرق من جديد . بينما أكتب هذا الكلام كانت المطربة سعاد محمد تغنى قصيدة « ابتهـــالات الى الله » ثم فجأة صاح المؤذن : الله أكبر ! الله أكبر .

تفاءلت بالأغنية ، بآذان المغرب ! .

الم اقل لك أن الله معى فى الزنزانة ! ؟



وجلست بين قضبان قفص الاتهـــام أتفرج على مهزلة المحاكمة !

كنوا يتكلمون !

سجن القناطر

اغسطس سنة ١٩٦٦

عزيزتي

أيامي الأولى في هذا السجن صعبة ، بسبب عدم وجود شبكة اتصالات عندما يدخل المسجون الى سجن جديد ، يمر بفترة تأديب ، فتغلق عليه ابواب الزنزانة ٢٣ ساعة ونصف ساعة كل يوم . ويحرم من الفسحة عدة أيام ، ويوضع تحت الرقابة المستمرة ، ولا يستمتع بأبسط انواع الامتيازات التي يستمتع بها المسجون « صاحب البيت » ! كل طلب مرفوض لأنه مخالف للائحة . كل شيء ممنوع.لأن التعليمات مشددة بمعاملتنا معاملة كبار المجرمين والسفاكين وقطاع الطرق ! وقد تدهش اذا علمت ان القتلة وقطاع الطرق يعاملون في السجون خيرا مائة مرة من المسجون السياسي ، فالقاتل عدو المجتمع والمسجون السياسي عدو شخصي للحاكم ــ أو كما قال لي أحد الضباط هنا اذا هرب مسجون سفاح من هنا ينقل مدير السجن من منصبه ، أما اذا هرب مسجون سياسي من السجن فيفصل المدير وجميع الضباط وجميع الحراس ان لم يوضعوا كلهم في السجن ! وهكذا ترى أن الناس مقامات ! وفي العصور الغابرة كان المسجون السياسي يتمتع بامتيازات . أذكر أنه عندما قبضت الحكومة في عام ١٩٤١ على الفريق عزيز المصري باشا ووضعته في سجن قرة ميدان أن أصدر حسين سري باشا رئيس الوزراء أمرا بأن يعطى المسجون عزيز المصري عشرة جنيهات كل يوم لينفق منها على طعامه وملابسه ويخصص ضابط برتبة ملازم لخدمته ! وكان عزيز باشا يفطر من جروبي ، ويتغدى من شبرد ويتعشى من سميراميس وأذكر انه عندما كان فؤاد سراج الدين وزيرا للداخلية

سمح لزميلى جلال الدين الحمامصي المعتقل فى معتقل الزيتون بالخروج لحضور حفلة قران شقيقه الأستاذ على الحمامصى ! وأذكر أن حكومة سعد زغلول سمحت للدكتور محمد حسين هيكل المسجون بتهمة اهانة رئيس الوزراء سعد زغلول بأن يستقبل يوميا محررى جريدة السياسة ليبلغهم تعليماته ويملى عليهم مقاله الافتتاحى الذى يهاجم فيه الحكومة ! .

ولقد قال لى ضباط السجن صراحة ان التعليمات التى لديهم هى « أن يطلعوا دين المسجونين السياسيين » وأنهم لا يفعلون ذلك خوفا من الله ، قلت لهم ان الأرض كروية ، ولا يقف العز عند باب واحد الى الأبد !

لقد حرمنا من الفسحة عدة أيام ، وحرمنا من أن يوجد كرسى فى زنزاناتنا عدة أيام ، وبدأت بعد ذلك تتحسن الأمور ، بدأنا نحاور التعليمات . وبدأنا أحيانا نحطم قرارا أصدره وزير الداخلية بسيجارة ! نعم قرار وزارى بسيجارة .. يا بلاش !

وشيئا فشيئا سوف تعود الحياة الى الحياة الطبيعية التى كنا نعيشها فى سجن الاستئناف .

تفرجت فى التليفزيون على مباراتين من مباريات كأس العالم فى كرة القدم من الأشياء الجميلة هنا أننى أسمع فى الصباح المبكر فى زنزانتى ، الكروان وهو يغنى « الملك لك .. لك لك ! » أن صوته يشرح القلب . فى سجن القبة كنت أسمع يوميا صوت البوم والغربان وأم قويق !

جارى فى الزنزانة اسمه أحمد . قبض عليه واتهموه بأنه من الاخوان المسلمين . قال انه فعلا كان من الاخوان المسلمين فى عام ١٩٥٤ ثم تاب وليعبر عن توبته الكاملة اشتغل تاجر خمور يبيع الويسكى والكونياك والشامبانيا والنبيذ ! ومضى عليه ١١ عاما وهو فى هذه التجارة التى يحرمها الدين الاسلامى !

ولم يقتنع ضباط التعذيب ، وقالوا له : انك مكثت ١١ سنة تتنكر تحت مهنة تاجر خمور ، وانك مجرم ومتآمر واخوان مسلمين !

وبدأ الضرب والصفع والتعذيب ..
وأصر أحمد على الانكار !

وفجاة أمر السفاح المحقق باحضار زوجة أحمد الى غرفة التعذيب وادخلها أحد الجنود !

وأمر السفاح الجندى بأن يجردها من ملابسها امامزوجها المكبل بالسلاسل والأغلال . .

ووقفت المرأة المسكينة عارية ترتجف !

وأمر السفاح الجندى بأن يغتصب الزوجة العارية .

وهم الجندى باغتصاب الزوجة المسكينة ، وارتمى الزوج على الأرض وراح يقبل أقدام السفاح ويقول له :

ـــ أعترف ، اعترف أننى قتلت جمال عبد الناصر !

قال السفاح :

ـــ لم تقتله . . وانما تآمرت على قتله !

ـــ نعم أعترف !

وأملى السفاح على أحمد اعترافا كاملا بمؤامرة ملفقة لا أساس لهــــا . . !

ووقع أحمد على الاعتراف .

وترك السفاح الزوجة ترتدى ملابسها !

ويقسم أحمد بأنه لم يفكر فى ارتكاب اى جريمة ، ولم يشتغل بالسياسة طوال ١١ سنة ، وكان مشغولا طوال هذه السنين يبيع الويسكى والكونياك والشامبانيا والنبيذ !

كان أحمد يروى لى قصته وهو يبكى . . كأنه لا يزال يرى زوجته عارية أمامه والجندى يحاول اغتصابها . .

وقال لى وهو يرتجف:

ـــ سنموت وتموت مأساة ظلمنا معنا !

قلت له :

ـــ لن نموت ! واذا متنا فسوف تزار رفاتنا فى القبور !

قال : الموتى لا يتكلمون !

قلت : ولكن الله يتكلم !

وصية إلى أخي

سجن القناطر

اخى العزيز

قد يكون هذا آخر خطاب اكتبه اليك قبل صدور الحكم .

ان عندى وصية لك . وهو ان تخلص ما دمت حيا لهذا الوطن ، ولا تجعل حزنك بسبب الظلم الذى أصابنى سببا فى أن تتوقف عن خدمة هذا البلد ، أو التفانى فى الجهاد من أجله .

اننى واثق ومتأكد أن وطنى ظلمنى ، دون أن يعرف انه ظلمنى ، لأننى مؤمن بعدل هذا الشعب . مؤمن بأنه لا يمكن ان يظلم أحداً اذا كان مؤمنا ببراءته . وكل ما هناك أن الذين يكرهون كلمة الحق ، حاولوا تشويهى أمام أهل بلدى ، فغلبت الشكوك التى اطلقوها على البراهين التى تؤكد اخلاصى وولائى لوطنى .

وأنا لست آسفا على اننى سأسجن . ولكن أسفى على شىء واحد . هو حرمانى من شرف خدمة بلادى .

وتأكد انه سيجىء يوم يعرف فيه الشعب براءتى ، أنا واثق أن هذا اليوم سيجىء . ومما يثبت براءتى مع الأيام أن تكافح تحت راية هذا الوطن ، وتعمل تحت لوائه ، وتقبل هذه التضحية نداء له .

أنا مستعد لأن أقبل هذه التضحية راضيا اذا أنصف الذين ذبحونى الملايين . مستعد لأن أتحمل تقييد حريتى ، اذا كان ثمن ذلك تحرير هذا الشعب كله من العبودية . مستعد لأن أرضى بهذا الظلم اذا منحوا العدل لألوف المظلومين المقهورين المعذبين . لقد كنت فى كل

وقت مستعدا لأن اقدم حياتى من أجل تحقيق هدف واحد من هذه الأهداف .

وانا اعلم انهم اختارونى لأكون راس الذئب الطائر فى قصة كليلة ودمنة . عندما أطاح المستبدون براس الذئب ليخيفوا ويرهبوا باقى سكان الغابة . ومع ذلك احس ان راسى ليس وحده الذى طار ! ان السيف أطاح برؤوس كثيرة ، وسيطيح فيما بعد برؤوس اكثر . واخشى أن تكون النتيجة أن يخاف الظالم ، بدل أن يخاف المظلوم ، وبدلا من أن يتوقف عن ظلمه ، يحاول أن يغطى المذابح القديمـــة بمذابح جديدة ! دم الأبرياء على ايدى الطغاة لا يغسله الا دم جديد !

انا قابل هذه التضحية ، ولست ساخطا على وطنى الذى حرمنى من ضمانات العدالة . ان وطنى معلق فى المشنقة ، فكيف يستطيع أن ينقذ بريئا فى زنزانة ؟

لو اعدمتنى بلادى فسأقف على المشنقة واهتف تحيا مصر ! ولو وضعنى وطنى فى السجون عشرات السنين ، فسأبقى مخلصا لوطنى الذى أحببته وأحبه ، وسوف أحبه . ولا استطيع أن اكرهه ابدا ، اننى لو كرهته أكون قد كرهت نفسى ..

لسنا أول من أحب وشقى فى حبه !

العالم في زنزانة!

سجن القنـــاطر

١٧ اغسطس سنة ١٩٦٦

صـــديقتى

لم اكتب لك منذ وقت طويل . كنت دائما اشعر بأنك فى حاجة الى ان اكتب لك كلمة ، ولو كلمةصغيرة ، لتطمئنك على حياتى الجديدة هنا . اننى أعلم ان انتقالى الى سجن القناطر صدمة لك ، وأنك كنت تتوقعين أن يكون شهر يوليو ، هو الشهر الذى سأخرج فيـــه من السجن ! واذكر فى شهر ابريل الماضى انك قلت لزينب اننى لا انتظر شيئا قبل شهر يوليو . ويومها ظهر عليها الفزع وقالت يا سلام ! لسه لغاية يوليو ! وقد انتهى يوليو ، واغسطس فى طريقه الى الانتهاء . وسيجيء اكثر من يوليو واكثر من اغسطس وأنا فى قيودى . كل ما حدث اننى انتقلت من سجن الاستئناف الى سجن القناطر . ولم يكن هذا الانتقال صدمة لى . فأنا أعتبر حياتى محطات فى طريق الفجر . وكل الذى حدث اننى انتقلت من محطة الى محطة فى طريقى الى محطة الوصول . المهم الا يتوقف القطار . ان يتحركباستمرار . لا أعرف كم تطول رحلة القطار . ولكنى أعرف اننا سنرى الفجر . ان الظلام الذى يعيش فيه هذا الشعب هو ظلام مؤقت . سنرى الفجر . وسنعيش ونضحك ونعمل . لقد كانت حياتى كلها سجنا . كنت أسجن نفسى فى مكتبى . وفى عملى . وفى المهنة التى اعطيتهـــا حياتى . كنت أشبه بالمتصوف فى معبـــده . حرمت نفسى شبابى كله ، لأقيم صناعة عظيمة فى بـــلادى . كانت تمضى على سنوات لا أدخل دار سينما . ولم تكن عندى أجازة سنوية ! ولم تكن عندى اجازة أسبوعية . كان العمال والمحررون يتغيبون فى أجازات العيد وشم النسيم . وكنت أنا وأخى نجلس فى هذه الأيام على مكاتبنا وحدنا . نعمل . ونشقى . وكأننا لسنا فى عيد . كنت أسجن نفسى

فى عملى باختيارى . انا الذى حكمت على نفسى بالسجن المؤبد فى العمل الصحفى . فكل الذى حدثاننى انتقلت من زنزانة الى زنزانة . كانت زنزانتى الأولى مكتبى فى أخبار اليوم . وزنزانتى الآن فى سجن القناطر . لم تتغير حياتى بين الزنزانتين . ما زلت اعبد بلدى كما كنت اعبدها . وما زلت أحب الصحافة واعشقها .

مازلت أحب الناس كما كنت أحبهم واكثر. الذين اساءوا الى اقلية، واحد فى المليون . والذين أحسنوا الى هم ملايين . ما زلت احلم بأن اعيد صحافة بلادى لتكون كما كانت صحافة عالمية . أحلامى لم تتحطم . ايمانى بالله لم يتزلزل . لم يغيرنى السجن أبدا . لاأشعر بحقد او ضغينة على احد . لا أريد أن أنتقم من أحد . حتى من الذين ظلمونى . كل الذى اتمناه الا يظلموا غيرى كما ظلمونى . ربما لا يستطيع غيرى أن يتحمل العذاب الذى تحملته .

لا ازال أحب الناس كلهم . اتمنى لهم الخير . ارقب نجاحهم . اهلل لكل نصر تحققه بلادى . وكأنه من صنع يدى . انا لا أشعر اننى مسجون . نحن الذين نسجن أنفسنا . نقيم من أوهامنا حراسا على أنفسنا ، نضع من يأسنا سلاسل وحديدا نقيد به أيدينا واعناقنا . ما دامت روحى منطلقة ، وقلبى مؤمنا . فاننى أشعر بأن الزنزانة لم تسجن سوى جسدى . أما روحى فهى حرة . خيالى غير مقيد . أفكارى غير محبوسة . أعيش بينكم . أسمع حديثكم . ان دموعكم تسقط على خدى . جروحكم يدمى لها فؤادى. لست أعرف ماذا أفعل لأخفف عنكم عذابكم . كل ما أستطيع أن افعله أن أرسم لكم صورة صادقة عن حياتى هنا وشعورى واحساسى .

اننى أحس أننى هنا فى اجازة . كنت احلم طوال حياتى بأجازة . اجازة خارج عملى . شاء القدر ان تجيء الاجازة بقرار جمهورى !! اننى اعيش ٢٤ ساعة كل يوم بلا عمل ، وبغير انتاج . خطر ببالى أن استفيد من هذا الوقت الذى امضيه هنا فأدرس اللغة الالمانية واللغة الروسية . كنت طول حياتى أتمنى أن أجيد خمس لغات . وكنت اشعر أن الصحفى العالمى يجب أن يجيد خمس لغات . حتى الآن لم أبدأ هذه الدراسة . كل ما أفعله هو ان اقرأ صحف العالم واقرأ بعض الكتب . اننى اقرأ يوميا ثمانى ساعات . اشعر بأن بقية

ساعات اليوم تضيع عبثا . وكلما قرأت شعرت بأنني ازددت جهلا. ان هناك الوف الكتب أريد أن اقرأها . انني أتابع ابواب الكتب الجديدة في الصحف والمجلات العالمية . أريد أن أطلع على كل فكر جديد في العالم . انني عندما امسك جريدة عالمية اشعر بأنني خرجت من الزنزانة . كأنني أطوف في العالم . أمضي ساعة في فيتنام . وساعة في اندونيسيا . وساعة في الصين . وساعة في مشاكل السود والبيض . وساعة في أزمة حلف الأطلنطي . أتصور أنني عدت صحفيا عالميا من جديد ، وأصبحت أطير من عاصمة الى عاصمة ، أغطي الأزمات ، أدرس المشاكل ، وأحلل المواقف ، وازيح الستار عما يجري وراء الستار من أحداث .. كل هذا من داخل زنزانة ! .

ان زنزانتي اصبحت جميلة ! بعد التغييرات والتعديلات وعمليات النظافة التي قمت بها فيها أصبحت احبها . انها ليست مقبضة ، ولا حزينة ، ولا قاتمة . على العكس انها « شرحة » . صحيح انها ضيقة ، ولكنها تكفيني وزيادة . فيها كل ما احتاج اليه . كنت في الماضي ادعو الى حل أزمة المساكن باختراع شقة من غرفة واحدة ، تتحول الى صالون وغرفة طعام وغرفة نوم وغرفة مكتب ، وحمام ، وأوفيس ، ومطبخ . وقد حققت هذا الاختراع في الزنزانة . أصبحت أراها شقة واسعة ، السرير الذي أنام عليه جديد ونظيف ومريح . انني لا افتقد السرير الواسع في بيتي . أصبحت الآن انام على السرير الضيق دون أن اقع من على السرير ! ومشكلة الذباب أمكن حلها . وصوت أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم يصل الى بوضوح من ميكرفون اذاعة السجن . وهكذا أنام على انغام احبها ، وافتح عيني على تلاوة القرآن الكريم في الصباح . فيستريح قلبي ، وتطمئن نفسي ، واحس أن آيات الله هي بلسم يشفي كل جروح روحي .

أحمد الله أن الماء المثلج أصبح الآن يصل الى ! ان الماء المثلج هو مشروبي الوحيد في الصيف والشتاء . جرعة الماء المثلج تسكرني وتملأني نشوة . كتبت مرة أقول ان كوبا من الماء المثلج في الصيف ألذ من قبلة من أجمل امرأة في العالم ! فاذا كان الأمر كذلك فأنا اقبل يوميا عشر ملكات جمال ، لأنني أشرب كل يوم عشرة أكواب من الماء المثلج !!

اذا امكن شراء ترموس احتياطي للثلج اكون شاكرا . انني اشعر بفزع كل يوم ان يحدث لترموس فاتن حمامة مكروه ، ولا اجـد ترموس كبيرا للثلج . وهكذا احرم من تقبيل اجمل امراة فى العالم .

ويهمك ان تعرف شيئا عن الزنزانة التى اقيم الآن فيها . الجـزء السفلى منها مدهون باللون الأزرق ، والجزء الأعلى باللون الأبيض. ومن المصادفات الغريبة ان لون البطانية أزرق ، ولون الباب أزرق ، ولون النافذة ازرق ، وبذلتى المعلقة على الحائط زرقاء وانا أحب اللون الأزرق واستريح له ، ففيه زرقة السماء ، وانا اشعر بأننى نائم فى السحاب !

رسالة سرية!

سجن الاستئناف

١٩ أغسطس سنة ١٩٦٦

عــزيزتى

انتقلت اليوم من سجن القناطر الى سجن الاستئناف

جاءتني زيارة أمس بسجن القناطر . تلقيت فيها رسالة سرية بأن الرئيس صدق على الحكم وهو يقضي بالأشغال الشاقة المؤبدة . عدت من الزيارة ودخلت عنبر المسجونين السياسيين وانا أضحك ، التف حولي زملائى فرحين مهللين . تصوروا من ضحكى أننى علمت انه تقرر الحكم ببراءتى ! قلت لهم اننى علمت أنهم سيحكمون على بالأشغال الشاقة المؤبدة . وجموا وذهلوا . دهشوا أن أضحك بعد أن سمعت بالخبر الرهيب . أننى ضحكت لأننى أعلم أن الرواية لم تتم فصولا ! ليست هذه هى نهاية القصة ولكنها بدايتها . ثم جاءت الأنباء بأنه صدر قرار بنقلى وحدى من سجن القناطر الى سجن الاستئناف ، وذلك حتى أخــرج من هناك غدا لسماع الحــكم . أسرعت أجمع أمتعتى . وساعدنى زملائى فى عملية الربط والعزال . وضعونى فى سيارة لورى صغيرة راحت تنهب الأرض من القناطر الخيرية الى باب الخلق ! وجدت وجوها جديدة فى السجن ، ولكن صداقاتى القديمة لا تزال موجودة . أمضيت الوقت أجمع معلومات عن ليمان طره وليمان أبو زعبل . قيل لى أننى لن أنقل الى واحد من الليمانين الا بعد أسابيع من صدور الحكم . احساسي الشخصى أن الحكم على سيخرج بطريقة مسرحية . تلقيت رسالة من أحــد تلاميذى بأن المطلوب أن يحكم على فى زفة .. وتهاجمنى الصحف ، وتلعننى الاذاعة ، وتنشر مقالات مأجورة ضدى فى صحف العالم العربى ! لم أنزعج ! أننى لا أحب أن أموت « فطيس » ! كل هــذا

الاهتمام يدل على أن احدا لم يقتنع بادانتى ، وان كل هذه المجهودات تبذل لاقناع الناس بأننى مجرم ! لو كان الرأى العام هو المسجونين والسجانين والضباط ، فهذا يؤكد أن الرأى العام معى . انها معركة بين الحق والقوة . وقد تنتصر القوة فى المعارك الأولي ، ولكن النصر للحق فى المعركة الاخيرة ! أننى اشعر براحة غريبة بعد أن عرفت الحكم . معنى ذلك اننا وصلنا الى قمة المهزلة ! ان قمة الظلم فى رأيى هى دائما بداية الطريق نحو العدل !

ان الله معى . وهو اقوى آلاف المرات من حكم الأشغال الشاقة المؤبـــدة ! .

حكاية ...

سجن الاستئناف

٢٠ أغسطس سنة ١٩٦٦

كان اليوم موعد الحكم .. حملونى فى موكب عسكرى الى مجلس الثورة . الحراسة مشددة . الجنود المدججون بالسلاح يملأون الطرقات . رجال الشرطة السريون يقفون على الأرصفة لماذا يريدون اخفائى عن العيون .. لعلهم يظنون أنهم يرتكبون جريمة !

أحكام اعدام بالجملة . أحكام أشغال شاقة بالدستة ! هذا هو الفريق الدجوى قاضى آخر الزمن ! لم يجرؤ الدجوى على مواجهة المتهمين بالأحكام الظالمة التى أصدرها عليهم ، بل أرسل ضابطا صغيرا يتلو علينا الأحكام فى غرفة صغيرة فى مبنى مجلس الثورة واختفى القائد الهمام فى الاسكندرية !!

وكان الضابط يقرأ الحكم من ورقة ، واستطعت أن أقرأها بالمقلوب . قبل ان يتلو الحكم على ! ولم يتصور أحد أننى أعرف الحكم ربما قبل أن يعرفه الدجوى !

وعندما انتهى الضابط من تلاوة الحكم قلت بصوت جهورى :

ــ أنا برىء .. وسوف يثبت التاريخ أننى برىء . اننى مؤمن بالله وببلادى ، وهذا الايمان هو الذى يؤكد لى أن الحق لابد أن يظهر فى يوم من الأيام ! اننى أعطيت بلادى فنى وفكرى وعمرى وأننى آسف أن هذا الحكم سيحرمنى أن أخدمها أكثر مما خدمتها . وأنا أعتقد أن هذا الحكم رصاصة خاطئة أطلقت أثناء المعركة واصابت أحد جنود هذا الوطن وليبارك الله فى خطوات بلادى ، ولو داست فى طريقها على حريتى وحياتى . وقد دهش الحراس لقوة أعصابى.

ولاننى قابلت الحكم بهذه الشجاعة وبالايمان بأن براءتى لابد أن تظهر فى يوم من الأيام !

واخرجونى من الغرفة ، ليدخلوا حسين توفيق وزملاءه الذين حكم عليهم الدجوى بالاشغال الشاقة المؤبدة !

قال لى أحد الضباط هامسا ان الذين صدر الحكم ببراءتهم فى القضايا الأخرى لن يفرج عنهم . وأن أحكام البراءة هى أحكام مسرحية للرأى العام ، وأن المحكوم ببراءته سوف يوضع فى المعتقل !

حمدت الله على انه لم يحكم ببراءتى !

عدت الى سجن الاستئناف . قال لى المأمور آسفا : ان الأوامر صدرت بأن اخلع ملابسى المدنية بعد صدور الحكم ، وأن أرتدى ملابس السجن . طيبت خاطره ، وقلت له انى أعتقد أن الملابس لا تهين الرجل ، وانما الرجل هو الذى يهين الملابس ! وانا لا يهمنى أن أرتدى ملابس السجن الزرقاء ، وانها عندى مثل بدلة التشريفة الموشاة بالذهب التى كان يرتديها الوزراء فى العهود الماضية !

ودهش الرجل لاننى أستقبل هذا التغيير الكبيرفى حياتى بكل هذه البساطة . قال لى أحد الضباط انه صدر قرار بنقلى الى ليمان طره ، وانه احيط بسرية تامة وسينشر فى الصحف على انه تقرر نقلى الى ليمان ابو زعبل حتى يضللوا الذين يريدون خطفى .. ضحكت لقلة عقل ولاة الأمور !

قال لى الضابط وهو حزين : ان أمرا قد صدر بأن يجردونى من السرير الذى أنام عليه ، لإنه يجب ان انام على الأرض بعد أن صدر الحكم بسجنى بالأشغال الشاقة المؤبدة ..

ونمت على الأرض نوما عميقا مستغرقا ، وكأننى كنت انام فى سرير وثير فى فندق جورج الخامس فى باريس !

فى الصباح جاء ضابط من ليمان طرة لاستلامى . تعمد أن يكون رذيلا معى . منعنى أن آخذ ملابسى الداخلية او سجائرى أو مناديلى! تعمد أن يكون رذيلا وقليل الأدب معى . كان يختلف كل الاختلاف عن كل الضباط الذين رأيتهم فى سجن الاستئناف أو سجن القناطر . قررت أن أضبطاعصابى . تحملت وقاحته . قررت الا أشكو منه لأحد خشية أن يرقوه الى رتبة اللواء !



هرب الدجوى !!
فى اللحظة التى وقف فيها المدعى العسكرى يتلو على الحكم بالاشغال
الشاقة المؤبدة ، لم يجرؤ الدجوى على حضور الجلسة ليتلو الاحكام!



بعد سماع الحكم قلت للمدعى العسكرى . اننى برىء .
وسوف يثبت التاريخ أننى برىء

الليلة الأولى

سجن ليمان طره

٣١ اغسطس ١٩٦٦

ادخلونى الى عنبر « الايراد » ! زنزانة صغيرة جدا ! اشرب الى « الجب » منها الى الغرفة . لا نوافذ فيهــا . طاقة فى اعلى الزنزانة يدخل منها الهواء على اســتحياء . الشمس ممنوعة من الدخول . لا مقعد . لا كرسى . لا مائدة . لا سرير . نصف بطانية سوداء ممزقة !

اغلقوا الباب دون أن يكلمني احد . لم يحاول أن يخبرني أحد عن التعليمات او النظام . فهمت أن المدير غير موجود ، ولهذا لا يجرؤ أحد على أن يتحدث معى ! ليس معى القرآن لأقرأ فيه . ولا جريدة ولا مجلة ولا كتاب . ولو كان معى كتاب ، فكيف كنت أستطيع أن اقرأ فى هذا الظلام الدامس . رأيت على جدران الزنزانة جيوشــا جــرارة من مختلف الحشرات . كلها تمشى فى طوابــير منتظمة . ناموس . بق . صراصير . ذباب . أنواع من الحشرات لم أرها طوال حياتى ! أمضيت ساعة كاملة أراقبها ثم بدأت أضع خطة حربية لاعلان الحرب عليها . خلعت حذائى ، وبدأت أقتل الصراصير ، لم ألبث أن شعرت بتعب . توقفت وأنا أقول لنفسى : هذا عصر الصراصير !

سمعت اقداما تزحف على سطح الزنزانة . أطل مسجون براسه وقال لى : كل المسجونين بقلوبهم معك ! ماذا تريد .. ؟ كان أشبه بالجان فى قصة الف ليلة وليلة يقول : شبيك لبيك عبدك بين يديك !

قلت له : لا أريد شيئا .. أريد أخبارا !

قال : تريد جريدة الأخبار ؟

قلت : لا .. اريــد أن اعلم هل سأبقى فى هــذا « الجب » باستمرار ..

قال هامسا : انهم سيخلون لك طابقا باكمله فى عنبر واحد .. ان الأوامر صدر للمسجونين السياسيين بالا يكلمك احد ، وستكون وحدك فى هذا الطابق !

قلت : وهل عنبر واحد كويس ؟

قال : جنة بالنسبة للمكان الذى انت فيه الآن !

قلت : ومتى ساذهب الى الجنة ؟

قال ضاحكا : بعد ان تبقى بضعة ايام فى النار !

وانصرف المسجون بعد ان اصبح المخبر الأول فى اخبار اليوم الجديدة التى بدات انشئها فى ليمان طرة !

وبعد ان انصرف تذكرت اننى نسيت ان اطلب منه طعاما ! اننى لم افطر ، فقد نسوا ان يقدموا لى افطارا ، ولم اتناول غدائى فقد نسوا ان يقدموا لى غدائى ، ولم اتناول عشائى !

واحسست بالجوع .. وقلت لنفسى فلأعتبر اليوم الأول فى ليمان طره صياما . ولكن عصافير بطنى صرخت وولولت .. ! وحاولت ان اقاوم فعجزت واقبل الليل الموحش فازددت جوعا . واخذت ادق الباب بيدى ، واقبل الحارس ، وقلت له : اريد طعاما .. ! فقال الحارس : ان الوقت متاخر وقد نسوا ان يضعوا اسمك فى قائمـة الطعام .. فانتظر الى الصباح ..

قلت : اننى جائع !

واذا بالحارس يدخل لى من ثقب الباب قطع جبن رومى صغيرة ، واجزاء صغيرة من رغيف عيش افرنجى .

والتهمت الخبز والجبن ، وكأننى مدعو الى مأدبة ملكية !

لقد نظرت الى الكوة التى ادخل منها الحارس الخبز والجبن الرومى كأنها طاقة من السماء ..

وعرفت بعد ذلك أن الحارس أعطانى عشاءه .. كل عشائه !

وحزنت لأننى لم أستطع أن أرى وجهه . ولكننى سوف أعثر عليه . أنى سأعيش طول حياتى مدينا لهـذا الرغيف الأفرنجى وقطعة الجبن الرومى !

معركة مع الصراصير

سجن ليمـــان طـــره

٤ سبتمبر سنة ١٩٦٦

نقلوني الى عنبر واحد . عنبر المسجونين السياسيين . خصصوا الطابق الرابع كله لي وحدي ! أخلوا خمسين زنزانة من المسجونين حتى أكون وحدي في الطابق كله ! المسجونون يخافون أن يتحدثوا الى . الضابط شومان ضابط العنبر قال للمسجونين السياسيين ان الأوامر تقضي بأنه اذا ضبط مسجون يتحدث معي ، يوضع فورا في سجن التأديب ، ويحرم من جميع الامتيازات !

كدت انسى الكلام .. مضى اسبوعان لم اسمع كلمة من احد ! انا اسلي وقتي بقتـــل الصراصير واحصائها ! أحاول أن اقنع نفسي بأن بلادي لن تحقق الخلاص الا اذا قضت على كل الصراصير فيها ! واتصور وأنا اقتل الصراصير على جدران الزنزانة أنني اقوم بمعركة سياسية !! في احـــدى الليالي قتلت ١٦٤١ صرصارا من مختلف الأشكال والأحجام ، وبعضها أنواع أراها لأول مرة في حياتي ، وفي ليلة أخرى قتلت ٨٩٢ صرصارا ، وفي ليلة ثالثة قتلت ١٠٤٣ صرصارا !

حاولت مقاومة الصراصير بمسح جدران الغرفة بالفنيك ، ولكن يبدو أن الصراصير هنا اقوى من الفنيك ! اكتشفت أن الزنزانات المغلقة تتكاثر فيها الصراصير ، تماما كما يحدث في المجتمعـــات المغلقة ، ففيها تكثر الصراصير .. ! انني أفتح النوافذ لتـــدخل الشمس والهواء !

مضى على في الليمان ١٣ يوما . كل يوم أحسن من سابقه !

في اليوم الأول جاءني في « جب » عنبر التأديب ثلاثة أطباء من

السجن ، كشفوا على كشفا دقيقا ، وجدوا آثار التعذيب ، كتبوا تقريرا قالوا فيه اننى مريض بالسكر والنقرس والروماتيزم الحاد ، وفى حالة صحية سيئة ، تستوجب نقلى فورا الى مستشفى السجن لعلاجى والاشراف المستمر على صحتى المتدهورة !

قال مدير الليمان انه يجب أن يستأذن مدير المصلحة !

قال مدير مصلحة السجون انه يجب أن يستأذن نائب وزير الداخليــة .

قال نائب وزير الداخلية انه يجب أن يستأذن رئيس الوزراء .

قال رئيس الوزراء يجب استئذان الرياسة .

وقالت الرياسة « يوضع فى زنزانة عادية ، ويكتب على بابهـا ورقة « ملحق بالمستشفى » !!

وكان ان نقلت الى زنزانة صغيرة فى عنبر واحد ، وضعوا على بابها ورقة بيضاء مكتوبا عليها « ملحق بالمستشفى » !

وقال لى الدكتور عبد القادر اسماعيل كبير أطباء المستشفى أن هذا سوف يصبح تقليدا . كل مسجون سياسى يمرض مرضـا خطـيرا سنلصق على باب زنزانتــه ورقة مكتوبا عليها « ملحق بالمستشفى » !! واصر الأطباء على أن أنام على سرير ، وسمحوا لى بفسحة ساعتين كل يوم وشربت ماء مثلجا مرتين خلال أسبوعين ، ودخنت سجائرى كالمعتاد ، وارتديت بذلة بيضاء بصفتى مريضـا « ملحقا بالمستشفى » واصبحت أنام فى البذلة الزرقاء كأنها بيجاما ، وهذا تقدم لو تعلمون عظيم !

وطلبت التصريح لى بقراءة الجرائد اليومية والأجنبية . وأنــا غير مسموح لى حتى الآن بقراءة الصحف ، ولكنى نظمت عمليـة لتهريب صحف الصباح ، وقــراءة الصحف بالنسبة لصحفى مثلى كالهواء والماء . ولولا أننى اسمع الأخبار من اذاعة السجن لاختنقت .

زنزانتى هنـا أصغر من زنزانتى فى سجن الاستئناف أو سجن القناطر . فيها سرير أبيض عليه مرتبة ووسادة وبطانيتان . استعمل بشكير الحمام كغطاء . ليس فى الزنزانة شماعات . أضع حاجاتى

فى صندوق من الورق المقوى . عندى نافذة تطل على فناء السجن ، وهى نافذة ليست عالية . استطيع ان اطل منها دون حاجة الى ان اقف على كرسى ، ولا احتاج ان اتشعبط على حديد السرير لأطـل على الهواء الطلق ، زنزانتى فى الطابق الرابع . استيقظ مع اذان الفجر . أرقد فى فراشى الى أن تشرق الشمس . هنا تبدأ معركتى اليومية مع الصراصير . ثم اسمع القرآن فى الاذاعة وحديث سامية صادق « صباح الخير » وبعض الأغانى .

فى الساعة الثامنة يفتح الحارس باب زنزانتى . كنت لا اتناول الافطار قبل الساعة الثانية عشرة ظهرا فى انتظار وصول الخبز الطازج من مخبز السجن . ومع الأيام تعلمت ان آكل الخبز البايت ! وأؤجل العيش الساخن الى الغـداء . وامشى فى ردهة السجن ذهابا وايابا أمام نافذة كبيرة تطل على النيل . منظر النيل هنـا جميل . الأشجار حوله وكأنها تعانقه . هذا منظر كنت محـروما منه فى سجن الاستئناف . وصوت الراديو هنا جميل وليس مزعجا كالاذاعة فى سجن الاستئناف . وهنا حلاق لبنانى يحلق لى ذقنى . والحلاقون مشهورون بكثرة الكلام ، ولكن ميزة حلاقى أنه أخرس ، ولهذا لا يتكلم ابدا !

والأيام الأولى فى السجن هى دائما أصعب الأيام . ولكن الله دبر كل شيء . أصبحت أيامى الصعبة محتملة كثيرا . وكل يوم تحدث لى معجزة . منذ دخولى السجن لم أشرب قهوة . صديق مجهول هرب لى قهوة ! وسأبدأ أشرب القهوة من اليوم . كنت أحمل هم مبلغ الجنيهات الخمسة التى صرحوا لى بها كل شهر . أنها لن تكفى لشراء طعامى وسجائرى وحاجاتى . ولكن الله كريم . النـاس الطيبون أجدهم فى كل مكان . ان كثيرين منهم يحدثوننى بالاشارة لأن الكلام ممنوع . أحيانا يقطع لى مسجون وردة من حديقة السجن ويقدمها لى ويهمس فى أذنى بخبر لا أعرفه .

ما زلت محروما من الكلام مع زملائى المسجونين . قيل لى ان هذا اجراء وقتى سوف يستمر بضعة أسابيع لأننى ما زلت تحت التجربة . وعندما اقارن بين حياتى فى الليمـان وحياتى فى سجن المخابرات او السجن الحربى أؤمن بأننى هنا فى الجنة فعلا !

ستنقصني هنا اخبار اخي على . فقد حرمت منها . تعودت كل ليلة قبل ان انام أن اوجه رسالة روحية ، واتلقى منه ردا عليها من لندن. انني اعتقد أن على لا يزال متفائلا ، ولا يزال واثقا من أن نور الفجر سيملأ حياتنا من جديد .

الواقع أن هذا الحكم ، والحملة الضارية التي شنوها على لم تزعزع ايماني ببلدي ولا حبي لوطني ، ولا ثقتي في أن الحق لابد أن يظهر ، ولقد كنت مستعدا طول حياتي أن أقدم حياتي لوطني .. أن كل ما قدمته الآن هو حريتي !!

ليمـــان طـــره

عـــزيزتى

فى أحد أيام شهر يونيو سنة ١٩٥٧ كنت جالسا فى مكتبى فى أخبار اليوم عندما اتصـــل بى قسم الاستماع بأخبار اليوم وأخبرنى أن إذاعات العالم تذيع أنه حدثت مذبحة فى سجن ليمان طره ، وأن أكثر من عشرين مسجونا من الاخوان المسلمين قتلوا فى زنزاناتهم ، وأن أكثر من خمسين منهم جرحوا ! واتصلت على الفور بوزارة الداخلية وسألت عن حقيقة الخبر ، فأكد لي مسئول كبير فى الوزارة أن الخبر كاذب ولا أساس له من الصحة . واتصلت برياسة الجمهورية وسألتهم عن حقيقة النبأ ، فأكدت لى الرياسة أنها أكذوبة استعمارية أطلقتها إذاعات الاستعمار ومقصود بهـــا تشويه سمعة مصر فى عيون العالم !

وصدقت هذا التكذيب الرسمى الى أن دخلت سجن الاستئناف وإذا بأحد الحراس يعترف بأنه اشترك فى المذبحة ، وأن الأوامر التى كانت لديه بقتل جميع المسجونين السياسيين الموجودين فى الطـــابق الثالث فى العنبر رقم واحد بليمان طره ، وفى سجن القناطر قابلت عددا من الحراس الذين حملوا القتلى بعد المذبحة من العنبر الى مستشفى السجن ، وكان الخلاف الوحيد فى الرواية أن بعضهم قال أن عدد القتلى كان عشرين قتيلا ، والبعض الآخر قال أن عددهم كان واحدا وعشرين قتيلا !

وعندما نقلت الى ليمان طره لاحظت وأنا أتفحص زنزانتى فى الطابق الرابع فى عنبر واحد أن جدران الزنزانة فيها عدد من الخروق، وسألت عن هذه الخروق فقيل لى أنها رصاص مذبحة طرة !

وبدأت أحقق بنفسي في هذه المذبحة الخطيرة ، وسمعت شهودها الذين بقوا على قيد الحياة ..

ان القصة بدأت قبل أول يونيو سنة ١٩٥٧ ، وهو يوم المذبحة ، بزمن طويل ؛ بدأت هذه الفترة في اكتوبر عام ١٩٥٥ واستمرت حتى أول يونيو سنة ١٩٥٧ . كانت التعليمات قد سبقت وصول المسجونين السياسيين من الاخوان الى ليمان طره باستعمال أقسى طرق العنف معهم . ونفذت ادارة السجن أوامر الارهاب بدقة تامة . ولم يذق المسجونون السياسيون في تلك الفترة يوما واحدا من الراحة والهدوء . التفتيش مستمر . يدخل الضابط الزنزانة ويرمي محتوياتها في الخارج . يدوس بقدميه على الطعام . يتعمد اثارة المسجونين واهانتهم ومحاولة اذلالهم . اوامر بالاحتكاك المستمر بالاخوان المسجونين الذين يعملون في تكسير الأحجار في الجبل . كانوا يأمرونهم بالخروج الى الجبل بعد فتح الزنازين مباشرة . يمنعونهم أحيانا من دخول دورات المياه . أو يؤنبونهم ويحطمون معنويانهم ويسخرون منهم قبل أن يسمحوا لهم بدخول دورات المياه. وكان مطلوبا من كل مسجون سياسي أن يكسر كمية معينة من الاحجار ، ويكومها ثم يفرغها في عربات السكك الحديدية ، وأي نقص في الكمية يعرض المسجون السياسي لدخول التأديب ، وارتداء الملابس الحمراء ، وفي هذه الحالة يطالبون بضعف المقطوعية المقررة من الاحجار ! ومن يعجز عن تكسير الكمية المقررة يتعرض للجلد !

وفي الجبل الشكوى ممنوعة . لا مراعاة لظروف سجين ضعيف او مريض أو كبير في السن . وفي وقت من الأوقات بلغ عدد الاخوان الذين وضعوا في سجن التأديب اكثر من خمسين مسجونا ؛ كانوا يخرجون الى الجبل في الملابس الحمراء ويطالبون بمضاعفة كمية تكسير الاحجار !

وتعرض بعض المسجونين السياسيين لضربات الشمس في الحر الشديد . سقط عدد منهم مغمى عليه . رفض المسئولون احضار سيارة اسعاف . قالوا أن سيارات الاسعاف لا تحمل الكلاب ! تذمر المسجونون . نفخ الضابط في البوق يعلن «كبسة على الجبل» ونزل المسجونون السياسيون وهم محاصرون بالجند المسلح وفي

جو من التهديد والارهاب الى أن وصلوا الى الليمان . فى اليوم التالى قامت حملة من الحـــراس وهاجمت الزنازين وفتشتها ، وجردت المسجونين السياسيين من كل ما يملكون ؟

وصدر قرار بمنع المسجونين من الاخوان من تأدية صلاة الجمعة الجماعة . وحدث مرة أن ضبط المدير عددا من الاخوان يصلون العصر ، فى الدور الثالث ، فأمر بعقاب جميع المسجونين فى الدور الثالث . الذين يصلون . . والذين لا يصلون !

وكان المسئولون فى السجن يتلقون أوامر بالاعتداء المستمر على المسجونين من الاخوان ؛ وكانوا يفتعلون معهم المعارك ؛ وفى سنة ١٩٥٦ اتهموهم بأنهم تأخروا قليلا فى الخروج الى الجبل ، وقامت فرقة من الحراس بضربهم أمام العنبر ! وكادت تحدث مجزرة ؛ لولا أن اللواء حسن سيد أحمد مدير الليمان وصل فى هـــذه اللحظة ، وأمر بسحب جنود الكتيبة والحراس وإقفال العنبر ؛ وأودع ١٢ من المسجونين السياسيين الذين أصيبوا فى الحادث فى سجن التأديب واستصدر أمرا بجلد بعضهم ٣٦ جلدة ، وضرب الآخرين ١٢ جلدة .

وفى أوائل عام ١٩٥٦ اشتدت المعاملة سوءا ، وصدرت أوامر بالاحتكاك بالمسجونين السياسيين من الاخوان أثناء الصلاة ؛ وفى أثنـــاء زيارة أهلهم ، وكان المسجونون السياسيون يضـــعون على رؤوسهم فى الجبل أثناء العمل أغطية للرأس ، شأنهم شأن باقى المسجونين ، فصدرت الأوامر بأن يستثنى المسجونون السياسيون من ارتداء أغطية الرأس ؛ حتى لا يقوا رؤوسهم من الشمس ! وفى أيام الجمع كان الحراس يفتحون أبواب الزنازين لكل المسجونين ، ما عدا المسجونين السياسيين . وعندما ذهب عدد من الاخوان الى الضابط المسئول يحتجون قال لهم « أنا ح أخلى حجراتكم كلها برك دم » !.

وبلغ تعنت المسئولين مع المسجونين السياسيين حدا يؤسف له ، كانوا يحرمون عليهم استلام أى طعام أو مأكولات من أهلهم أثنـــاء الزيارة . كانت التعليمات ألا تزيد مدة الزيارة على دقائق معدودة . وكان المسجونون اليهود المحكوم عليهم فى قضـــية فضيحة لافون

يقيمون معهم فى نفس العنبر . وكان يكسر قلب المسجون السياسى المصرى أن يرى الدولة تعامله معاملة المنبوذ ، بينما كان المسجون السياسى اليهودى يعامل فى الليمان باحترام واجلال ! وكان المضحك أن هؤلاء اليهود كان مباحا لهم الانتقال كما يشاءون فى أنحاء السجن . أما المسجون السياسى المصرى فكانت تقفل عليه الأبواب . وكانت الادوية تصل الى اليهود من الخارج . أما المسجون السياسى المصرى فكان اذا وجد العلاج لا يجد الدواء !

وفى اوائل عام ١٩٥٧ كانت ورش الليمان فى حاجة الى أيد عاملة . وفى هذه الحالة تخفض مدة تكسير الاحجار فى الجبل من ٢٦ شهرا الى ٢٤ شهرا لتوفير هذه الأيدى العاملة . ويمكن لكل مسجون أمضى ٢٤ شهرا فى الأشغال الشاقة فى الجبل أن يطلب « التخزين » اى النزول من الجبل . وتقدم عدد من المسجونين السياسيين الاخوان الذين أمضوا المدة يطلبون انهاء عملهم فى الجبل . واذا بخطاب رسمى يجىء برفض أن يستمتع المسجون من الاخوان بالحق الذى يتمتع به سائر المسجونين ، وأن يستمر عملهم فى كسر الأحجار فى الجبل حتى لو انتهت المدة .

وفجأة يجىء أمر بحلق شعور جميع المسجونين السياسيين ، ويجتثون شعورهم الى رقم زيرو !

وجرت عادة السجون والليمانات منذ عشرات السنين على أن تحترم ادارتها شهر رمضان فتوقف تفتيش الزنازين خلال شهر رمضان .. ! واذا بالأوامر تجىء بوقف تفتيش جميع المساجين ما عدا الاخوان .. !

وجىء لليمان بمدير جديد قيل انه هو الذى أمر بتعذيب المسجون السياسى الشيوعى شهدى بطرس حتى الموت .. وانه أختير لكى يفعل بالمسجونين السياسيين فى ليمان طره ما فعل بهم فى ليمان أبو زعبل .

اننى أسمع الآن تحذيرا بأن ابواب العنبر تفتح ، وانهم سيجيئون لتفتيش زنزانتى !

اتركك الآن وسوف أتم لك القصة فى الخطاب القادم »



الحرس يضع في يدي القيد الحديدي ، بعد صدور الحكم ، في اللوري الذي حملني من المحكمة الى السجن ..

مذبحة طرة!

سجن ليمان طره

أعود اليوم لاستئناف الحديث عن مذبحة طرة . كان ذلك فى يوم ٢٨ مايو سنة ١٩٥٧ ، وحضر أهالى المسجونين السياسيين من أهل شبرا فى مجموعة واحدة لزيارة أولادهم . الزيارة من وراء السلك كأقفاص القرود بمعنى أنه يفصل بين الأهالى والمسجونين ستار من السلك السميك ، حتى لا يتصافحوا ، ولا يقبلوا بعضهم بعضا . هذه هى حقوق الآدميين . أما المسجون السياسى فى مصر فهو حيوان يجب أن يعامل معاملة الحيوانات . لا يصافح زوجته . لا يقبل أولاده . يفصله حاجز مزدوج عرضه نصف متر ، حتى لا يهمس ، وحتى تناقش المسائل العائلية علنا ! المسجون لا ينفرد بأسرته . كل عشرين مسجونا يدخلون معا الى القفص تختلط الأصوات . تضيع الكلمات . يستمر اللقاء دقائق معدودة . فى هذه اللحظات المكهربة التعسة دخل أحد الضباط وأمسك بالمسجون السياسى عبد الغفار السيد واتهمه بأنه استلم من أسرته بعض المأكولات من خلال ثقب مفتوح فى السلك ! يا للجريمة العظمى . القاتل مسموح له أن يتسلم من أهله طعاما أثناء الزيارة ، أما المسجون السياسى فمحرم عليه أن يستمتع بالحق الذى يستمتع به القاتل أو السفاح ! وذعرت النساء . وبكى الأطفال من صراخ الضابط فى المسجون السياسى الذى خالف التعليمات . وطلب المسجونون السياسيون من الضابط أن يؤجل شخطه ونطره ، وتوبيخه وتأنيبه حتى تنصرف الزوجات والأطفال ! واذا بالضابط يقرر معاقبة جميع المسجونين السياسيين بقطع الزيارة ، وحرمانهم منها ، لأن مسجونا سياسيا واحدا خالف التعليمات وتسلم طعاما من أهله ! وصاح الضابط فى المسجونين السياسيين أمام أمهاتهم وزوجاتهم وأطفالهم :

— والله العظيم لاحرقكم بجاز !

ودفع الحراس الأطفال والنساء بأيديهم الى خارج السجن وهم يئنون ويصرخون حزنا على أولادهم وآبائهم واخوانهم الذين أقسم الضابط أمامهم أن يسكب عليهم البترول ويحرقهم أحياء بالنار !

واجلسوا المسجونين السياسيين على الأرض أمام عنبر التأديب ، وجاء ضابط كبير يقول لهم كل من تسلم من أهله لقمة عيش يجب أن يسلمها !

وسلم المسجونون السياسيون ما معهم من لحم أو فاكهة أو حلوى للحراس ! ومن سخرية القدر أن الحشيش والأفيون وزجاجات الخمر كانت تهرب الى داخل السجن للمسجونين العاديين ، ويحرم الطعام البسيط على المسجونين السياسيين !

وصدر أمر بادخال ١٤ مسجونا من الاخوان فى غرف التأديب ، وقيدت أيديهم بالقيود الحديدية خلف ظهورهم .. وصدر الأمر بالقبض على الأهالى .. نعم القبض على النساء والأطفال .. وجروهم مقبوضا عليهم الى قسم المعادى . وحررت لهم محاضر بأنهم خالفوا التعليمات وهربوا طعاما الى ذويهم المسجونين السياسيين ! وابقوهم مقبوضا عليهم حتى المساء ثم افرجوا عنهم بعد أن هددوهم بالسجن اذا عادوا واعطوا ذويهم من المسجونين السياسيين لقمة عيش !

وفى صباح اليوم التالى صدرت الأوامر بتجريد الأخوان المسلمين فى التأديب من ملابسهم ، وحلق شعورهم ، ثم دخل عليهم مأمور أول الليمان وقال لهم :

ــ احنا مبيتين لكم دقة ! ح نخليكم تمشوا على العجين ما تلخبطوهوش !

وفى نفس اليوم ، ٢٩ مايو سنة ١٩٥٧ استدعى مدير الليمان لطباء السجن وأمرهم باخراج جميع المرضى من المسجونين السياسيين الاخوان من الملاحظة الطبية .

والملاحظة الطبية هى أن يعامل المسجون معاملة المريض ، ويبقى تحت العلاج خارج مستشفى السجن ، وفى هذه الحالة لا يخرج الى الجبل يكسر الأحجار ، ويتناول طعاما صحيا .

واعترض الأطباء على هذا الأمر ، وقالوا ان المسجونين السياسيين الموضوعين تحت الملاحظة مرضى فعلا ، وخروجهم من الملاحظة الطبية خطر على حياتهم ! وقال لهم مدير الليمان أن هذه اوامر « من فوق » وأن أى طبيب لا ينفذ هذه التعليمات سيجد نفسه مسجونا فى احدى الزنزانات !

وقال الأطباء أن بعض المسجونين السياسيين المرضى قدموا من سجون أخرى للعلاج ..

وقال المدير أن الأمر يشمل الجميع .. المرضى وانصاف الموتى ! وأن الجميع يجب أن يكسروا الأحجار فى الجبل !

وشاع بين المسجونين السياسيين أن الغرض من ارغام المسجونين السياسيين على العمل فى الجبل برغم مرضهم وسوء حالاتهم الصحية ، ان الأوامر صدرت بقتلهم فى الجبل واتهامهم بأنهم حاولوا الهرب !

وقال لى بعض الحراس انه حدث فى أثناء القبض على أهالى المسجونين السياسيين ان حاول أحد الضباط أن يضع يده فى صدر احدى السيدات من أهالى المسجونين ، فثارت السيدة ، وكان هذا الحادث هو القشة التى قصمت ظهر البعير ! ولكن المسجونين السياسيين الذين كانوا موجودين فى ذلك اليوم قالوا أنهم لم يروا شيئا كهذا ، وأنه اذا كان وقع فيكون قد وقع اثناء نقل الأهالى المقبوض عليهم الى قسم المعادى .

ولكن هذا الجو المشحون المكهرب المليء بالارهاب والاستفزاز والرغبة فى اذلال المسجونين السياسيين جعل أعصابهم متوترة ، ينتظرون بين لحظة وأخرى أن تنقض مطارق الانتقام فوق رؤوسهم! وجوه الضباط عابسة مكشرة . عيونهم مليئة بالشرر . الحراس يؤكدون للمسجونين السياسيين أن النية متجهة للتخلص منهم ! لماذا ؟ لأن واحد منهم تسلم طعاما من أهله أثناء الزيارة ؟ ! هذا غير معقول .. لابد أن هناك جريمة لا يعرفونها جعلت الأوامر تصدر بالتنكيل بهم ! كل شيء فى السجن يكشر فى وجوههم . حتى القضبان!

لقد قيل لهم صراحة بأنهم « اعداء الدولة » و « ذبحهم حلال » !!
ولم يصدقوا هذا التهديد . تصوروا أن احد الضباط يهز أعصابهم ...
ولكنهم فى اليوم التالى فوجئوا بأنه لم يكن تهديدا ، وانمـــا كان أحد أخبار الغـــد ..

وفى صباح يوم السبت أول يونيو سنة ١٩٥٧ فتح الحـــراس ابواب الزنازين ، وطلبوا من المسجونين أن يـــذهبوا الى طابور الجبل ، وهو الطابور الذى يسيرون فيه كل صباح فى حراسة الجنود المسلحين والكلاب البوليسية ليعملوا فى تكسير الأحجار ..

ورفض الاخوان الخروج . وأبلغوا ادارة الليمان أنهم يطلبون وكيل النيابة ، ليسجلوا أمامه أنهم يشعرون بأن الخطر يهدد حياتهم، وانه قيل لهم أن أوامر صدرت بذبحهم . وانهم غير ممتنعين عن العمل ويطلبون تحقيقا فيما أعلنه الضباط من نوايا عدائية نحوهم ..

وحضر مدير الليمان فتزروا عليه ملتمسهم ، فوعدهم بعرض الأمر على الجهات العليا ، وطلب منهم أن يدخلوا الى زنزاناتهم . ودخل المسجونون الى زنزاناتهم ، وقد اعتقدوا أن الأمر سينتهى فى هـــدوء ..

وبعد حوالى ثلث ساعة بدأ فتح الزنازين زنزانة زنزانة ، وانزال المسجونين السياسيين الى الدور الأرضى ، وصفهم فى طوابير تحت حراسة مشددة وهمس المسجونون العاديون فى أذن المســـجونين السياسيين انه تعد الآن فرقة من الكتيبة التى تقيم فى بناء مجـــاور لليمان ، وان هذه الكتيبة تتسلح بالبنادق والعصى والجنازير ، وتعد للهجوم على السجن ..

ثم جاء مدير الليمان مرة اخرى وطلب من المسجونين السياسيين أن يعودوا الى زنزاناتهم ! فطلبوا منه أن يتركهم فى الحوش كباقى المسجونين العاديين ، ويستدعى النيابة ..

وانصرف مدير الليمان دون أن يلتزم بشىء .

وفى الساعة الواحدة ظهرا فوجىء المسجونون السياسيون بفرقة مسلحة من جنود الكتيبة ورأوا جزءا من الفرقة يصطف فى الطابق الثانى ، ويصطف الجزء الثانى من الكتيبة فى الطابق الرابع .

وبذلك بقى المسجونون السياسيون من الاخوان محصـــورين في زنزاناتهم بالطابق الثالث . .

ووقف عدد من كبار الضباط أمام مدخل العنبر في الطابق الأول . . وصاح اللواء اسماعيل همت : اضرب !

وانهال الرصاص من كل ناحية على المسجونين الســياسيين من الاخوان في الطابق الثالث .

بلا انذار !

بلا مقــدمات !

ولم يكن يخطر ببال أحد من المسجونين السياسيين أن هذا ممكن أن يحدث ، حتى أن المسجون السياسي سعد شوقي كان يقف على كوبرى الطابق الثالث وسمع صوت الرصاص فقال : ان هــذا ليس رصاصا حقيقيا ! انه فشنك !

وفجأة أصيب سعد شوقي بعدد من الرصاصات وسقط قتيلا . . قبل أن يعرف أن هذا رصاص حقيقي !

وأسرع المسجونون السياسيون ودخلوا الزنازين ، واقفــلوا أبوابها محتمين بها !

وصدرت الأوامر الى الجنود باطلاق الرصاص من خلال قضبان نوافذ الزنازين !

وسقط قتلى في داخل الزنازين . .

ثم صدر الأمر باقتحام عدد من جنود الكتيبة والحراس المخــزن رقم ١٣٦ ، وان يجهزوا على من فيه بالشوم !

والمخزن عبارة عن غرفة كبيرة يسكنها عدد غير قليل من المسجونين السياسيين ولكن عناية الله منعت من تنفيذ هذا الأمر ، فقــد انكسرت اكرة الباب ، وفشلوا في معالجتها ، وتركوا المخزن واقتحموا باقى الزنازين .

وفى الساعة الثانية ظهرا توقف اطلاق النار .. ونقل المصابون الى المستشفى وهم ينزفون دما !

وكان يقابلهم فى الطريق بعض الحراس فيأمرهم الضابط بأن يجهزوا عليهم .

ورأى الأطباء جثث القتلى والجرحى فذهلوا .. وقالوا ان الحالات خطيرة جدا ويجب نقلهم فورا الى مستشفى القصر العينى !

وقال مدير الليمان ان الأوامر ان يبقوا هنا !

والتف الأطباء حول المسجون السياسى عثمان حسن يحاولون انقاذه من جروحه الخطيرة !

ولكن معدات الانقاذ فى مستشفى السجن لم تكن كافية واسلم الروح !

وصدرت اوامر بنقل الجثث الى خارج الزنازين ، وان يرصوهم فى طرقات العنبر ، لايهام النيابة بأنهم قتلوا وهم فى حالة تمرد خارج الزنازين ! ولكن عندما جاءت النيابة وجدت الدماء على جدران الزنازين من الداخل مما يؤكد ان عملية القتل حدثت والمسجونون داخل زنازينهم !

ثم صدرت الأوامر بالقاء امتعة واطباق المسجونين على أرض الطابق الأول ، حتى يتوهم المحقق انه حدثت معركة استعمل فيها المسجونون السياسيون الأطباق ، واضطر الجنود الى الرد عليها بالرصاص !

اما القتلى الذين عرفت اسماؤهم حتى الآن فهم :

١ ــ احمد حامد على قرقر بكالوريوس تجارة . موظف بمصلحة التليفونات من دنديط مركز ميت غمر .

٢ ــ عبد الفتاح محمود عطا الله . ترزى من كفر دهب مركز قويسنا .

٣ ـــ على ابراهيم حمزة صاحب محل قمصان بحلوان من ميت بدر حلاوة مركز المحلة .

٤ ـــ محمد ابو الفتوح معوض . عامل مطبعة بهواش مركز منوف .

٥ ـــ عثمان حسين عيد . صحفى خريج كلية دار العلوم . قلعة الكبش . القاهرة .

٦ ـــ خيرى ابراهيم عطية . طالب أزهرى . الخليفة .

٧ ـــ عثمان عزت عثمان الشهير بعصمت . موظف بالجمارك . السويس .

٨ ـــ عبد العزيز عبد الله الجندى . موظف بالسكة الحديد . شبرا .

٩ ـــ ابراهيم محمود ابو الدهب . مدرس . اسكندرية .

١٠ ـــ مصطفى حامد على . طالب . امبابة .

١١ ـــ محمود عبد الجواد العطار . ترزى . اسكندرية .

١٢ ـــ السيد على محمد . تاجر نحاس . اسكندرية .

١٣ ـــ السيد العزب صوان . عامل بشركة النسيج ـــ المحلة .

١٤ ـــ احمدى عبده متولى . بكالوريوس زراعة . شرقية .

١٥ ـــ الحاج رزق حسن اسماعيل . مزارع . قلين . كفر الشيخ .

١٦ ـــ سعد الدين محمد شوقى . دبلوم تجارة . امبابة .

١٧ ـــ فهى نصر . طالب ثانوى . بهواش . محافظة المنوفية .

١٨ ـــ أنور مصطفى أحمد . مصر القديمة .

١٩ ـــ أحمد محمود الشناوى . العباسية .

٢٠ ـــ محمود محمد سليمان . مهندس بالسكة الحديد . من طما .

٢١ ـــ محمد قواره . الدقهلية .

* * *

وفى الخطاب القادم سأحدثك كيف موقف القتلى . وكوفىء القتلة !!

محاكمة القتيل .. ومكافأة القاتل

عـــزيزتي

صدرت الأوامر بمعاملة قتلى مذبحة طرة معاملة المحكوم عليهم بالاعدام . المحكوم عليه بالاعدام لا تشيع جنازته ولا يسمح لأسرته باقامة مأتم له ! .. استدعيت أسر الضحايا ، وتسلمت كل أسرة جثة ابنها . نبهت السلطات عليهم بأن تتم عملية الدفن سرا ، وأن أي أسرة تقيم مأتما لابنها ستتعرض لأشد أنواع العقاب .. صدرت الأوامر باعداد شهود الزور ليحلفوا اليمين بأن القتلى هم المعتدون ! وأنهم كانوا مسلحين بالأطباق ومعلبات الفاصوليا والبامية وغيرها من الأسلحة الفتاكة . وأن المدير الرحيم حاول أن يصرفهم بالحسنى والذوق وأبوا واستكبروا ، ولكنهم اعتدوا عليه بالقول والاشارة . وأن الجنود قتلوا ٢١ مسجونا سياسـيا بالرصـاص دفاعا عن النفس !

وصدرت الأوامر باخفاء أنباء المذبحة ، واعتبارها من أسرار الدولة العليا التي لا يجوز الحديث عنها ، والاشارة لها من قريب أو من بعيـد !

وكان معنى هذا القرار أن توارى المذبحة التراب مع جثث الشهداء الواحد والعشرين !

ولكن أوامر جديدة صدرت بالتحقيق مع الجرحى والمصابين الذين تجرأوا وبقوا على قيد الحياة !

وبدأ أغرب أنواع التحقيق . انه التحقيق مع الموتى !

وأراد المسجونون السياسيون المصابون بالرصاص أن يحكوا حكايتهم مع ادارة الليمان ، وكلما فتح واحد منهم فمه ليروي ما حدث أسكته أحد الضباط ، وقال أن الطبيب أمر بألا يتكلم لأن حالتـه حرجة وتمنعه من الكلام ..

وحاول بعض الذين اطلقوا الرصاص أن يتكلموا باعتبارهم جرحى ! وارغم عدد من المسجونين على التوقيع على أقوال لم يدلوا بها ، في ظل الضغط والارهاب والتهديد .

ونصبت ادارة السجن كمينا فى طرقات الليمان للاخوان الذين تستدعيهم النيابة ، فاذا اقترب أحدهم من غرفة وكيل النيابة انهالوا عليه ضربا حتى يفقد النطق ، ثم حملوه الى وكيل النيابة وقالوا له أنه فى حالة صحية تمنعه من الكلام !

واعترف أحد الضباط بانه صدرت الأوامر الى فرقة من الكتيبة للذهاب الى عنبر التأديب حيث يوجد باقى المسجونين السياسيين الجرحى : وكانت التعليمات بأن تجهز عليهم جميعا .. ثم تدخل أحد الضباط وأنقذ حياة الباقين على قيد الحياة !

وجاء موظف كبير من وزارة الداخلية وسأل مدير الليمان :

ـ كم عدد القتلى ؟

قال مدير الليمان .

ـ ٢١ قتيلا يا افندم .

قال الموظف الكبير :

ـ ٢١ فقط ! ان التعليمات هى ابادتهم جميعا !

وفى يوم الثلاثاء ٤ يونيو صدر الامر بترحيل باقى الأحياء من المسجونين السياسيين الى سجن القناطر ، وتم نقلهم فى الساعة الثالثة صباحا حتى لا يعرف أحد فى المدينة ماذا يجرى !

وكان المسجونون مربوطين فى جنازير من الحديد . وبعد فك الجنازير نقلوا فى دفعات الى الطابق الثانى ، وكانت كل دفعة تتكون من ثلاثة مسجونين . وصدر الأمر لكل دفعة بأن تجرى حول أسوار العنبر بينما تنهال عليهم السياط والعصى والاحزمة الجلدية من أيدى الحراس وقصدوا بهذا اقامة حفلة استقبال للمسجونين السياسيين لارهابهم ولادخال الرعب الى قلوبهم !

وعاش الاخوان ثلاثة شهور فيما يسمونه « التكديرة » . وعملية التكدير هذه هى مزيج من ضرب السياط والتعذيب والحرمان من البطاطين والأبراش ، ومنع المصاحف ، ومنع زيارات أهالى المسجونين ، ومنع ارسال خطابات لأسرهم أو تلقى خطابات ، ومنع شراء حاجاتهم من كانتين السجن ، وعدم قبول أمانات باسمهم ..

وفى ذلك الوقت كان يمر عليهم ضابط بعريضة تحوى شكر ولاة الأمور على المعاملة الطيبة وتأييد الحكومة فى اعمالها الجليلة !

وفى اثناء عملية التكدير وقعت كارثة ، اذ تجرأ احد الاخوان من المسجونين السياسيين واذن لصلاة المغرب !

وقامت الدنيا وقعدت ! هذه جريمة كبرى ! هذه مخالفة للتعليمات ! هذا تحد لسلطات السجن .

وتحول السجن الى جحيم !

وكثرت الأمراض العصبية بين المسجونين السياسيين . أصيب المسجون معوض ابراهيم بانهيار عصبى . أصيب محمد الفاتح بانهيار عصبى . أصيب عبد الحليم شحاته بانهيار عصبى .

كاد يتحول عنبر المسجونين السياسيين بسجن القناطر الى مستشفى للأمراض العقلية !

وصدر الأمر بنقل ١٩ مسجونا سياسيا الى معتقل الواحات .

ثم صدر الأمر بنقل ١٠ مسجونين سياسيين آخرين الى سجن المحاريق !

وكانت جريمتهم انهم رفضوا أن يشكروا الحكومة على معاملتها الطيبة ، كما رفضوا أن يكتبوا تأييدا لها .

لأنها قتلت ٢١ منهم !

التعليمات السرية!!

سجن ليمان طرة

٥ سبتمبر سنة ١٩٦٦

ليس هناك فى الحياة أجمل من أن يشعر المسجون بأن هناك من يحبونه . ان الحب يخفف عذاب الوحدة وألم السجن . وأنا أحمد الله انني أشعر بحب الناس . هذا الحب يملأ روحى ثقة وهناء وأملا . هذا الحب هو الشيء الوحيد الذى لا يمكنهم أن يؤمموه ، أو يضعوه تحت الحراسة ، أو يودعوه فى السجون والمعتقلات ! وأعتقد أن هذا الحب العظيم قادر على أن يفعل لنا شيئا فى المحنة التى نعيش فيها . اننى أعلم أن الصدمة تهد الجبال . ولكن ايمانى بالله يجعلنى واثقا بأننا سوف نصمد لهذه الصدمة الكبرى ، كما صمدنا لأهوال كثيرة فى الأربعة عشر شهرا الماضية . أنا أعرف ان ايمانى دخل فى امتحانات كثيرة . ولم أعد فى حاجة الى امتحان جديد ، ولكن يظهر ان الأقدار لا تصدق ان ايماننا يمكن أن يكون بهذه القوة وهذا الصمود . وجاءت لنا هذه الضربة الجديدة ، وسوف نتحملها كما احتملنا غيرها . ان الله معنا . لقد أعطانا هذا الايمان الكبير . وأعطانا حب الناس . وهو قادر على أن يعطينا الحرية ، التى نتمناها ، ونصلى لها ، ونعيش من أجلها ! وأنا لا أتصور أن الحرية لن تجيء لى وحدى . وسوف تجيء للبلد كله . سيجيء يوم تفتح فيه أبواب السجون والمعتقلات . سوف تفتح النوافذ كلها والأبواب كلها . سنخرج كلنا الى الهواء الطلق الى الحرية ! اننى لست أحلم . اننى مؤمن بأن هذا اليوم سيجيء . ومن الغريب أن يكتب هذه النبوءة محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ، بعد أقل من أسبوعين من صدور الحكم . ولكن العجيب اننى أرى فى هذا الظلام الدامس شعاع الحرية ، وأسمع فى فرقعة سياط الظالمين بشير العدل يقول لنا انه قادم فى الطريق ..

الظلم الكثير يقرب ساعة الظالمين . وانا ارى حولى فى كل مكان جثث المظلومين تتكاثر وتزيد وتتضاعف ، واحس انني ارى بشائر العدل !

شربت قهوة لذيذة امس واليوم . مضى على وقت طويل لم اذق القهوة . كنت وانا خارج السجن اشرب ١٧ فنجان قهوة فى اليوم . وكم حاول الأطباء دون جدوى اقناعي بالاقلال من شرب القهوة الى ان جئت الى هنا ، ويظهر انني دخلت الليمان بناء على طلب الأطباء !

المسجونون هنا يسمعون اذاعة القاهرة وصوت العرب وهي تهاجمنى ليل نهار ! يقراون الصحف التى تخصص المقالات الطويلة لاثبات خيانتى . ولم يتأثر المسجونون بهذه الحملة الضارية ، بل ضاعفت من عطفهم على ، وحبهم لى ! ان مئات من الرسائل السرية تدس فى زنزانتى من مسجونين عاديين لا اعرفهم تقول لى « شد حيلك » ! و « لا يهمك » . ! « نحن لا نصدق ما يقولون عنك » « الراى العام كله يؤمن ببراءتك » !

هذه الكلمات تهزنى من الأعماق . أحس في وحدتى اننى لست وحدى . اسمع فى هذه الأصوات صوت بلدى !

التقيت هنا بمسجون فلسطينى من غزة اسمه سامى الخطيب . ملتهب حماسا ووطنية . تهمته أنه قتل من أجل الشرف . ذهلت وانا أراه يعرض حياته للخطر من أجلى . فعل لى أشياء مستحيلة . نظم لي طريقة غريبة للاتصال بأصدقائى وأسرتى فى الخارج أسرع من التلغراف !

كنت احمل هم لقاء أولادى وأسرتى فى داخل السلك . انها طريقة للزيارة مهينة ومذلة ومؤلمة . وكنت أخشى من اثر هذه المقابلة على أعصاب أطفالى الصغار الذين رفضت حتى الآن أن يزورونى فى السجن . ولكن أطباء مستشفى السجن أخبرونى اليوم انهم طلبوا أن تكون زيارتى فى حديقة مستشفى السجن لأن حالة الروماتيزم التى عندي تمنعنى من الوقوف . ولكن .. ليس لى حق

الزيارة قبل مرور شهرين من دخول هذا السجن . وقد مر اليوم ١٥ يوما ، أى قطعت ربع المسافة ، ولعل الله يسرع بالثلاثة الأرباع الباقية حتى يحل موعد اللقاء !

كان يضايقني أن الأوامر تقضي بأن أقرأ خطابات أسرتي وأولادى أمام الضابط ، ولا يبقى الخطاب فى يدى أكثر من عشر دقائق . جاء أمس ضابط طيب وسمح لى أن أحتفظ بخطاب أسرتى لمدة ٢٤ ساعة كاملة . فرحت جداً وعشت طول اليوم أقرأ الخطاب عشرات المرات ومئات المرات . أمضيت الليل والخطاب بين ذراعى !

ويظهر ان « الفتى لما يسعد تيجى له سهرتان فى ليلة » فقد صرحوا لى أمس بكرسي فى زنزانتي ، وينتظر أن أتسلم هذا الكرسى اليوم . وسوف يساعدنى كثيرا . أن الجلوس على الأسفلت مؤلم . وسوف أستطيع أن أستعمل هذا الكرسي كمائدة لتناول الطعام ، ولأضع عليه السجائر وطقطوقة السجائر ، وليكون مكتبا أكتب عليه خطاباتي .. ولكن لن يجلس على الكرسى أحد من الزائرين لأنه غير مصرح لأى مسجون أو حارس أو ضابط بدخول زنزانتي! وكل يوم يحمل لى تقدما جديدا . كل يوم اكتشف ثغرة جديدة فى الحصار الدقيق المضروب على . ان الفضل للناس الطيبين من المسجونين . اننى رجل ضعيف لا حول لى ولا قوة ولا نفوذ . محكوم على بالأشغال الشاقة المؤبدة . الصحف تقول عنى اننى جاسوس وخائن لوطنى . لا أملك سوى خمسة جنيهات فى الشهر . كل ما أملك موضوع تحت الحراسة . أخبار اليوم مؤممة . ومع ذلك أجد من المسجونين — كل المسجونين — تفانيا فى خدمتى وكأننى سأخرج من السجن غدا ! اننى أكاد أطلع على كل ورقة سرية تجيء من وزارة الداخلية الى السجن . أقرأ أحيانا التعليمات السرية قبل أن يقرأها مدير الليمان والضباط ، وأعرف أولا بأول كل التقارير وكل الاشارات وكل الأخبار ! المسجونون الذين يعملون فى المكاتب يتبرعون بنقل الأخبار الي . كل واحد منهم يريد أن يساعدني أو يخدمنى أو يخفف عنى صدمة قيود جديدة !

أكل السجن لا يطاق . فجأة وجدت طاقة تفتح فى شراعة الزنزانة ويدخل منها طبق فيه بسلة وفراخ ولحم . وعشت يومين على هذا

الطبق اللذيذ . بعد أن امضيت اسبوعين لا آكل الا السردين والجبن ! وبعد يومين انفتحت الطاقة والقى احد الزملاء كمية من السجائر . صحيح ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ولكنى رايتها وهى تمطر فراخا ولحما وسجائر ! تصورت فى اول الأمر اننى احلم . ولكن تكرر العملية وطعم الفراخ اقنعنى انها فراخ حقيقية وبسلة حقيقية ! وعرفت بعد ذلك أن أسرة أحد المسجونين زارته ، وانها عرفت اننى مسجون معه فى نفس العنبر فأحضرت طعاما خاصا بى . الغريب اننى لا اعرف اسم هذا المسجون ، ولا شكله !

هذا هو الشعب المصرى .

اننى فى حاجة الى خمس عشرة خرطوشة سجائر والى معلبات خضار وعلب جبن وكلما كان حجم العلبة صغيرا انتهى فى أكلة واحدة كان ذلك يكفينى . فأنا لا اضمن استمرار تبرعات زملائى المسجونين . والمثل يقول « اذا كان حبيبك عسل ما تلحسوش كله » ! لست فى حاجة الى علب سردين . ان عندى منها ما يكفينى لمدة الأشغال الشاقة المؤبدة وهى ٢٥ سنة !! أرجو أن يتذكر اخى أن يرسل لى أطعمة السكر ، ومربى السكر .

ملحوظة : وصل الكرسى الآن ، وقد وضعت فوقه وسادة ، واستعملته بصفة مكتب ، وهو أحسن كثيرا من الكتابة على كرسى التواليت ! وهأنذا احتفل بافتتاح الكرسى ، واول شىء افعله عليه هو أن اكتب لك هذا الخطاب .

والى اللقــاء ..

مؤامرة الذبحة الصدرية!

سـجن ليمـان طـره

١٠ سبتمبر سنة ١٩٦٦

مضى علي فى ليمان طرة ٢١ يوما . عادة الشهر الأول فى السجن الجديد هو أصعب الشهور . كذلك كان الحال فى سجن المخابرات ، وفى السجن الحربى ، وفى سجن الاستئناف وفى سجن القنـاطر . لقد امضيت هذه المدة أحاول أن أكيف نفسى للحياة الجديدة التى انتقلت اليها . مما يسعدنى أن المصاعب التى صادفتنى فى أول الأمر احاول أن اتغلب عليها تدريجا . أو اتعود عليها اذا لم استطع التغلب عليها . المسائل نسبية فى الحياة . بالأمس كنت أستعد ٢٤ ساعة لأطير الى أوربا وأمريكا . الآن استعد اسبوعا للانتقال من زنزانتى الى مستشفى السجن . هذه المائة متر تحتـاج الى اجراءات وتصريح دخول وجواز مرور واذن من الضابط قائد العنبر ، واذن من مدير الليمان وأذن من مدير المستشفى ، كل هذا لأمضى نصف ساعة فى المستشفى لتحليل بول السكر ! لقد اختـاروا لى الشاويش ديهوم ليحرسنى . انه أكثر الحراس صرامة . يتبعنى كظلى . الويل لمن يحاول أن يقترب منى . كنت أتمشى فى حديقـة العنبر ، وكان يمشى خلفى . وقال لى الشاويش ديهـوم : « هيـا نذهب الى التواليت » ! قلت له : ولكنى لا أريد أن أذهب الى التواليت ! قال الشاويش ديهوم : ولكنى أنا أريد أن أذهب ! قلت متعجبا : اذهب وحدك ! قال ديهوم : لا أستطيع أن أذهب واتركك وحدك ! وتبعته صاغرا ، ووقفت معه الى أن انتهى من التواليت !

ولم اعرف ماذا افعل للتخلص من الشاويش ديهـوم ! وخطر ببالى أن اقنعه بأنه مريض بالذبحة الصدرية ، وأن مرضه يقتضى أن يجلس ولا يتبعنى كظلى اثناء الفسحة . واتفقت مع احد الأطباء

على أن يؤكد له أنه مريض بالذبحة الصدرية .. واضطر الشاويش دبهوم أن يجلس على كرسى وهكذا أصبحت لأول مرة أمشى فى حديقة السجن دون أن يتبعنى ، ولكن مفاجأة حدثت بعد ذلك وهو أن دبهوم ذهب الى مستشفى الجمهورية ليتأكد من الأمر ، واذا بالأطباء يجمعون فعلا على انه مريض بالذبحة الصدرية !! كيف حدث ذلك لا أعرف ! هل عرف طبيب مستشفى الجمهورية عذابى على يد الشاويش دبهوم فاشترك فى المؤامرة ، أم أنها مصادفة .. أم ان الله اراد أن يخفف عنى البلاء الذى أنا فيه .. لا أعرف !

اننى لا أسمع هنا الا اذاعة القاهرة . شعرت برغبة فى أن أسمع اذاعات العالم لأعرف مالا يقال من اذاعة القاهرة . وجدت أن تهريب راديو صغير داخل الزنزانة مخاطرة مع التفتيش المستمر ليل نهار ! تعرفت الى المسجون زكريا عبد الستار . انه الذى يتولى عملية الاذاعة فى السجن . اتفقت معه على أن يسمع اذاعات العالم ويبلغنى شفويا كل يوم بأهم ما يسمع ! وهكذا استطعت أن أعرف ما يجرى فى العالم .

•

ببعض الصبر ، وببعض التنظيم ، وبفضل حب واخلاص وتعاون زملائى المسجونين سوف أنشىء « أخبار يوم » صغيرة داخل ليمان طرة ، كما فعلت فى سجن الاستئناف ثم فى سجن القناطر .

بدأت اتصالات بالمعتقل . عدد المعتقلين يزيدون كل يوم . عشرات الألوف من الشبان . موظفون . طلبة . أساتذة جامعة . عمال . كل الفئات ممثلة فى المعتقل . كل واحد منهم له قصة ديست فيها العدالة والحرية والانسانية بالأقدام !

انهم يظنون أن المعتقلات هى حصون تحمى الحاكم . أنا أراها قبورا يدفن فيها الحكام . قيل لنا أن الناس خائفون . الكل فى رعب . الأبرياء يؤخذون بالشبهات . أسر توضع تحت الحراسة بلا ذنب ولا جريرة ! أسرة فى الاسكندرية وضعت تحت الحراسة لأن ابنتها الطالبة فى كلية الطب بجامعة الاسكندرية رفضت أن تتزوج من شقيق أحد الكبراء ولهذا السبب عوقبت الأسرة : نساؤها وأطفالها ورجالها ووضعوا جميعا تحت الحراسة ! ما هى علاقة

أمن الدولة بزواج طالبة فى كلية الطب .. الغريب أن الذين يرتكبون هذه التصرفات يتصورون أن أحدا لن يجرؤ على الهمس بها . انهم كمموا كل الأفواه . نشروا الارهاب بين الجميع .. ولكن عيبهم انهم جهلاء لم يقرأوا التاريخ ولم يعرفوا أن كل هذا سوف يعرف وينشر فى يوم من الأيام !

اننى اعتقد أن نكبتنا الكبرى أن اكثر الذين يتولون أمورنا الآن جهلاء .. ان الدولة الآن اشبه بطائرة يقودها أشخاص لم يدرسوا الطيران ، ولهذا فلابد أن تقع الطائرة وتحدث كارثة ! هذه النبوءة ليست فى حاجة الى علم . انها أشبه بواحد زائد واحد يساويان اثنين ! لا أستطيع ان أحمد الله اننى لست فى الطائرة ، لأن مصر كلها فى هذه الطائرة .. وهذه هى المصيبة المنتظرة !

استلمت اليوم بذلتى الجديدة . وهى بذلة بيضاء فصلها لى كمال الأبيض ، وهو مسجون معى وترزى من الطراز الأول . وأصبح الآن عندى ثلاث بدل . البدلة الجديدة ، وبذلة زرقاء أنام فيها وبذلة سلف . وهذا عز لم أحلم به فى أى يوم منذ أن دخلت الليمان. وبعد أن كنت أحمل هم السجائر ، استطعت فى خلال هذه الأسابيع أن أقللها وأتغلب على هذه الأزمة الطاحنة . وبعد أن تصورت أن الحياة مستحيلة بخمسة جنيهات فى الشهر ، وضع الله سره فى الجنيهات الخمسة وكفتنى حتى الآن ! وبعد أن كنت أتضايق من وضع الطعام فوق كرسى التواليت وأستعمله بدل مائدة الطعام أصبح عندى كرسى خيزران فوقه وسادة . وبعد أن كنت لا أستطيع أن أشرب الماء لأن جردل الماء تقع فيه باستمرار كمية هائلة من الصراصير ، أصبح عندى أربع زمزميات بلاستيك للماء . صحيح أنها كلها سلف من زملائى المسجونين معى ، ولكنى بدأت أعود نفسى على الماء الفاتر ، ولا أشرب الماء المثلج الذى كنت أحبه الا فى الأعياد والمناسبات الرسمية . وبعد أن كانت الزنزانة تغلق ٢٣ ساعة كل يوم ، أصبحت تفتح ساعتين فى النهار . وبعد أن كنت أشكو من اننى لا أجد شيئا أقرؤه فوجئت بتلاميذى يهربون لى التايمز والأوبزيرفر والديلى تلجراف وتايم ونيوزويك والصانداى تيمس والصياد والأسبوع العربى وآخر ساعة .

وقيل لى اننى ما دمت احمل ماجستير فى العلوم السياسية من أمريكا فمعنى ذلك اننى احمل شهادة عليا ، والذين يحملون شهادة عليا ينص لائحة السجون على أن يوضعوا فى الدرجة الأولى . وهى عادة تمنح أوتوماتيكا للحاصل على شهادة عليا ، وميزتها أن أصرف عشرة جنيهات فى الشهر بدلا من خمسة جنيهات .. وارسل مدير الليمان يستأذن مدير مصلحة السجون . وارسل مدير مصلحة السجون يستأذن وزير الداخلية . وأرسل وزير الداخلية يستأذن رئيس الوزراء ، وارسل رئيس الوزراء يستأذن رئيس الجمهورية . كل ذلك من اجل زيادة المبلغ من خمسة جنيهات فى الشهر الى عشرة جنيهات فى الشهر !

ولا استبعد ان يدور الورق حول الكرة الأرضية قبل أن يعود الي الليمان ، بل لا استبعد أن يفتى أحد المستشارين فى رياسة الجمهورية بأن شهادة ماجستير من جامعة فى أمريكا تساوى شهادة الاعدادية فى مصر !

وقيل لى ايضا أن نومى على سرير ومرتبة هو قرار مؤقت . أصدره مدير المستشفى لمرضى ونفذه مدير الليمان على مسئوليته حتى يصل الاذن من الجهات العليا بأن أنام على السرير ، ولا فسوف أنام على البلاط ! ولهذا لم أطلب منكم أن تحضروا لى فى الزيارة ملاءة بيضاء . وكيسا للوسادة بعرض سرير مستشفى ، لأننى لا أعرف هل سأبقى نائما على السرير والمرتبة أم انتقل الى البلاط الملكى !

وكذلك التصريح بالصحف والمجلات لم يصل بعد . انا اقرأ الصحف « سرقة » ! واذا جاء التفتيش فجأة القيت بها من النافذة !

وهم يقولون أن التعليمات لن تتأخر كثيرا ، ولكن يبدو أن ولاة الامور مشغولون بالمسائل الكبيرة ولا وقت عندهم للمسائل الصغيرة .

نسيت ان أخبركم اننى استدعيت للمثول فى يوم ٩ اكتوبر أمام محكمة الجنايات فى قضية مرفوعة على بصفتى رئيسا لتحرير

أخبار اليوم . فرحت بتقديمى الى محكمة الجنايات فهذه فرصة لأرى الدنيا ! وهم عادة يسمحون لأقارب المسجون بأن يقابلوه قبل الجلسة وبعدها ، ويستطيع الأهل ان يعطوا المسجون سجائر ، وممكن ان تحضروا بعض الساندويتشات فقد تستمر الجلسة الى ما بعد الغداء . وهناك نظام بأن ينقل المسجون من الليمان الى سجن الاستئناف قبل الجلسة بيوم ، ويبيت فى سجن الاستئناف ليلة او ليلتين . لا اعرف هل سيتبعون معى هذا النظام ، أم سينقلوننى من ليمان طره الى جلسة محكمة الجنايات مباشرة .

وفى بعض الأحيان افكر : ما ذنب الذين أحبهم فى كل هذا الشقاء ؟ لقد وعدت أحبائى واصدقائى وتلاميذى بالنعيم وأعطيتهم الجحيم . وعدتهم برحلات بين عواصم العالم وأعطيتهم زيارات لمختلف السجون! وعدتهم بالهناء وأعطيتهم الحرمان . وعدتهم بصحافة مثل ناطحات السحاب ، وتركتها لهم أكواخا وخرائب وقبور !!

أما انا فلم افقد شيئا كثيرا . شاء الله أن يعطينى حب الناس ليعوضنى عن كل ما فقدت ، ولست أعرف ماذا تكون حياتى من غير هذا الحب . ان الله قبل أن يقضى بالداء يدبر الدواء . وقبل أن يسمح لليد التى طعنتنى أن تحمل السكين ، خلق الأيدى التى تكون البلسم للجراح !

لو وقفت وحدى فى هذه الدنيا ، فلن اشعر بالوحدة . لأننى أحس بأن الناس بجانبى . لن اقع وهم الى جوارى . لن اسقط وانا مستند اليهم . لن اشعر باليأس والألم ، وأنا أشعر ان حبهم يحول ضعفى الى قوة . انا لم أتصور أن حب الناس يستطيع أن يفعل كل هذا فى رجل محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة .

اننى عشت حياتى كلها أعتمد على نفسى . ولكنى الآن اشعر اننى اعتمد على الناس جميعا . الضعفاء لا الأقوياء . المظلومين لا الظالمين . المسحوقين لا اصحاب النفوذ والسلطان لهذا يهمنى أن تكون أعصاب الذين يحبوننى قوية . مما يسعدنى أن اجدهم صامدين . يعاندون الأحداث التى كان يجب أن تحطمنا جميعا . ولكننا لن نتحطم . سوف نقاوم .

ان الذى صمدنا له حتى الآن هو شيء لا يتصوره العقـل . كأن مطارق الدنيا كلها هوت فوق رؤوسنا ، تحاول أن تحطمها وتدكها ، ولكننا صمدنا لها ، وكأن المطارق هى التى تتحطم .. أما نحن فنزداد صـمودا .

اطمئنى علي ! ان رأسى ناشف ! ان المطارق لن تحطم رأسى ! رأسى سوف يحطم المطارق !



فى ظل المشنقة !
التقطت هذه الصورة وأنا أسمع المدعى يطلب
من محكمة النجوى الحكم على بالاعدام !

دولة الظلام ساعة!

سجن ليمان طره

١٢ سبتمبر سنة ١٩٦٦

فرحت جدا عندما علمت ان الكولونيا غير ممنوعة فى اللبمان ! ان الأطباء نصحونى بأن امسح جلدى يوميا بالكولونيا بسبب كثرة البق والبراغيث والجرب ! وقد كانت الكولونيا ممنوعة فى سجن الاستئناف خشية أن يشربها المسجونون بدلا من الخمر !

لا أعرف ماذا يمكن أن تحضروه لى من طعام اثناء الزيارة ! كل ما يهمنى هو السجائر ! منذ أن عذبونى فى سجن المخابرات بمنع السجائر أو التحكم فى عدد السجائر التى اشربها اصبحت السجائر عندي عقدة . أخاف أن يجىء اليوم الذى لا اجد فيه سيجارة ادخنها ! السيجارة هنا مهمة . انها العملة الصعبة . التعامل المعترف به هو السجائر . انهم لا يقولون ان هذا الأمر يكلفك كذا قرشا ، بل يقولون لك انه يكلفك كذا علبة سجائر ! الماركات لا اهمية لها . سيجارة الكنت هنا مثل سيجارة البلمونت تماما ! قيل لى انه من الممكن أن تحضروا فى الزيارة أى عدد من السجائر . اننى استطعت أن ادبر لنفسى سجائر الشهر الأول . ولكنى أحمل هم سجائر الشهر الثانى . أعتقد أن الله مد يده الى فى الشهر الأول وهو اصعب الشهور ، ولهذا أتوقع انه لن يدم . والمفتش يقترح اللغى !

كنت احمل هم خبز السجن . مرض السكر جعلنى لا آكل الا الخبز الخاص بالسكر . وانا لا أجده هنا . امرى لله . اننى آكل العيش البلدى . انه يصل الى من الفرن ساخنا ، وهو لذيذ جدا ولكنه مضر جدا بمرضى السكر ! وآكل البيض المقلى بالزيت . هذه أول مرة فى حياتى آكل البيض بالزيت . كانوا يبيعون هنا الزبد فى ثلاجة الكانتين، ولكن تعطلت الثلاجة قبل حضورى فألغوا بيع الزبد ! ان اصلاح

ثلاجة فى عالم الحرية مسألة بسيطة . ولكنها مسألة عويصة فى عالم القيود والسدود ! يجب اخطار المصلحة . والمصلحة ترسل مفتشا . والمفتش يقترح تأليف لجنة . ويصدر قرار بتأليف لجنة . وتجتمع اللجنة . وتطلب اللجنة بدل انتقال للوصول الى ليمان طره . وتنتقل اللجنة الى الليمان . وتقرر أن الثلاجة معطلة ! وهنا يصدر قرار بعمل تحقيق حول المسئول عن تعطيل الثلاجة . وهنا يقع الاختيار على مسجون فدائى يعترف بأنه المسئول عن تعطيل الثلاجة . فيتقرر اصلاحها على حسابه وتقسيط المبلغ من اجر المسجون اليومى وهو قرشان صاغ كل يوم ! ومعنى ذلك انه يجب أن يكون المسجون محكوما عليه بالسجن المؤبد حتى يستطيع أن يسدد ثمن اصلاح الثلاجة !

اننى أحب أن اذكر لكم ما يباع فى كانتين السجن . عندنا معلبات فها لمربى البرتقال والبلح والمشمش . وعندنا لحم بقرى فى المعلبات « لانشون »من صنع يوغوسلافيا وعندنا جبن ناستو . مشكلتى ان الجنيهات الخمسة لا تكفينى للطعام أو السجاير . اما أن اتوقف عن الأكل أو اتوقف عن التدخين . لموازنة الميزانية . اسهل ان امتنع عن الأكل . اننى أمقت الاستعباد . ولكنى اشعر أن السيجارة تستعبدنى . ولم اشعر بذل هذا الاستعباد كما شعرت به وانا فى سجن المخابرات او السجن الحربى !

هرب لى أصدقائى مظروفا كبيرا فيه مجلة الاذاعة وروز اليوسف والمختار والهلال . ختم البريد يوم ٥ سبتمبر . استغرق وصول المظروف من الزمالك الى طره ستة ايام . لو كان اسمى على المظروف لوصل فى ستة اشهر ! تأخير البريد لا يهمنى . الذى يهمنى أن أجد ما اقرأ باستمرار .

أخبار المعتقلات والمعتقلين تهرب الى باستمرار . كل يوم اعتقالات جديدة . ضاقت المعتقلات فصدر أمر بانشاء معتقلات جديدة . أغلب المعتقلين لا يعرفون لماذا اعتقلوا ! لم توجه اليهم تهمة . لم يوجه اليهم سؤال ! المتهم مجرم حتى لو ثبتت براءته . كانت القاعدة فى البلاد الديمقراطية المتهم برىء حتى تثبت ادانته . الذين تحكم عليهم المحاكم الاستثنائية بالبراءة لا يفرج عنهم . يتقلون من سجن الى سجن . كل ما يحدث لهم أن ينقلوا من قائمة المسجونين الى

قائمة المعتقلين ، وهم دائما فى سجن ، والمعاملة واحدة ، والقيود واحدة ، الذى أدهش له ان الذين وضعوا ميثاق الأمم المتحدة وحقوق الانسان لم يسرعوا على تأليف لجان تزور الدول وتبحث عن المسجونين الذين لم توجه لهم تهمة ، أو الذين لم يحاكموا أمام محكمة عادية ، أو الذين حرموا من ابسط قواعد القانون ، وتقدم الدولة التى داست على مبادىء العدالة الى محكمة العدل الدولية . ولقد علمت ان الدول الدكتاتورية عارضت فى ادراج مثل هذا النص فى قانون حقوق الانسان واعتبرته تدخلا فى الشئون الداخلية .

ان الطريق لمنع قيام طغاة ومستبدين وجزارين فى بلاد العالم هو تأليف محكمة عالمية لمحاكمتهم . لا فرق بين الدكتاتور وقاطع الطريق ، كل واحد منهم يعتدي على العدالة .. لو عرف الحكام انه توجد محكمة دولية سوف تحاسبهم على طغيانهم ، لما جرؤ كثير منهم على اقتراف ما ارتكبوه من مظالم !

انني الاحظ اننا دون ان ندري نسير فى طريق ستالين . تأليه الفرد . الغاء الحريات . امتهان العدالة . الاعتقالات بالجملة . اتهام من نختلف معهم فى الرأى بأنهم جواسيس! ان خلفاء ستالين عندما ارادوا ان يتخلصوا من الزعيم بزيا وزير الداخلية قبضوا عليه واعدموه ، واذاعوا بعد اعدامه أنه حوكم واعترف بأنه جاسوس لأمريكا ! كذلك فعل هتلر مع بعض خصومه . اننا نمشى معصوبى الأعين فى طريق الطغيان . ولا يعرف الجهلاء الذين يطبلون ويزمرون لطريق « القوة » ان هذا الطريق يؤدى دائما الى الهاوية . ننسى أنهم اخرجوا جثة ستالين من قبره ولعنوه أمام التاريخ !

ان الضغط والارهاب والمحاكمات الاستثنائية والمعتقلات ليست طريق الأقوياء . إنها قصة سوء استعمال السلطة فى كل زمان ومكان . انها لعنة أصابت العالم الثالث عندما تصور ان طريق الاستبداد هو أقصر طريق بعد الاستقلال . عندما تصور بعض الزعماء أن الحرية هى حريتهم هم ، وليست حرية الشعب . وانه مباح للزعيم الوطنى ان يفعل ما يشاء بالشعب ما دام حرره من الاحتلال الأجنبى . وكأنه محكوم على كل شعب ان يضرب بكرباج الحاكم الأجنبى ، فاذا انتزع الكرباج من يد الأجنبى ، أمسك به الحاكم الوطنى ليلهب به ظهور الشعب . كأنه حكم علينا أن نضرب

بايدى اعدائنا وبايدينا . وان نتخلص من قفص كبير يضمنا جميعا ، لنوضع فى اقفاص صغيرة تضم كل واحد منا على انفراد !

ان معسكرات الاعتقال والسجون التى انشأناها فى العالم الثالث اكبر من المصانع التى انشأناها ! لا اجد الا بلادا تعد على أصابع اليد فى أفريقيا وآسيا تتمتع شعوبها بحرية حقيقية . وسوف يستمر مد الاستبداد الى أن تحدث كوارث فى بلاد كثيرة اختارت النظـــام الديكتاتورى ، وبعد ذلك يبدأ المد الديموقراطى من جديد !

ومصر لن يتغير حالها بثورة ، وانما سوف يتغير حالها بكارثة . ! وكثيرا ما نبهت الى هذه الحقيقة ، وكثيرا ما حذرت من ان الطريق الديكتاتورى يؤدى الى انتصارات وقتية ، والى هزائم دائمة ، وحتى الآن لم تصدق بوعى ! وقيل لى اننى افكر بعقلية قديمة ! وان الموضة الآن هى الديكتاتورية !

فى مساء الجمعة ٩ سبتمبر امضيت الليلة معك . أتحدث اليك . أناجيك . اعيش ذكرياتنا الجميلة معا . عشت فى تلك الذكريات الحلوة وقتا رائعا ، استعدت احاديثنا معا ساعة بساعة . سمعت صوتك . أحسست كأننا لا نزال نعيش فى أحلامنا الحلوة . أسعدتنى هذه الساعات . كان السجن صامتا . الاذاعة توقفت . النور اطفىء . ولكن حبك يتكلم ، ويضىء كل حياتى فى هذا الظلام الدامس .

احب أن تعلمى أننى جزء من هذا البلد . الذى أصابنى أصاب البلد كله . كل ما هناك اننى كنت فى الصف الأول فاصبت برصاصة . لن ينجو احد . كلنا سنصاب ، لأننا كلنا ضحايا . نحن ندفع ثمن غفلتنا . اننا لم نعرف كيف نحافظ على حرياتنا ، لو ان كل واحد منا غضب للظلم الذى أصاب جاره لما امتدت النار الى بيوتنا . اننى اتوقع أياما تعيسة لهذا البلد . اتوقع ظلما اكبر . ان الظالم لا يشبع من الظلم . انه يفتح شهية الظالم لظلم اكبر !

ومع ذلك فمازلت أؤمن بأن دولة الظلم ساعة ، ودولة الحق الى قيام الساعة ! هناك مثل صينى يقول :

« اجلس على حافة النهــر . وسيجىء التيار يحمل لك جثـــة عدوك ! » . وأنا الآن جالس على حافة النهر .. ولكن فى زنزانة !

المعاملة الخاصة!

ليمـــان طـــره

اكتوبر سنة ١٩٦٦

اخى العـــزيز

اننى لم أكتب لك منذ وقت طويل . كأنها أجيال من التاريخ . نحن الذين كان لقاؤنا اليومى أهم لذات حياتنا . ولكن ما باليد حيلة .. عزائى هذه الرسالة الروحية التى نتبادلها كل يوم وكل لحظه . وهى رسائل تقلقنى حينا ، وتطمئننى حينا . وكنت على ثقة من ان اخبارى تصل اليك . ولكنى شعرت بأنك تريد خطابا بخطى !

ان الحكم لم يكن مفاجأة لى . جاءنى من احد تلاميذى نص الحكم قبل صدوره بأيام . وعندما اخبرت زملائى المسجونين بالحكم نزل عليهم الخبر كالصاعقة . كانوا جميعا يتصورون ان الحكم هـــو البراءة ، وكانوا قد قرأوا القضية ، وكانوا يراهنوننى على البراءة !

ولهذا عندما صدر الحكم بعد ذلك بيومين لم اهتز . وسـمعته وانا ابتسم . وكنت اضحك بعد سماعى الحكم . وعلمت ان ولاة الامور اصدروا امرا للصحف بالا ينشروا صورى وانا ابتسم ! وقد تعبت الصحف فى أن تحصل لى على صورة مكشرا . وكانوا التقطوا فيلما ظهرت فيه وانا اضحك بعد الحكم ، فصدر امر بمنع عرض الفيلم فى التليفزيون ! والصورة التى نشرت فى الأهرام هى صورتى وانا أعلق على الحكم ، واقول اننى برىء ، واننى اعطيت وطنى فكرى وقلمى وحياتى ، ويسعدنى ان اقدم له حريتى ، واننى مؤمن بأن التاريخ سيحكم ببراءتى .

وكنت اضحك مع المصورين ، واقول لهم بعد الحكم « صوروا كويس » ! واشجعهم على ان يلتقطوا صورا جية !

واعدت مكبلا بالحديد الى سجن الاستئناف . وهناك خلعت ملابسى العادية والبسونى بدلة السجن الزرقاء .. كانت البدلة ضيقة جدا فبدوت فيها فى غصن البان . سحبوا السرير الذى كنت انام عليه وقالوا ان التعليمات أن انام على الأرض . ولكن طبيب السجن صرح لى بمرتبة لمدة اسبوع بسبب حالتى المرضية . كان السجن فى مأتم . المسجونون يتبادلون العزاء . كل واحد منهم يشعر بأن الحكم صدر عليه هو . وكنت أنا الذى اعزيهم ، واطيب خاطرهم ، وارفع روحهم المعنوية !!

وفى الصباح المبكر جاء الضابط نجاتى قائد كتيبة حرس طره ليصحبنى من سجن الاستئناف الى ليمان طره . ولم أكن تناولت افطارى بعد . فرفض أن ينتظر حتى أتناول افطارى ! وحمل الحرس حقائبى ووضعوها فى السيارة البوكسفورد التى ستستقلها ، واذا به يأمر بانزال حقائبى ، ويصدر امرا بأن أذهب كما انا ، بلا غيارات داخلية ولا سجائر ولا أدوية ولا حتى منديل ! ثم نزع ساعتى . ثم فتشنى تفتيشا ذاتيا فوجد مصحفا ، وفى داخله مذكرة طبيب سجن الاستئناف بتصريح لمدة اسبوع لمرضى . فرفض ان أصحب التصريح معى . ورفض أن أحمل المصحف . ثم وضع القيد الحديدى فى يدى . واذا بالقيد ضيق يكاد يكسر معصمى . وبحث عن قيود أخرى فلم يجد . أو على الأصح ادعى ضباط سجن الاستئناف ان ليس عندهم قيود . وعثر على قيود من التى توضع فى الاقدام ، ووضعها فى يدى . وكان كل من فى سجن الاستئناف من ضباط وجنود ومسجونين فى دهشة وذهول من هذه المعاملة التى ليس لها مثيل .. وهمس فى أذنى أحد الضباط : أعذره ! انه يريد أن يترقى على حسابك !

وتركته .. يترقى !!

ثم صحبنى فى البوكسفورد الى ليمان طره . وكانت هذه ثانى مرة أدخل فيها ليمان طره . كانت المرة الأولى قبل القبض على بشهور . عندما ذهبت لالقاء محاضرة بدعوة من وزير الداخلية ! يومها فرشوا لى الأرض بالرمل الاحمر . ووقف مدير مصلحة السجون ومدير الليمان وكبار الضباط فى استقبال امبراطورى ! واقاموا لى سرادقا فخما تكلف ٢٠٠ جنية وعرفت فيما بعد أنهم اخذوه من طعام المسجونين !

والمرة الثانية عندما دخلت مكبلا بالحديد ، ووضعونى فى زنزانة الايراد وهى مخصصة لمعاقبة المسجونين الذين يخالفون النظام . الزنزانة بلا نوافذ . كأنها جب . جلست على الأرض بلا سجائر ولا أدوية ولا طعام جاء طبيب السجن وكشف على وقال ان حالتى الصحية سيئة ويجب نقلى الى مستشفى السجن فورا . ولكنهم رفضوا هذا الأمر وارسلوا طبيبا ثانيا ليكشف على وقال الطبيب الثانى بعد الكشف على كشفا دقيقا أن حالتى تستوجب نقلى الى المستشفى فى الحال . ورفضوا قرار الطبيب الثانى وأوفدوا طبيبا ثالثا أصر بدوره على نقلى الى المستشفى ورفضوا رأيه هو الآخر ، وارسلوا لى لجنة طبية من ثلاثة أطباء قرروا نقلى فورا ! ولكن أمرهم هذا لم ينفذ أيضا .

فى الساعة الثالثة صباحا شعرت بألم لا يطاق فى عمودى الفقرى. لم أستطع ان اجلس ولا أن أرقد . وبقى هذا الألم فى ظهرى أربعة أسابيع . ووقفت طول الوقت فى الزنزانة على قدمى . وفى الساعة الرابعة تصادف أن كان يمر الاميرالاى عبد الله عمارة مدير الليمان. ونظر من ثقب الزنزانة فوجدنى واقفا على قدمى . فأمر بفتح الزنزانة . فسألنى لماذا لا اجلس او ارقد ؟ قلت اننى لا استطيع وان الاسفلت سبب لى آلاما شديدة فى العمود الفقرى ، فأمر بادخال كرسى الى الزنزانة أجلس عليه . وجلست على الكرسى حتى الصباح .

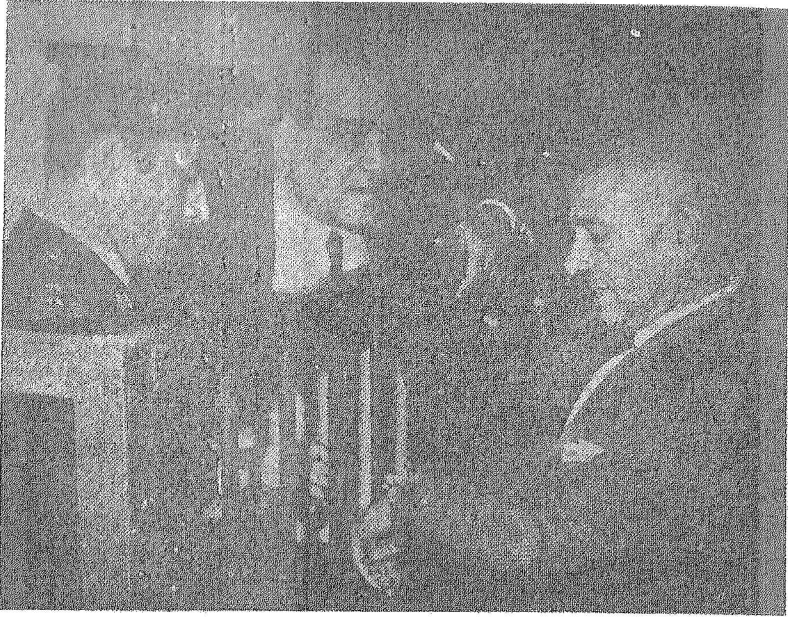
ان المسجونين السياسيين فى دهشة من اصرار الحكومة على نقلى الى الليمان فى اليوم التالى للحكم . عادة لا ينقلون المحكوم عليه الا بعد أربعة أسابيع أو خمسة ثم أنهم سمحوا لجميع المسجونين السياسيين باحضار ملابسهم واطعمتهم وأدويتهم .. ولكن أنا الوحيد الذى نلت امتياز هذه المعاملة السيئة !

الطعام الذى يقدم الى فى السجن لا تأكله الكلاب ! ولكن الله لم يتخل عنى . فى كل يوم تمتد يد مجهولة تحمل لى طعاما . ولهذا لم أمت من الجوع . أحد المسجونين خلع بدلته البيضاء واقرضها لى وبقى هو ببدلة زرقاء . مسجون ثان يصنع لى قهوة مصرية مدهشة . مسجون ثالث كان يحضر لى الصحف المنوعة . مسجون

رابع أرسل لى كمية من السجائر . وكثيرون غيرهم يعرضون انفسهم للعقاب ويخاطرون ويغامرون . كان أعجب ما هناك اننى لم اكن أعرف من اين جاءت هذه الأشياء . كأن الارض انشقت وخرج منها هؤلاء الذين يقدمون لى كل ما أحتاج اليه .

سبق ان طلبت منك معلبات لأطعمة السكر . وعدنى سعيد فريحة ان يرسل لى معلبات .

امس اكلت ربع فرخة من فاروق عبد القادر المحكوم عليه ظلما فى قضية الاستيراد . اليوم اكلت ربع فرخة أيضا من لبيب منولى . المحكوم عليه ظلما فى قضية الاستيراد أيضا ! ان الله يفرجها من حيث لا تنتظر طلبت من أسرتى أن تحضر لى ملابس فى الزيارة فى كيس كبير من التروكلين ، كما أوصانى زملائى المسجونون . أخذت الكيس وأعطيته لخياط السجن لعمل بذلة . علم مدير السجن بذلك ، فأمر بعد تسليم هذه البيجاما لأنها مصنوعة من الحرير ، والأوامر أن أرتدى الدمور ! ولكن كثيرين من المسجونين يرتدون التروكلين . نعم هؤلاء مسجونون عاديون قتلة أو سفاحون أو تجار مخدرات مسموح لهم بارتداء التروكلين .. أما أنت فمسجون سياسى لا ترتدى الا الدمور !



حماده الناحل : ان الدجوى يقول انه
سيعطى لكل محام عشر دقائق للدفاع !

سجن ليمان طره

عزيزتي

لا اعرف هل ستلحقك هذه الرسالة قبل الزيارة أم لا .. ولكنني أردت أن أسجل فيها بأسرع ما يمكن الأشياء التى أرجو احضارها فى الزيارة ، وهى ترموس للثلج ، ومقص للأظافر ، وكوز بلاستيك ، وكمترايه للنور ، وملاسة لقلى البيض ، وشوكة ، والقلم الحبر ! عجيب أن يكون آخر ما أطلبه هو القلم الحبر . مع أننى أحتاج الى هذا القلم قبل الطعام والملابس ! ذلك اننى أخشى الا تستطيعى تهريبه أثناء الزيارة . اننى اكتب منذ أن دخلت الليمان بقلم سلف ! أول مرة فى حياتى أعيش على السلف . انه ذل ما بعده ذل . ولكنى مضطر فى الشهور الأولى من دخول السجن أن أقترض من زملائى المسجونين كل شىء . ان القاعدة فى السجن انه عندما يأتى مسجون جديد أن يهب زملاؤه لنجدته ، هذا يقرضه صابونة ! وآخر يقرضه علبة سجائر وثالث يقرضه فوطة ورابع يقرضه بذلة . وذلك حتى يدبر نفسه مع مرور الأيام . وأنا مدين لعشرات المسجونين . انهم فقراء وكرماء . محرومون من أبسط ضرورات الحياة ومع ذلك يغمروننى بفيض من الحب والحنان . اننى فى دهشة من أن خطاباتى لا تصلكم ! بدأ الفأر يلعب فى عبى . ولكنى أؤمن باخلاص الذين يهربون لى الخطابات . لابد أنهم يحتاطون لأنفسهم ويتخذون تدابير أمن لكيلا ينكشف أمرهم . أرجو أن أحصل فى الزيارة على احصاء بعدد الخطابات التى وصلت لكم . أنا أعرف انه اذا لم تلحقك هذه الرسالة فسوف تحضرين الأشياء التى طلبتها الآن مع ذلك ! تعودنى قلبك أن يشعر بما أريد قبل أن ينطق به لسانى . لقد نسيت أن أشكرك على طبق الباذنجان المسقعة الذى أحضرته فى الزيارة الأخيرة . ما ألذ المسقعة بعد أسبوعين من الفول المدمس !

الغريب إننى لم اطلب المصقعة . فوجئت بها لأنك تقرئين افكارى باستمرار عجيب . ونسيت أن اشكرك على السجائر البلمونت التى كنت فى حاجة اليها فعلا . ان لاسلكى القلوب بين قلبك وقلبى يحيرنى . اننى لا اكاد افكر فى شىء أطلبه منك حتى اجده امامى . كأننى ادعك خاتم سليمان . اننى اشعر كل يوم بأن احبائى وأصدقائى وتلاميذى وقرائى بجانبى . فى كل يوم يزدادون قربا منى . وكلما تصورت أن الارهاب والظروف القاسية والبطش ستمزق هذه الروابط الحلوة ، افاجأ بأن اهتمامهم بى وعطفهم على يزداد ويتضاعف . لقد لاحظت قبل أن ادخل السجن أن الفراعنة الصغار كانوا يطاردون الصداقة والمروءة والشهامة والوفاء والحب باعتبارها من اعداء الثورة واعداء الاشتراكية واعداء النظام ! كانوا يرون خطرا عليهم فى كل علاقة حلوة أو زمالة جميلة او صداقة متينة . كانوا يتوهمون ان لا حياة لهم الا فى جو من الحقد والكراهية والغدر . واذا كانوا نجحوا فى اقتلاع كل الأشجار ، فانهم لم يصلوا الى الجذور . الذى اراه فى محنتى أنه ما يزال فى البلد صداقة ومروءة وشهامة ووفاء وحب .. كل ما حدث أن الناس يفعلون ذلك سرا ، لأنهم يعرفون انهم يرتكبون جريمة !

ان حرمانى من الحرية طوال هذه المدة لا يساوى حرمانى من حب الناس . اننى افضل ان افقد حريتى ولا افقد هذا الحب . واذا كان القدر سلبنى حريتى ، فانه أبقى حب الناس لى ، برغم كل حملات التشهير والكذب والافتراء ضدى . وهذا شىء احمد الله عليه واشكره وأقدره . ان خمسة عشر يوما كثيرا ما غيرت الناس . ولكن هذه الخمسة عشر شهرا القاسية المريرة لم تغيرهم . بل على العكس ربطتنا أكثر . وملأت قلوبنا بالحب والايمان أكثر وأكثر . وانا لم اشعر بكل هذا الحب وانا خارج السجن . وكان لابد من قارعة حتى يخرج من قلوب الناس ما اخفوه من فضائل ! انا اعذر الخائفين فى دنيا الرعب . اعذر الذين شتمونى لأننى أعرف أنهم اما أن يجرحونى أو أن يموتوا من الجوع . واننى افضل ان يسيلوا دمى بأقلامهم على ان يموتوا هم وأولادهم من الجوع . انا لا الوم الذى شتمنى . وانما الوم الذى اصدر الأمر لهم بأن يشتمونى ويلعنونى وهو يعلم بأننى برىء !

اخشى ان يرفتوا مدير الليمان . لقد سمح لى بالتفـرج على التليفزيون مرتين . من الساعة الثالثة بعد الظهر الى الخامسة شاهدت مباراة الترسانة والطيران . وفى المساء تفرجت على مباراة الزمالك والاسماعيلى . وبعـد ذلك على فصـل من مسرحيـة الريحانى . ولأول مرة منذ ١٥ شهرا سهرت خارج الزنزانة الى منتصف الليل . وقد كان هذا شيئا غريبا ومثيرا بالنسبة لى . ان ابواب الزنزانة كانت تغلق ٢٢ ساعة كل يوم ! ماذا حدث ؟ هل هى اوامر جديدة بتخفيض القيود ؟ من الذى اصدرها ؟ لا يمكن ان تكون اوامر « من فوق » ! انا أعرف أن الأوامر القاسية بتشديد المعاملة تجىء عادة من فوق ! قال لى احد الضباط أن المدير اخذ هذا التصرف على مسئوليته بعد ان قال اطباء السجن بأن صحتى فى انهيـار نتيجة اغلاق باب الزنزانة ٢٢ ساعة كل يوم ! آه لو عرف ولاة الأمور ان مدير الليمان شجاع ! المعروف أن الجبن هو سيد الأخلاق فى هذه الأيام ، والرجل الشجاع لا مكان له فى الطابور . ربنا يستر حتى لا يعلم ولاة الأمور بأننى تفرجت على التليفزيون مرتين فى يوم واحد ، واننى عوملت نفس معاملة القتلة واللصوص وتجـار المخـدرات !

لم يؤثر السجن لمدة خمسة عشر شهرا على ايمانى بالمستقبل . ان ايمانى صمد للأيام وسوف يهزم السنين . فات من الحكم سنة وربع .. باق ٢٣ سنة وثلاثة ارباع السنة ! بسيطة ! سوف أقاوم . سوف انتصر على الأزمات . لن أضيع فى الأحداث . لن يتطـرق اليأس الى قلبى . لن يحطمنى القلق . على العكس سوف احطم القلق واليأس . اننى اقاوم كل هذا بالايمان . لا اتصور أن الأيام المقبلة سوف تكون أسوأ من الأيام الماضية . اننى اشعر بأننى شيدت عمارة ايمانى طوبة طوبة . وقد أصبحت الآن قلعة صامدة تتحطم عليها السهام ، وتتكسر الضربات . اننى اليوم اعيش فى زنزانة ضيقة . ايمانى بالله يجعلنى أرى الزنزانة تكبر وتتسع حتى تصبح قصرا من قصور الف ليلة . ان الزنزانة تتحول الى قصر لأن الله يقيم معى فيها ! اننى أعيش فى قصور الأيام القادمة . أيام حرية . أيام ربيع دائم . لا رعد فيهولا عواصف . انا لا أعيش فى ضباب الوهم ، ولا اتوه فى ظلال التمنيات . ان ايمانى يضىء لى الطـريق بالنور . المؤمن فى داخلى يرى ضوء الفجر . يكاد يلمسه بأصابعه .

اننى أشبه بحفنة من الرمال ترقب الريح لتحملها الى فوق ، لتنطلق بها الى أبعاد جديدة من الحرية . اننى لا أشعر اننى أتخبط . اننى أسمع صوتا فى أعماقى يؤكد أن هذا الحال الذى يعيش فيه البلد لن يدوم . انه ضد المنطق . ضد الحسابات العلمية . قد يستمر شهورا أخرى . أو بضع سنوات . ولكن لن يستمر الى الابد والذين حكموا على بالأشغال الشاقة « المؤبدة » سانجون لا يعرفون أن الأبد لا يملكه الا الله . لا يعرفون أن الحكم المطلق أشبه ببيت من ورق اللعب . لا تكاد تهب عليه الريح حتى ينهار ! اى انسان يعرف الف باء السياسة سوف يصل الى نتيجة مؤكدة بأن هـذا الحال لا يمكن ان يستمر . مما يؤسف له ان المتعلمين لا يشتغلون الآن بالسياسة . انهم اما فى السجون . أو على الرف . أو ينتظرون قرارات بوضعهم فى السجون !

اننى مؤمن بأن هذا الشعب لا يمكن أن يدفن فى زنزانة . سيجىء اليوم الذى تحطم فيه السلاسل والقضبان وتفتح أبواب السجون والمعتقلات . هذا الايمان يسعدنى ، ويخفف عذاب الحرمان من الحرية ، ويجعل الصبر جبارا عملاقا ، يدوس فى طريقه اقـزام اليأس والقنوط . ان أحلامى للحرية لا حد لها . انها تكبر مع الضربات التى تنهال فوق رأسى ولا تتناقص ولا تنكمش . ان الغد مشرق . أخاذ متجدد . مريح وهنىء . مفروش بالورد الجميل . لا غيـوم ولا برق . كأنه يقظة حلوة بعد كابوس مخيف . ان احلام الحرية ترقص أمامى من بعيد . اننى أسمع اقتراب اقدامها . ان صوت دبيبها يتجاوب مع خفقات قلبى . ان مرارة الواقع لا تنسى حلاوة الغد . كل يوم يجىء يقربنى من الحرية ولا يبعدنى عن الاستبداد . لا أرى شعب بلدى أبدا فى سلاسل دائمة . اننى أتوقع أن يجىء يوم يزف فيه الى الحرية . زفاف دائم وفرحة لا تنتهى . ان عقلى هو الحصان الذى أركبه حوافره لا تسعفنى ، وايمانى يجعل له أجنحة، يطير بها الى الحرية ! ان الذى بينى وبين حرية شعبنا هو وثيقـة غير مكتوبة ، ولكنها أبقى على الأيام من كل ورق مكتوب . وثيقة حارة ، لا تبرد أبدا . لا يجف حبرها . لا تموت كلماتها . حروفها تنطق وتغنى وتصلى . وتملأ حياتى الباردة داخل الزنزانة ، دفئـا وثقة وتصميما وأملا .

ان كل شيء حولى منكم . يحمل لمسانكم . فيه رائحتكم . يحدثنى عنكم ويذكرنى بكم . حتى الثوب الذى أشرب فيه . السيجاره التى ادخنها . ملاءه السرير التى انام عليها . الفوطة التى أمسح بهـــا وجهى . حتى ورق التواليت ! انني القاكم فى كل جريده اقرؤها . فى كل كتاب أمسك به . فى كل طعام اذوقه . انفاسكم معى فى كل شيء . معى فى الزنزانه . فى الطابور . فى المستشفى . فى الحــلم واليقظه . هذا يجعل أيامى الخالية مملوءة ، ولحظاتى الحزينـــة القاسية والوحدة مليئة بالأمل .

ان الله معنـــا !

ليمــان طــره

٢٨ أكتوبر سنة ١٩٦٦

عــزيزتى

يظهر أن صديقى سعيد فريحة تصور أن عنــدى فى الزنزانة فريجيدير وبوتاجاز ! لانه أرسل معلبات أطعمة تحتاج الى التسخين والتبريد ! ان حياتنا هنا بدائية . ويجب أن ترسل لنا الأطعمــة الخاصة بسكان الصحراء التى لا تحتاج الى تبريد أو تسخين !

علمت انه ممكن أن يكتب لى اخى مباشرة على عنوانى فى السجن. لا يوجد تقييد على عدد الخطابات التى أتلقاها فى السجن . الخطابات المحددة بخطابين فى الشهر هى التى أرسلها من السجن . وهكذا أستطيع أن أعرف أخبار على مرة كل أسبوع ، بدلا من عذاب انتظار شهر كامل حتى أعرف أخباره يوم الزيارة .

على الرغم من اننى محروم من التمتع بامتيازات المسجون العادى الا اننى أحمد الله على أن حيــاتى تحسنت عن الفترة الأولى فى الليمان . تنقصنى أشياء كثيرة بطبيعة الحال . مثلا الحياة مؤلمة بدون ساعة . وبدأت أعلم نفسى كيف تكون الحياة بدون ساعة ! فاذا سمعت القرآن فى اذاعة السجن فى الصباح فمعنى ذلك ان الساعة السادسة وخمس دقائق ، واذا سمعت صوت سامية صادق فى برنامج صباح الخير فمعنى ذلك أنها السابعة وخمس دقائق ! وهكذا أعرف الساعة من برنامج الاذاعة المنشور فى الصحف . فاذا توقفت الاذاعة عرفت الساعة بالاستنتاج . إلا اذا وجدت أحــد الحراس ومعه ساعة ، وهذا أمر نادر جداً .

انهم يطفئون الانوار فى الساعة الثامنة مساء ، ثم أصبحوا يطفئونها فى الساعة التاسعة . اردت ان أعود نفسى على النـوم المبـكر والاستيقاظ المبكر . تعودت الآن ان اكتب واقرأ على نور الفجـر ، اقترضت شمعة وانتهت . ارجو أن ترسلى لى شمعة . وبذلك اوفر الكبريت الذى اشعله كلما أردت أن أعرف طريقى فى الظلام . الترموس الذى اهدته لى فاتن حمامه حل لى مشكلة الثلج . اصبحت أستطيع أن اتناول افطارى وغذائى فى الساعة التى اريدها . لا فى الساعة التى يجىء فيها الثلج . واصبحت مستعدا للطـوارىء فى حالة عدم وصول ثلج فى احد الأيام . وأنا كما تعرفين اعتبر الثلج احدى لذات الحياة . والثلج عندى يعتبر هو الفارق بين الحضارة والتأخر ! وكانت مشكلة القهوة فى وقت من الأوقات مشكلة عويصة . قبل السجن كنت أشرب ١٧ فنجان قهوة كل يوم . الآن اكتفى بفنجان واحد تبرع به أحد الزملاء المسجونين ! أصبح البيض المقلى معقولا ، بسبب طبق البيض الصاج . كان البيض يجىء دائما اشبه بالعجة أو الأومليت او اى شىء آخر الا البيض المقلى . هربنـا الزبد الى داخل السجن ، ونجوت من طعم البيض بالزيت !

بدأت اشعر بالبرد داخل الزنزانة . النوافذ بلا زجاج ولا شيش! استطعت أن أركب شباكا من الورق المقوى فى احدى نوافذ زنزانتى . وسوف أحاول أن أركب شباكا آخر فى الناحية الأخرى فوق باب الزنزانة . لا يزال البرد يدخل من القضبان الحديدية . الوحـدة والسجن يزيدان برودة الزنزانة . المفروض أن يدخل النسيم العليل من الشباك المفتوح ، ولكن حرارة النسيم بدأت تنخفض واصبح كالرصاص ! حلت مشكلة الوسادة القاسية التى صرفوها لى . حولتها الى ثلاث وسادات . وسادة انام عليها . ووسادتان أضعهما بجوار جدار الزنزانة القاسى لأخفف من برودة الجدار !

كانت من مشاكلى الكبرى مشكلة الغسيل والمكوى . امى نسيت أن تعلمنى كيف اغسل الملابس واكويها . كان يجب أن اتعلم هاتين الصناعتين ما دمت قد قررت الاشتغال بالصحافة ! تعرفت بمسجون محكوم عليه بالأشغال الشاقة فى حادث قتل من اجل بقرة . ولكن لم يكن الغسيل يرضينى . حاولت أن اغسل ملابسى واكويهـا ، ففشلت فشلا ذريعا على الرغم من أن الدكتور محمد صلاح الدين

وزير الخارجية السابق الذى حكم عليه الدجوى بالأشغال الشاقة المؤبدة جعلوه يعمل مكوجيا داخل الليمان ! وجدت أخيرا مسجونا محكوما عليه بالقتل من أجل الثار يتولى غسل ملابسى ، ووجدت مسجونا محكوما عليه بالمؤبد لأنه قتل حمانه يتولى مهمة المكوجى ! ادفع فى الغسيل علبة سجائر بلمونت ، وفى المكوى علبة سجائر بلومنت ، مسجون فلسطينى تبرع بأن يصنع لى البيض المقلى ويسخن لى الطعام . ومسجون أسمه محمد يحضر فى الصباح وينظف أرض الزنزانة ويغسلها ، ويغير المساء فى الجردل ، ويفرغ جردل البول ، ويغسل الأطباق ويكسر لوح الثلج ليدخل فى الترموس . وهكذا تحولت الزنزانة الى قصر ضيق فيه خدم وحشم وحاشية ! والذين يقومون بهذه المهام كلها هم من أصدقائى المسجونين الذين يعطفون على بسبب أمراضى وسنى ! آه لو علمت الحكومة بطيبة الناس معى ، لعلقوهم فى المشانق . ولكنى أحرص على الا يعرف كل مسجون ما يعمله الآخر ، لضمان السرية والكتمان ! اننى افضل أن أرتب فراشى وأعده بنفسى . وقد أصبح النوم فوق ملاءة ، والغطاء بملاءه وبطانية ، ووضع الرأس على كيس وسادة رفاهية رائعة كنت محروما منها أسابيع طويلة ! واستعمل ورق الجرائد على المائدة بدل المفرش ، واستعمل علب الكرتون بدل الدواليب والادراج ، وكلما اتطلع الى السجائر الكثيرة التى هربها أصدقائى لى أتذكر أيامى الأولى فى الليمان عندما كنت فى فزع من تصور الحياة بدون سجائر ، وكنت أحيانا اقطع السيجارة الواحدة الى نصفين لتكفينى .. وحدث فى أيام ان أنتهت السجائر ورحت أبحث فى أرض الزنزانة عن أعقاب سجائر كنت ألقيها على الأرض ودستها بقدمى ، فأعود والتقطها من الأرض ، وأحاول اشعالها من جديد فقد أجد فيها نفسا أو نفسين ! شاء الله أن تنتهى هذه المحنة بفضلك وفضل أصدقائى كنت أشعر بخجل شديد عندما اقترض مقص الأظافر من زميل . أن أظافرى تنسخ بسرعة بسبب كثرة الصحف التى اتصفحها ورداءة الحبر ، ولكن الحمد لله نجحنا فى تهريب مقص أظافر ، وهو يعتبر فى الليمان من الأسلحة الفتاكة الممنوعة ، وأصبحت أستطيع أن أقص أظافرى . كما أشاء . ان بعض الناس يتصورون أن السجن هو فقط الحرمان من الحرية . انه الحرمان من أبسط ضرورات الحياة . انه التحكم فى مأكلك وفى مشربك وفى قراءاتك وفى خطواتك . الحرية الوحيدة المباحة هى حرية الأحلام !

ان أخبار السجن الحربى تقول انهم يتحكمون الآن فى عبادة المسجونين وفى صلواتهم ، انهم يمنعونهم من الاحتفاظ بالقرآن ! ولهذا أجد متعة فى مقاومة هذه التعليمات الصارمة . أشعر عندما أهرب خطابا اننى اتحدى الظالم . اشعر عندما اشرب فنجانا من القهوة اننى اتحدى الظالم . اشعر عندما اتحدث مع زميل لى اننى اتحدى الظالم واذا كانوا يقولون أن نوم الظالم عبادة ، فان تحدى الظالم فى رأيى هو عبادة ايضا . واذا كان الأمر كذلك فاننى اعبد الله ليل نهار ، لأننى أحاول أن أخالف الأوامر والتعليمات الظالمة بالليل والنهار ! اننى لم أرتكب اثما وحكموا على بالسجن المؤبد ، وهأنذا الآن أرتكب يوميا جرائم مخالفة تعليمات وزير الداخلية ، كأننى اسحب من رصيد براءتى من بنوك الظالمين !

وكل ما آسف له الآن أن النور ينطفىء فى زنزانتى الساعة التاسعة مساء .. فلا اقرأ اكثر مما اقرأ ، ولا أكتب أكثر مما اكتب .. بدأت اكتب قصة مطولة ، وكتبت منها أربع صفحات . القصة عن حياتنا ونحن أطفال . وهذا يعود بى الى أيام طفولتى ، وأحاول أن استجمع الأحداث التى وقعت أيامها . لست أعرف ما الذى يجعلنى اذهب الى أيام طفولتى ؟ هل أنا أهرب من الحاضر . هل أريد أن اكتب عن الأيام التى كان يقتلنا فيها الانجليز ، ولا أريد أن اتحدث عن الأيام التى أصبح فيها المصريون يقتلون المصريين . هل يعز على أن انسب الى مصريين الجرائم التى رأيتها بعينى ترتكب ، والفظائع التى شاهدتها تحدث ، ورأيت أن أنسبها للاجنبى حتى لا الوث بها تاريخ ابناء وطنى ؟ أن تاريخ مصر يجب أن يكتب من الآخر ، ولكن قلبى لا يطاوعنى ، ولهذا أحاول ان أكتبه من الأول !

كنت اتصور اننى أستطيع أن أكتب هنا عشرات الكتب . حتى الآن لم انظم وقتى .

كنت احتج بعدم وجود مائدة اكتب عليها . الآن صرح لى الأطباء بمائدة . ثم أعتذر لنفسى بأن قلمى الحبر ليس معى . والآن لا حجة لى بعد ان هربت قلمى الحبر . لم يبق الا ان اطلب بلكنوت كبيرا ؟ حتى اخدع نفسى بأن ليس لدى الورق الكافى للكتابة . ان فى رأسى عشرات الموضوعات تصلح قصصا . فكرت فى أول الأمر أن اكتب قصصا قصيرة ، ولكنى رأيت أن وجودى فى السجن فرصة ذهبية

لكتابة قصص طويلة . لأن القصص الطويلة تعيش أكثر مما تعيش القصص القصيرة . ويمكن أن تتحول الى افلام فى يوم من الأيام . ولقد فكرت أن أكتب تاريخ بلادى فى شكل قصص غرامية ، ليقرأها الجيل الجديد الذى يجهل تاريخ بلاده الحقيقى ، والذى صدرت الأوامر بتشويه تاريخه وتشويه رجاله وأبطاله حتى يخلو تاريخ مصر من الرجال والأبطال . وستكون هذه القصص نوعا من المقاومة . منشورات ضد الظالمين . ردا على افتراءات مؤرخى السـلطة على تاريخ مصر الحقيقى .

وفكرت ايضا فى ان اكتب قصة حياتى بصراحة كاملة . ولكن هذه القصة تحتاج الى مراجع ، ولا أستطيع أن أكتبها معتمدا على الذاكرة وحدها . ان هذا يقتضى أن اتردد باستمرار على دار الكتب ، أوعلى مكتبة أخبار اليوم وعلى أرشيف أخبار اليوم وعلى مذكرات سـعد زغلول ، وارجع الى الصحف والمجـلات القـديمة التى كتبت فيها .

انها احلام كبيرة والعمر قصير .. ومع ذلك فسوف أكتب واكتب واكتب ..

أريد أن أموت والقلم فى يدى !

تفرجت على تشييع جنازتي

سجن ليمان طره
٦ نوفمبر سنة ١٩٦٦

صديقتي العزيزة

قبل أن أسجن بسنوات ، كنت أحيانا أجلس وحدي أفكر في اللامعقول ! أفكر مثلا في أن أسافر الى بلد بعيد ، ثم أرتب حادثا أزعم أنه وقع لي ، وأنشر في الصحف ووكالات الأنباء أنني قتلت في هذا الحادث ، وأن جثتي اختفت في قاع المحيط .. ولم يبق سوى ملابسي وجواز سفري !

ثم أجلس في جزيرة مجهولة أتفرج على ما سوف يحدث بعد وفاتي . الذين سيبكون والذين يهللون . ماذا ستقول الصحف بعد وفاتي . ماذا سيفعل أصدقائي وقرائي .

ما هي القصص المختلقة والأقوال المخترعة التي سوف ينسبونها الي بعد وفاتي ؟ ويظهر أن أبواب السماء كانت مفتوحة وأنا يخطر برأسي هذا الخيال المجنون . وتحققت الفكرة مع فارق واحد ، وهو أنني دفنت في قبر فعلا وأنا ما زلت على قيد الحياة ! وأسمع أصوات الذين يقفون حول القبر وأتتبع مناقشاتهم . ولا يستطيع صوتي أن يخرج من القبر ليشترك في المناقشة . ولم أكن أتخيل أن أغلبية الناس العظمى هي من الناس الطيبين . أنني أسمع من داخل قبري زفراتهم وتنهداتهم . ولا أستطيع أن أطل برأسي من تحت التراب لأشكرهم . ولا يوجد أحد من أهالي الفقيد يتقبل العزاء بالنيابة عن أسرة المرحوم ! ولست أنكر أنني أستمتع أحيانا بهذه التجربة الفريدة . ولكني أشعر بعذاب الذين تركتهم خارج القبر ، يتعذبون أكثر مني أنا الذي في داخل القبر .

اشعر احيانا بأننى مثل اهل الكهف الذين بقوا فى داخله ٣٠٠ سنة مع فارق واحد أن اهل الكهف كانوا ثلاثة أو اكثر ، وأنا اعيش وحدى فى سجن انفرادى . وليس معى كلب كأهل الكهف !! واكذب عليك اذا قلت اننى اشعر دائما بأننى وحدى داخل الكهف . اننى أحس فى كثير من الأوقات أن الذين يحبوننى معى داخل هذا الكهف .

وهكذا لا أشعر بالوحدة ابدا . احساسى ببراءتى ، وايمانى بالخدمات التى قدمتها لبلدى يجعلنى لا أحس بتعاسة . لا أظن أن المسيح كان تعسا وهو مصلوب على الصليب . بل لعله كان سعيدا بأن مسئولية خلاص هذا العالم سوف يحملها عنه آخرون !

اننى اشعر بأننى خدمت بلادى وثورة بلادى وشعب بلادى بأكثر من جهدى ، وأكثر من عمرى ، وبكل ما فى من دم وفكر وعرق وأعصاب . وعندما أمسك بيدى الصحف والمجلات التى أصدرتها أو اشتركت فى اصدارها ، أشعر بعزاء ان القلاع التى بنيتها لا تزال قائمة فى مصر وفى خارج مصر .. وعندما أرى أسماء تلامذى تحتل الصفحات الأولى من صحف بلادى والبلاد العربية أحس بهنائى وفخرى . وعندما أسمع أم كلثوم تغنى « مصر التى أحبها » أتذكر ان كلمات هذه الأغنية التى يرددها الملايين كتبتها نثرا لأم كلثوم وحولها أحمد رامى شعرا . وأن قصيدة سلوا قلبى أو رباعيات الخيام أو السودان أنا الذى اخترت لأم كلثوم أبياتها ، وأن قصيدة الهمزية اشتركت فى اختيار أبياتها ، وأنا الذى غيرت موسيقاها ، ووضعت مقطع دقات الدفوف فى بداية الأغنية وكان رياض السنباطى قد وضعها فى منتصفها . وأتذكر أن فكرة أغنية السد العالى التى لحنها كمال الطويل وعبد الحليم حافظ بدأت فى بيتى ، من أسطوانة أجنبية كانت عندى .

وهكذا ترين اننى كلما قرأت جريدة ، أو سمعت الراديو ، وجدت أن آثارى لا تزال على قيد الحياة لم تدفن معى . وهذا الشعور يسعدنى كثيرا .. الذين يموتون هم الذين تموت آثارهم . وهكذا ترين ان الذين وضعونى فى القبر عجزوا عن ان يسدوا منافذ النور . اننى أرى نفسى فى مرايا الظلال .. ضباب الزمن لم يغطها ، ولم يخف صورتى تحت التراب .. تراب الزمن !

كانت حياتى مرجيحة . تعلو وتهبط . ترتفع وتنزل . ولم يكن يهمنى الارتفاع او الهبوط ، كل الذى يهمنى ان الارجوحة لا تزال تتحرك . وليس عندى الآن وقت لاتعذب واتالم واتوجع واحترق . انني اخصص وقتى لأقرأ واكتب . لاتذكر واحلم . وبين ذكرياتى واحلامى امضى أغلب ايامى .

يقول مثل صينى « انك لا تستطيع أن تمنع طيور الهم والغم من ان تحلق فوق رأسك ، ولكن تستطيع على الاقل أن تمنعها من أن تعشش داخل دماغك » ! ولا استطيع أن انكر ان الهم والغم لم يحاولا أن يعششا فى راسى او يستقرا فى دماغى ..

ولكن روحى لم تستسلم . ان راسى ملىء بالذكريات الحلوة والأحلام التى هى احلى من الذكريات . وهى تتحرك بسرعة شريط سينمائى فى فيلم سريع ، ولهذا فان حركة راسى المستمرة تمنع طيور الغم واليأس ، وخفافيش الهم والظلام من أن تعشش فيه .

انني احيانا اسخر من المظالم . انني مثلا تفرجت على تشييع جنازتى . فقد ارادت الحكومة أن تجعل من الحكم على جنازة رسمية . اشتركت فيها الصحافة والاذاعة والتليفزيون . وكان المفروض أن ينشر نعيى فى صفحة الوفيات ، ولكن الحكومة نبهت على الصحف أن تنشر النبأ بالعناوين العريضة على ثمانية اعمدة فى الصفحة الأولى . وكان المفروض أن يكون المأتم ليلة واحدة ، ولكن المأتم استمر اربعين يوما . فى كل يوم تكتب الصحف عنى وتهاجمنى وتلعننى وتشتمنى ! وكذلك تعليقات محطة الاذاعة والتليفزيون . كل ذلك ليتأكد الناس اننى مت ، ودفنت ، ولن أخرج من القبر الى الأبد !

ولكن الذين رسموا خطة الجنازة والدفن والمأتم ، نسوا ان الله قادر على أن يحيى الموتى . وقادر على أن يجىء فى اى وقت بيوم قيامة جديد !

وانا اؤمن بأنه لابد ان تقوم القيامة فى مصر ، واذا كان ظهور المسيح الدجال من عمليات الساعة ، فان الدجل الذى الاحظه

فى سياستنا وفى تصرفاتنا ، وفى عمليات الارهاب المستمرة ، وفى الاعتقالات ، وفى التلفيقات وفى حكم الفرد كل هذا من علامات الساعة التى تؤكد انه لابد ان يجيء يوم يخرج فيه الموتى من القبور التى حكم عليهم الدجوى ان يبقوا فيها الى الابد !

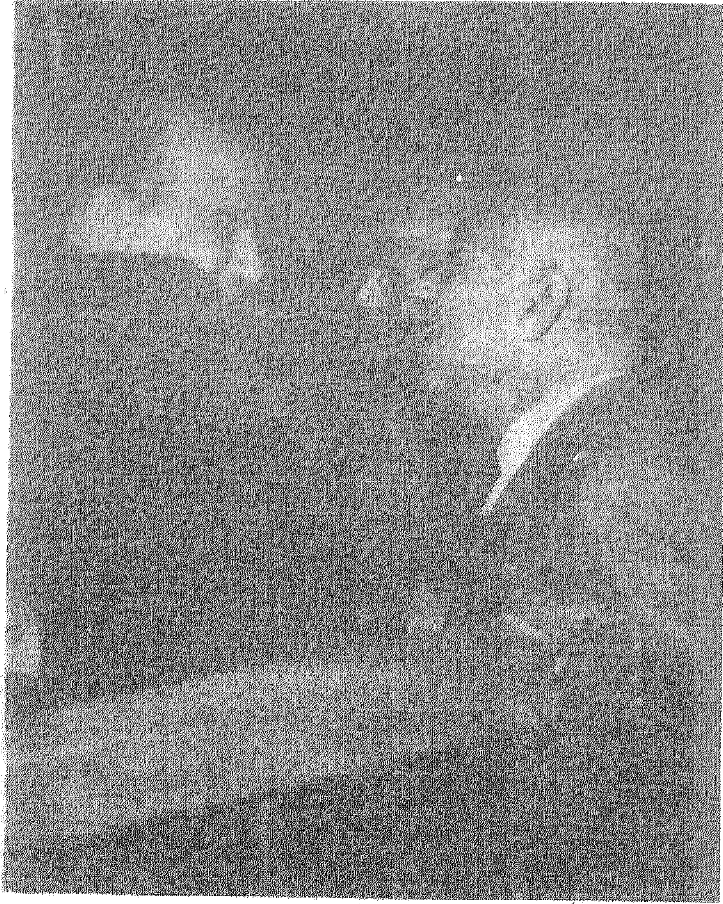
من الطرائف التى حدثت لى انهم يرسمون لوحات على جـــدران القبر الذى فيه زنازين المسجونين السياسيين . وطلب منى مأمور السجن ان افكر فى موضوعات لوحات صور يرسمها المســـجونون على الجدران لتزينها !

قلت لهم : اننى لا اتصور ان المسجون يزين السلاســـل التى تقيدونه بهـــا !

واعتذرت عن تقديم افكار لتزيين القبر !

علقت على جدار زنزانتى مرآة صغيرة بحجم الكف . وهى مرآة حقيرة جدا ، ومع ذلك استطعت ان ارى فيها وجهى لاول مرة منذ شهور طويلة . لم اكن استطيع ان ارى وجهى الا فى نافذة غرفة الضابط . فهو الوحيد فى العنبر الذى يوجد زجاج فى نافذته .

عندما رايت وجهى فى المرآة اطمأننت .. اننى لم اتغير . ان الشعر الأبيض زاد فى راسى . لا ازال احتفظ بابتسامتى وحيويتى رغم الاهوال التى تعرضت لها . لا اظن ان المرآة تخدعنى . انا اشعر بأن قلبى لا يزال شابا . روحى مليئة بالحيوية . الأمل يملأ نفسى .. كل هذا من علامات الشباب .



سنقول للدجوى ان السفير المصرى فى أمريكا اختارنى للدفاع عن كرامه الجيش المصرى فى ٢٤٠ محطة اذاعة وتليفزيون أمريكى ، عندما ظهرت صور الدجوى فى التليفزيون ـ يستسلم وهو قائد غزة للجيش الاسرائيلى سنة ١٩٥٦ ويشكر الجيش الاسرائيلى على انسانيته !

الكرباج أساس الملك!

ليمـــان طـــره

نوفمبر ســـنة ١٩٦٦

صـــديقى العـــزيز ...

الساعة الآن قبل السادسة صباحا . لأول مرة اسمع صوت العصافير فى النافذة ، وكأنها تقول ى صباح الخير . لم أسمع صوت العصافير تغنى سوى صباح اليوم . لست أعرف هل هى تغنى أم تبكى ؟ تغنى لنا أم تبكى علينا ؟ قلبى يحدثنى بأنها تغنى . انها تحمل لى من خارج السجن كلاما وأحلاما وأمانىودعوات . ربما كانت تغنى كل صباح ولم التفت لغنائها سوى اليوم . اننى كنت فى سجن المخابرات أسمع فى الصباح صوت أم قويق . لست أعرف هل هى أم قويق حقيقة ، أم انهم يطلقون أصوات البوم كجزء من وسائل التعذيب . ما أعظم الفرق بين الغربان والعصافير . أو لعل هذا هو الفرق بين السجن الأول والسجن الأخير . انا أسمع صوت عربات النقل القادمة من حلوان ، أو المتجهة الى حلوان . صوت ديك يصيح . دبيب اقدام تمشى . بدأت القاهرة تفتح عينيها وتستيقظ . ولكن السجن لا يزال نائمـــا . اننى انتهز فرصة نوم السجن لأكتب اليك فى هذا الهدوء : ان لون الفجر يخترق الستارة المعلقة على النافذة . ضوء النهار لم يدخل بعد . ولهذا انا اكتب على ضوء شمعة . بعد لحظات سوف تمشى الأحذية الثقيلة فوق أرض السجن . معنى ذلك أن حراس الصباح وصلوا . فى كل لحظة نتوقع صوت المفتاح الكبير وهو يدخل فى ثقب الباب ، ويدخـــل وراءه حارس ، وأحيانا ثلاثة حراس ، وأحيانا ثلاثة حراس وصول ، وأحيانا ثلاثة حراس وصول وضابط . يقلبون الزنزانة رأسا على عقب بحثـــا عن ممنوعات . كل ما رتبته فى الليل يتلخبط فى النهار . كل شىء يقلبونه ويعبثون به . فى بعض الأحيان يجىء حراس مؤدبون يحرصون بقدر جهدهم على أن يعيدوا الملابس كما كانت بعد تفتيشها

آخرون يشبهون دخول الثور فى متحف الخزف . غيرهم أشبه بجيش الجراد عندما يهاجم حقلا من المزروعات . الممنوعات هى الشاى . ومنذ أن علمت أنه ممنوع اضربت عن شرب الشاى . والسكر وانا ليس عندى سكر لأننى مريض بالسكر . والحشيش وانا احمد الله على اننى لم أدخنه ابدا . ولكن اخطر الممنوعات هو الورق والقلم . وانا اخفيهما عند مسجون يبعد عنى ١٣ زنزانة . مسجون غير سياسى يجهل القراءة والكتابة ، ولهذا لا يهتم أحد بالبحث عنده عن ورق وقلم !

من الممنوعات أيضا الصور الجميلة فى الصحف والمجلات . فاذا رأى الضابط صورة لفتاة جميلة ترتدى المايوه فى صفحة كمال الملاخ بالأهرام قطع الصورة !

بدأ المسجونون يتجرأون ويدخلون زنزانتى . فى الزنزانة مقعد واحد . احيانا أجلس على السرير . ويجلس اثنان على طرف السرير . على المقعد يجلس مسجونان ، ثم يجلس البعض على السجادة المفروشة على الأرض . وهكذا تتحول الزنزانة التى عرضها متران وطولها ثلاثة أمتار الى « بيت الأمة » !

السجن فى بعض الأحيان يحبس الأفكار . فتصبح الأفكار متكررة كأيام السجن . تسمع الحكاية الواحدة عشرات المرات . المسجون ينسى انه قال لك حكايته فيعيد تلاوتها من جديد . أنا أحرص على أن اتكلم مع كل زميل من زملائى . أقسم وقتى عليهم جميعا . أصبحت احفظ كل قضية عن ظهر قلب . ما أكثر المظلومين هنا . ان أشنع ما يصيب أمة أن يضيع العدل فيها . كان العدل أساس الملك فأصبح الكرباج هو أساس الملك . كان الحاكم راعيا ثم أصبح جزارا . كان الأشراف يضعون المجرمين فى السجون ، وأصبح الآن المجرمون هم الذين يضعون الاشراف فى السجون ! كانوا يضربون المثل بعدالة القضاء المصرى . والآن يضربون المثل بظلم محكمة الدجوى ! كان القانون سيدا والحاكم خادما ، فأصبح الحاكم سيدا والقانون خادما ! القصص التى أسمعها هنا عن انتهاك العدالة والعبث بالقانون تذكرنى بقصص محاكم التفتيش .

اعتاد زوار المسجونين السياسيين ان يحملوا لهم اخبارا مع الاطعمة فى الزيارة . اغلب الأخبار تقسم بالطلاق ان الفرج تربب . الاهالي يحاولون ان يكذبوا على اقاربهم المسجونين ليخففوا عنهم آلام السجن . من سوء حظى أننى بحكم مهنتى كصحفى أستطيع أن افرق بين الخبر الصحيح وبين الاشاعة الكاذبة . ثم ان اتصالاتى مع تلاميذى خارج السجن تجعلنى أعرف الأخبار الصحيحة أولا بأول . ان معلوماتى أن الحال ستسوء ، ولن تتحسن . الاتجاه الى بطش اكثر . لا توجد نية للافراج ولكن للتضييق . الحكام استعذبوا طعم الطغيان ، لأنه يسكرهم . ولكنى لا اجرؤ ان اقول لزملائى المسجونين السياسيين الحقيقة المرة . اننى أتركهم يعيشون فى قصور أوهامهم . أشفق عليهم أن أخرجهم من القصور الباسمة لأعيدهم الى زنزاناتهم الكئيبة !

كثيرون من المسجونين الذين فى داخل السجن أسعد حالا من اسرهم خارج السجن . ان متاعب الأسر المالية هى سبب تسعة اعشار شقاء المسجونين ، فعندما ينقطع دخل عائل الأسرة يحدث لها ما يحدثه سقوط قنبلة ذرية . فى الزيارة تسمع أحاديث بين زوج وزوجته عن السوار التى رهنته . أو أنها حاولت أن تقترض خمسة جنيهات فلم تجد من يقرضها . ثم تجىء فى المرة القادمة وتقول ان ربنا فرجها . ويسألها الزوج كيف فرجها . فتقول انه فرجها والسلام . وتحس من صوت الزوجة الذى اختلطت فيه الكلمات بالدموع ، انها بدأت ببيع السوار ، وانتهت ببيع مالا يباع !

وتسمع فى الزيارة اسر المسجونين السياسيين وهى تتحدث عن اثاث البيت الذى باعته . فى الزيارة الأولى باعت الدولاب ، وفى الثانية باعت الصالون وفى الثالثة باعت السرير ! ثم تسمع عن زوجة أحد المسجونين السياسيين التى كانت تعبد زوجها ترسل له تستأذنه فى الطلاق لأن أولاده سيموتون من الجوع ! ان الدجوى حكم على كثير من الناس بالسجن . ولكنه حكم على أسر كثيرة بالاعدام ! وقد سمعت مسجونا سياسيا يقول : يا بخت سيد قطب الذى حكم عليه الدجوى بالاعدام !

ان مآسى اسر المسجونين السياسيين تصلح كل واحدة لتكون مأساة تمثل على المسرح .. وعندما يراها الناس لن يصدقوا ان فى مصر من يموت من الجوع . وان أم أحد المسجونين السياسيين ماتت لأنها لم تجد أجر الطبيب . وان زوجة مسجون سياسي آخر ماتت وهى تلد لأن الأسرة لم تجد فى البيت ريالا تدفعه للقابلة !

ومن العجيب ان الذين اصدروا هذه الأحكام القاسية لم يفكروا فى البيوت التى خربوها ، ولا الأطفال الذين شردوهم ، ولا الأسر التى دمروها !..

واذكر ان احد الكبراء قال لى ان عيب أسرة المسجون السياسى فلان الفلانى أنها تحقد علينا !

وقعت فى يدى صحيفة امريكية بتاريخ ١٤ يونيو سنة ١٩٦٦ جاءت لأحد الزملاء وقد لفوا فيها حذاء ! قرأت فيها حكما هاما للمحكمة العليا فى امريكا ، وهو انه ليس من حق المحقق ارغام شخص على ان يشهد ضد نفسه ، وان هذا الحق الدستورى يبدأ منذ لحظة القبض على المتهم . وانه يجب على المحقق ان يبين للمتهم بوضوح ، وقبل التحقيق معه ، أن من حقه أن يسكت ، ويرفض الكلام . وأن يوضح له أن أى شىء سيقوله الآن قد يستعمل ضده فى المحكمة .. وأن ينبه رجل الشرطة المتهم عند القبض عليه أن من حقه أن يكون معه محام يحضر التحقيق ، فاذا لم تمكنه حالته المالية من توكيل محام ، فان على الدولة أن تدفع أجر المحامى . وانه اذا لم يقدم المتهم اعترافه من تلقاء نفسه ، وبعد أن يعلم بحقه الدستورى فى الامتناع عن الاعتراف ، فان الاعتراف يصبح باطلا .

وعلى هذا الأساس حكمت المحكمة الأمريكية العليا بالغاء حكم الاعدام على قاتل اعترف بخط يده ، لأنه بقى خمسة أيام بدون محام .

وحكمت ايضا محكمة اخرى بالغاء حكم بالأشغال الشاقة ٥٥

قاتل معترف بخط يده ، لأنه مكث ١٧ ساعة مقبوضا عليه ، دون أن يستطيع الاتصال بمحام أو بأحد من أقاربه !

وتذكرت كيف أنني مكثت في سجن المخابرات الأيام الباقية من يوليو ، وكل أغسطس ، وسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر ، بغير أن يسمحوا لي بالاتصال بمحام ، أو أن يعلم أحد من أقربائي أين أنا !

لو طبقت هــذه القواعد الدستوريةفي بلادنا لمــا بقي مسجون واحد في السجون المصرية !

من الذى قتل
رئيس محكمة أمن الدولة

ليمــان طــره
نوفمبر سنة ١٩٦٦

عــزيزتى ..

سيجىء يوم تضاء فيه الأنوار . وتكشف الأسرار ، وتظهــر الحقيقة ، ويختفى الزيف والبهتان : سيعرف الناس جرائم بذلت جهود جبارة لاخفاء معالمها . ولكني مؤمن بأنه سيجىء يوم يزاح فيه الستار عن خفايا أسدل عليهــا ستار الظلام . ولو عرف الظالمون أنه سيجىء يوم ينكشف فيه ظلمهم ، لترددوا الف مرة قبل أن يرتكبوا ما ارتكبوه !

فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٦١ عرفت القاهرة أن كامل لطف الله رئيس محكمة أمن الدولة انتحر ، بأن صعد الى سطح عمارة فى مصر الجديدة والقى بنفسه منها ومات على الأثر !

ودهش الناس أن ينتحر رئيس محكمة أمن الدولة ! ودهش أكثر الذين يعرفون كامل لطف الله،ويعرفون أنه رجل قوى الأعصاب. ثم دهشوا أكثر وأكثر عندما علموا أنه اختار ليوم انتحاره يوم نظر قضية مشهورة اسمها قضية المليونير فهوم المتهم برشوة الدكتور السمنى وكيل وزارة الزراعة وعدد من كبار الموظفين ، وهى قضية ثارت حولها أقوال واشاعات . وكان كامل لطف الله سيرأس هذه المحاكمة ، وكان قبل ذلك يقول لأصدقائه أنها قضية هامة جداً ، وأنها من أكبر القضايا التى نظرها فى حياته ! وحرص على أن يدعو ابنته الوحيدة سميحة وزوجها الدكتور نبيل وديع من أسيوط خصيصا ليحضرا هذه المحاكمة الهامة ، فتحضر الابنــة الوحيدة من أسيوط وتفاجأ بأن أباها انتحر !

وبدات الصحف تتساءل هل انتحر رئيس محكمة أمن الدولة أم قتلوه ! وفجأة تدخلت الرقابة واكدت للصحف ان رئيس المحكمة انتحر ، وانه ممنوع الاشارة الى مقتله ! وبعد أن كانت العناوين « مصرع رئيس محكمة أمن الدولة » اصبح انتحار رئيس محكمة أمن الدولة !

وقيل للصحف أنه ثبت من التحقيق أن كامل لطف الله كان على خلاف مع زوجته .. وان هذا هو سبب انتحاره . .وظهر أن كامل لطف الله منفصل فعلا عن زوجته ، ولكن الانفصال حدث في عام ١٩٥٦ فهل معقول أن ينتحر انسان فى عام ١٩٦١ بسبب خلاف وقع فى عام ١٩٥٦ اى منذ ٥ سنوات ! ؟

قد يقال أن رئيس محكمة أمن الدولة كان مفتونا بزوجته ملكة الجمال ، وانه رآها فجأة فتجدد الحب وانتحر . ولكن ظهر أن الزوجة لم تكن ملكة جمال ، بل كانت سيدة مفرطة فى السمنة ، وكان ضغطها ٣٢٠ ، وكانت مريضة بالسكر وتصلب الشرايين وهبوط فى القلب وترهل فى الأعصاب ...

وكان كامل لطف الله فى تلك الأيام سعيدا لأنه اصبح جدا للمرة الأولى فى حياته .

واهتم شقيقه القاضى منير لطف الله — المستشار فيما بعد — بالحادث ، وبدأ يتولى تحقيقه ، وظهر أن كامل لطف الله يحتفظ دائما بمسدس ، فلماذا لم يطلق على رأسه المسدس ، بدلا من أن يلقى بنفسه من سطح عمارة الى أرض الشارع . ولاحظ القاضى أن طباخ رئيس محكمة أمن الدولة شهد شهادة غير حقيقية تؤكد أن كامل لطف الله انتحر ! ثم فوجىء بالطباخ يعترف بأنه تقاضى ٢٠٠ جنيه من شخص مجهول ليشهد هذه الشهادة !

وكان القاضى منير لطف الله يعلم أن شقيقه درس أوراق قضية فهوم دراسة دقيقة ووصل الى نتيجة : هى أن المجرمين الحقيقيين ليسوا فى القضية ، وأن المتهمين فى القضية هم الأبرياء ... ! وأن القضية تمس شخصيات كبيرة فى الدولة ..

وكان المستشار كامل لطف الله يقيم في نفس البيت الذى يقيم فيه خليل حسين عم الرئيس جمال عبد الناصر : وسمع عم الرئيس بما يقـوله رئيس محكمة أمن الدولة . وذهب وابلغ به الرئيس عبد الناصر .

وفوجيء رئيس محـكمة أمن الدولة ذات يوم بدعوته لمقابلة الرئيس فى بيته بمنشية البكرى . على بعد خطوات من شقة رئيس محكمة أمن الدولة وساله الرئيس : هل حقيقة أنك ترى أن الدكتور السمنى وكيل وزارة الزراعة برىء ..

قال كامل لطف الله : أعلم أن سيادتك خطبت فى خطبة علنيـة واتهمته بأنه حرامى ، ولكن أوراق القضية تبين أنه برىء .. وضميرى كقاض يحتم على أن أظهر هذه الحقيقة .

قال الرئيس : افعل ما يمليه ضميرك .

قال كامل لطف الله : وأحب أن تعلم أن القضـية ستجيء بأسماء كبيرة .

قال الرئيس : لو كان اسمى موجود فى القضية هاتنى !

قال كامل لطف الله : أن من قراءة الأوراق تدل على أن بعض الوزراء « حرامية » .

قال الرئيس : قل لى على أسمائهم وأنا سأقطع رقبتهم !

قال كامل لطف الله : لا أستطيع أن احكم على أحد قبل أن أنتهى من نظر القضية واسمع الدفاع والاتهام ..

وانصرف كامل لطف الله سعيدا بهذا اللقاء ..

ثم حدث بعد ذلك أن هوجمت شقة كامل لطف الله وسرقت منهـا

أوراق القضية ، وعليها ملاحظـــات رئيس محكمة أمن الدولة بخط يده .

فمن هو صاحب المصلحة فى سرقة هذه الأوراق .. لا يمكن أن يكونوا المتهمين الذين قال عنهم رئيس محكمة أمن الدولة انهم أبرياء ..

لابد انهم أشخاص عرفوا أن القضية سوف تصل اليهم . ولابد انهم بعد ذلك عرفوا بأن يد العدالة ستصل اليهم ، ولهذا رأوا أن يتخلصوا من رئيس محكمة أمن الدولة بخطفه فى صباح المحاكمة ، والقائه من سطح العمارة !

ولاحظ الأطباء من اقارب كامل لطف الله ان تقرير الطبيب الشرعى مهلهل ، ولاحظوا أن الاسعاف لم يحضر فورا ، بل حضر بعد نصف ساعة .

وتردد بينهم أن كامل لطف الله مات بسم لا يترك أثرا ، وبعد أن تناول السم القوه من السطح !

وفجاة تلقى القاضى منير لطف الله رسالة بلا امضاء تقول له : « لا تتكلم ! والا فسوف يكون لك نفس المصير » .

وذهبت الطالبة سميحة كامل لطف الله الى عمها القاضى منير لطف الله تقول له : اننى قررت أن التحق بكلية الحقوق ، وأتخرج محامية ، وأطالب باعادة التحقيق فى مقتل أبى !

قال لها عمها هامسا : اسكتى ! لا تفتحى فمك . لقد جاءنى تهديد بألا اتكلم والا فسيكون لى نفس المصير !

وأطبقت الأسرة فمها رعبا !

وعرضت القضية على دائرة المستشار رياض رزق الله وبزات الدكتور السمنى وزملاءه .

انني أعرف كامل لطف الله شخصيا . أعرفه وهو شاب . كان قاضيا في القاهرة ولفقت احدى الحكومات قضية ضد أخبار اليوم ، وارسلت مظاهرة تحاول تحطيمها ، ثم اتهمت عمال أخبار اليوم بأنهم هم الذين تجمهروا وقتلوا أحد المتظاهرين وقبضوا على ١٧ من عمال ومحرري أخبار اليوم ووضعوهم في السجن . عرضت المعارضة على القاضي الشاب كامل لطف الله . جاءه من يبلغه أن الملك يرغب في مد حبس المتهمين . رفض القاضي أن يخضع لأمر الملك وأفرج عن المتهمين . عوقب القاضي النزيه بنقله الى قنـا . نشرت القصة في أخبار اليوم . عاد كامل لطف الله بعد الثورة الى القاهرة . هذا القاضي الجرىء ليس بالقاضي الذي يخاف ، انه رفض ان يخضع لأمر الملك ، وهو بالتالي لا يمكن أن يخضع لتدخل أي كبير في الدولة يريد أن يوقف سير العدالة !

سيجيء يوم تجتمع فيه الجمعية العمومية للمستشارين في هيئة جمعية غير عادية ، وتؤلف لجنة تحقيق ، لتعرف من الذي قتل رئيس محكمة أمن الدولة !

ان الحقيقة لا يمكن ان تموت !



حمادة الناطل يقول لمصطفى أمين : سوف اعارض فى أن تكون المحكمة
سرية .. ولكن الاوامر صدرت للدجوى بان تكون المحاكمة سرية !

من الذى سرق خزانة سفارة الكويت؟

سجن ليمان طـره

١١ ديسمبر سنة ١٩٦٦

عـزيزتى ..

اؤمن ايمانا عجيبا بأنه سيجىء يوم ، قريب أو بعيد ، ستضاء فيه الانوار على هذا الظلام الدامس ، وتنكشف الحقائق ، كل الحقائق ، ويزاح الستار عن كثير من الخبايا التى يتصور أصحاب السلطان انها لن تعرف أبدا .

فى يوم ١٩ اكتوبر الماضى سرقت خزانة سفارة الكويت فى القاهرة وهى خزانة اعتادت السفارة أن تودع فيها مجوهرات الكويتيين الذين يسافرون الى الخارج ويضعون هـذه المجوهرات أمانة لدى السفارة .

وفيها كذلك « رزم » من أوراق البنكنوت ..

واستوقف النظر أن « رزم » أوراق البنكنوت تحولت الى رزم من أوراق النشاف الذى يستخدم فى تجفيف الحبر فى السفارة . ووضعت فى كل رزمة ورقتان ماليتان احداهما أسفل الرزمة والأخرى فوقها ، ليظن من يفتح الخزانة انها ورق بنكنوت !

ووضعت بدل قطع المجوهرات المسروقة مجوهرات مزيفة ، بنفس العدد والشكل والحجم ..

وابلغت السفارة اللواء أحمد مرتضى مدير أمن الجيزة وقامت الدنيا وقعدت . وانتقل محافظ الجيزة ورجال البوليس وشعبة البحث الجنائى ورجال النيابة .

وقيل لسفير الكويت فى القاهرة ان الدولة كلها تبحث عن اللصوص وسوف تسترد المجوهرات الثمينة والمبالغ الطائلة !

وكان أغرب ما حدث أن فى السفارة عدة خزائن لم يمسها أحد ، مما يدل على ان الذى فتح الخزانة يعرف أين توجد المجوهرات وان الأوراق والمستندات الموجودة فى الخزانة المسروقة لم تمس.. مما يؤكد أن الغرض هـو سرقة المجوهرات وليس سرقة مستندات سياسية !

وفى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٦٦ صدرت جريدة الأهرام ، وفيها صفحة كاملة بعنوان « من الذى سرق خزانة سفارة الكويت ». سلطات الأمن لم تعثر على أى دليل يثبت أن أحدا اقتحم السفارة أو تسلل منها . اختفاء محتويات الخزانة فى نظر سلطات الأمن « سرقة محيرة » وليس حادثا غامضا وهذه هى الأسباب : أوراق النشاف التى وضعت مكان ٨ آلاف جنيه نقدا .. من نفس النوع المستعمل فى السفارة ! كيف يمكن أن يدخـل لص مرتين ليأخذ المجوهرات الحقيقية التى تقدر بعشرة آلاف جنيه ثم يعود ليضع مكانها مصوغات مزيفة » !

وحاول تحقيق « الأهرام » أن يثبت ويؤكد أن السرقة تمت من داخل السفارة وقالت بالحرف الواحد « أنه مما لا شك فيه أن السرقة من الداخل ، يعنى أن شخصا من داخل السفارة هو الذى ارتكب الجريمة أو على الأقل اشترك فى ارتكابها . يؤيد ذلك أن هناك ٧ خزائن أخرى فى السفارة ليست فيها نقود ، ولذلك فان اللص سرق هذه الخزانة بالذات ، وهو بدون شك يعرف أن هناك غيرها ولكن ليس فيهـا ما يسرق . يؤيد ذلك أيضـا ما ظهـر من حقيقة « النشاف » وأن الجريمة تمت فى وقت يعلم فيه السارق أن صاحب الخزانة سافر الى لندن .. وأنه حتى بعد أن عـاد — منذ شهرين — فانه يقضى فترة نقاهة فى منزله ولا يتردد على مكتبه . يعنى أن هناك وقتا لاعداد أوراق النشاف والمجوهرات المزيفة .. واتمام السرقة التى لن تنكشف الا بعد فترة يكون فيها السارق قد استرد أنفاسه وأعد أسلوب المراوغة .. أيضا كيف

يمكن لغريب أن يدخل من باب السفارة ، وهى حتى الساعة الثانية ظهرا خلية تشغى بموظفيها والمترددين عليها . وبعد الظهر حتى صباح اليوم التالى تغلق وبها خفير وعلى بابها حارس ؟ كيف يمكن الدخول « للمعاينة » ولاعداد النشاف والجوهرات المزيفة ووضعها فى مكانها ثم الخروج بهدوء ؟ ان هذا لا يتأتى الا لشخص يعرف السفارة جيدا . ويعمل بها .. ويقف على كل ظروفها ..

وانتهى التحقيق باتهام موظفى وعمال السفارة وقال بالحرف الواحد « من الذى يعمل بالسفارة من غير الدبلوماسيين .. أى من السعاة ؟ انهم ١٧ ساعيا — مصريا — وسودانيا — ولهم رئيس » .

انتهى التحقيق الخطير المنشور فى الاهرام .

وجاءت الأنباء أن الدولة قبضت على جميع السعاة المصريين والسودانيين .. وأن جميع الكويتيين من موظفى السفارة وزوجاتهم تحت الرقابة الشديدة ، وكذلك تليفوناتهم لمعرفة السارق منهم !

ثم حدثت مفاجأة مذهلة ..

تلقيت رسالة مهربة من احد تلاميذى خارج السجن ، وهو شخص اثق كل الثقة بصدق معلوماته ان السعاة المساكين ابرياء ، وأن موظفى السفارة الكويتية أبرياء ، وأن اللصوص ايضا أبرياء وأن السرقة تمت بأمر شخصية كبيرة فى الدولة . وأن عددا من كبار موظفى الدولة اشتركوا فى عملية السرقة !

وأن الذى أمر بالسرقة هو صلاح نصر .. فقد جاءت أنباء تؤكد أن فى الخزانة مجوهرات ثمينة جدا لا تقدر بثمن !

وتمت السرقة تحت اشراف صلاح نصر .

وتسلم صلاح نصر المجوهرات والمبالغ المسروقة ، وقسم المجوهرات الثمينة الى ثلاثة أقسام متساوية : اعطى القسم الأول منها الى شخصية معروفة فى الدولة وأعطى القسم الثانى منها الى شخصية معروفة فى الدولة أيضا واحتفظ بالجزء الثالث من المجوهرات المسروقة فى خزانته !

وجاءتنى الأنباء بعد ذلك تؤكد هذه الرواية الخطيرة المذهلة التى لم يحدث لها مثيل فى أى بلد فى العالم !

اعرف أن بعض الدول سرقت مستندات هامة من سفارات أجنبية !

ولكن هذه أول مرة فى التاريخ تسرق دولة مجوهرات من خزانة سفارة أجنبية !

ترى هل سيجىء يوم يكشف الشعب فيه هذه الحقيقة المذهلة المرعبة .

وهل سيعرف الشعب حقيقة صلاح نصر والجرائم التى ارتكبها أو أمر بارتكابها ؟

وهل سيجىء يوم يجرى فيه تحقيق معه فى سرقة سفارة الكويت وأين ذهبت المجوهرات المسروقة !

هذا ما كان يمكن أن يحدث لولا الظلام الذى نعيش فيه ..

الحرية وحدها تضىء الأنوار ..

وفى الأنوار لا يمكن ارتكاب مثل هذه الجريمة الخطيرة التى لم يسبق لها مثيل !

أما المفاجأة الكبرى فهى أن كاتب التحقيق فى الأهرام الذى يحاول أن يضلل القراء ويخفى السارق الحقيقى هو مندوب جريدة الأهرام عند صلاح نصر !



في قفص الاتهام لسمع الدجوى
يتلو التهم الموجهة الي !

أصابعي .. تأكلني!

سجن ليمان طره

١١ ديسمبر سنة ١٩٦٦

قامت الدنيا وقعدت! اتصل وزير الداخلية بمدير مصلحة السجون وقال انه وصلت اليه معلومات بأنني أعيش في الليمان مرفها ومنعما! الصيت ولا الغنى!!! واسرع كبار موظفي مصلحة السجون الى زنزانتي ليضبطوا الجريمة الفظيعة .. واكتشفوا انني اعيش كأي مسجون اقل من العادي .. وان حياتي بسيطة جدا .. وكما قال مدير الليمان ان هناك الف مسجون في الليمان يعيشون مثلي! وقيل لي أن الذي اثار غيظ ولاة الأمور ان التقارير قالت انني اضحك باستمرار في السجن! وان هذا الضحك دليل على انني منعم ومرفه وأعيش كملك. ولو كنت أعيش ككلب كما نصت التعليمات لما ضحكت ولما ابتسمت! وطلب مني بعض الضباط ان اتظاهر بالحزن والبكاء لأسعد الحكام! وقلت لهم انني لا اضحك وانما اسخر! وسوف اقف على المشنقة وانا اسخر بالظالمين، لأنني اعلم ان دورهم سيجيء بعدي!

وقيل انه لابد من عمل شيء حتى لا ينزل كلام سيادة الوزير الى الأرض. وبهذا منعوا أغلب الأطعمة التي احضرتها في الزيارة. وسمعت انك بكيت. والذين رأوك تبكين تأثروا كثيرا، وكانت قلوبهم تتقطع وهم يصفون لي حزنك وتعاستك. ولكني لم أتضايق ابدا. انني عودت نفسي الا اشكو من شيء، ولا أحتج على شيء، ولا اطالب بشيء .. انني على استعداد ان اعيش على العيش الحاف، ولو كان طعام السجن عبارة عن فول مدمس يوميا لما ترددت في ان آكله كل يوم. انني أستطيع أن أعيش على أي طعام، وأجد لذة ان اكيف نفسي في أي وضع. وأحمد الله على ان التحقيق

الدقيق الذى جرى اظهر اننى أعيش فى مستوى دون كثير من المسجونين . وقد فتشوا غرفتى عشرات المرات ، ولم يحدث مرة واحدة أن وجدوا فيها شيئا ممنوعا . ولقد سحبوا الصندوق الذى كنت اضع فيه ملابسى ، والآن اضع ملابسى داخل ورق الجرائد . وقد تضايقت فى أول الامر ، ثم لم ألبث أن عودت نفسى على ان ورق الصحف يصلح أن يكون دولابا أنيقا ! وسحبوا المائدة والكرسى فجلست على الارض . وسحبوا برنس الاستحمام، وتعودت أن انشف نفسى بالفوطة . وعادوا يضيقون على الخناق ويمنعون المسجونين من التحدث معى . وكل هذا وغيره مسائل بسيطة جدا . الانسان فى بعض الأحيان يعتبر اشياء تافهة من ضرورات الحياة ، ولا يلبث بعد مدة أن يكتشف أنه يستطيع أن يستغنى عنها ، ويعيش بغيرها . وكل هذه الأشياء التى حرمت منها لا تساوى وصول خطاب من انسان أحبه !

ان وزير الداخلية لم يشقنى ! احسست اننى انا الذى ضايقته عندما لم يجدوا فى زنزانتى ممنوعات أو مخالفات ! استطعت أن اعرف نبأ حملة التفتيش قبل وصولها الى زنزانتى بنصف ساعة . اشترك كل زملائى المسجونين السياسيين فى عملية اخفاء الممنوعات .. انهم لم يكتفوا باخراج القلم والورق من زنزانتى ، بل أخفوه فى عنبر آخر !

وأمر الوزير بمنع دخول الثلج ! وبعلبة سجاير واحدة استطاع أحد الزملاء أن يلغى قرار الوزير ! كل ما هناك أن الثلج أصبح يصل الى الزميل فى زنزانته ، ويرسله لى الى زنزانتى ! وقد استمر حرمانى من الثلج عدة أيام . وعودت نفسى على شرب الماء العادى، وحمدت الله اننى وجدت ماء عاديا أشربه ، وتذكرت الأيام التى كنت لا أجد فيها نقطة ماء فى صيف يوليو وأغسطس ، ولا أجد ما أشربه سوى ماء التواليت !

ولم اتضايق من أن الوزير منع خبز السكر وطعام السكر ، ومن أوامره تجريد زنزانتى من كل شيء واساءة معاملتى لأكون عبرة لباقى المسجونين !! ولقد أمضيت خمسين عاما من حياتى أدخل أعظم القصور . واقيم فى افخم فنادق العالم . وأتناول طعامى فى أرقى

مطاعم الدنيا ، وأستمتع بكل ما فى الحياة من جمال ، فلا يجوز أن احزن لاننى امضى بضع سنوات فى زنزانة على البلاط ! لقد تعلمت كثيرا فى هذه الزنزانة . واستفدت من كل يوم أمضيته فى السجن ، لاعرف الحياة كلها . كانت حياتى ناقصة قبل ان ادخل السجن . وطبعا لن يوافق اصدقائى على هذه الفلسفة . ولكنى مازلت مصمما على رايى من انه لابد أن هناك حكمة الهية لكل ما حدث لى . الله يعلم أننى برىء . قد يعلم الله أن البلد سيتعرض لكارثة فأخفانى فى هذا المجرور حتى لا تصيبنى قنابل غارات قادمة . ربما ابعدنى عن الحكم والحاكمين حتى لا أصاب فى مكانى بجانب القيادة أصابة مباشرة ! ربما أراد الله أن يحفظنى مما هو شر من السجن فوضعنى فى هذا المخبأ .. فى اثناء الحرب العالمية الثانية عندما كانت الغارات تنهال على باريس كان اهلها يفضلون الاختفاء فى مواسير المجارى !

اننى أعيش على معلبات السردين . السردين هو الشىء الوحيد المصرح بدخوله الآن . وقد فهمت من تأخير ارساله أنه غير موجود فى السوق ! اننى اتغدى فى بعض الأحيان « فول وبيض » .

هذه ثالث مرة اشهد فيها التليفزيون فى اسبوع واحد . وزير الداخلية نسى أن يمنع التليفزيون !! فى التليفزيون انسى اننى فى ليمان طره . اشاهد مباريات كرة القدم واتصور أننى فى الملعب . العب مع اللاعبين ، وأجرى معهم ، واسجل معهم الاهداف وتمضى الساعة والنصف فى مشاهدة المباراة كأنها دقيقة ونصف .

ارجو ان ترسل لى زجاجة حبر .. ان اصابعى تأكلنى .. ومعنى ذلك اننى أريد ان اكتب كثيرا !

المأدبة الإمبراطورية

سجن ليمـــان طـره

٢٨ ديسمبر سنة ١٩٦٦

يا عزيزتى ..

هذه آخر رسالة اكتبها فى عام ١٩٦٦ ، من سخرية القدر اننى كنت احلم بسنة ١٩٦٦ هذه ، وأتصور انها السنة التى سأستريح فيها من الاعباء الكثيرة التى كدت اسقط تحت اثقالها .. كنت أتصور اننى ساحصل فيها على اجازة طويلة ، انطلق فيها الى انحاء الدنيا ، بغـير ان اشعر بمسئوليات ، ولا بضرورة موافاة الجريدة بأخبـار ولا ضربات صحفية كل يوم . كنت أعتقد انها ستكون سنة الراحة من عذاب العمل اليومى . لقد حملت على كتفى مسئوليات فى سن مبكرة جدا . كنت نائب رئيس تحرير مجلة روز اليوسف ، عندما كانت اكبر مجلة سياسية فى مصر ، وعمرى ١٧ سنة ! وهكذا لم يكن لى شباب . ولم تكن لى أجازات . وكان تصميمى أن أعتزل رياسة مجلس ادارة اخبار اليوم عندما أتم الخمسين . وكتبت فى أخبـار اليوم معلنـا اعتزامى على اعتزال العمـل . وغضب الرئيس عبد الناصر . وقال لى كيف تعتزل العمل والبلاد تمر بظروف صعبة ، وكيف تنشر فى الصحف أنك قررت الاستقالة قبل أن اوافق على قبول الاستقالة .. وضحك يومها الرئيس وقال « أنا ليس عندى استقالات .. عندى اقالات فقط » ! ووافق الرئيس على أن أبقى فى العمل حتى بداية سنة ١٩٦٦ ولكنى فى سنة ١٩٦٦ كنت فى السجن !! وهكذا اصبحت سنة الراحة هى سنة الأشغال الشاقة ، وسنة الانطلاق هى سنة السجن ، وسنة الاحلام هى سنة الكابوس . كنت احلم بأن هذه السنة ستكون مفترق الطرق بين عملى كصحفى عربى وعملى كصحفى عالمى . كنت أتصور اننى سأملأ صحف العالم

بتحقيقات صحفية عالمية ، فاطير الى عواصم الاحداث ، واذا المطافة ينتهي بى الى أن كل ما أكتب هو أخبار الزنزانة التى أقيم فيها ! ولا أدعى أن هذه السنة ضاعت من عمرى . فقد تعلمت فيها أشياء كثيرة ، لم تعلمها لى الجامعات التي تخرجت فيها . ولا درجــة الماجستير التى حصلت عليها . رأيت فى السجن عالمــا جديدا . كان مجهولا لى . على الرغم من أننى توهمتأن عملى فى الصحافة أكثر من ثلاثين سنة جعلنى أعرف كل خبايا الحياة . ولكنى أشبه برجل وضـع فى صاروخ ، وأطلقوه الى كوكب من كواكب الفضاء . واذا بى أكتشف عالمــا مختلفا . مخلوقات آدمية أخرى . لغة لم أعرفها تقاليد وعادات . فهو مجتمع قائم بذاته.له مساوئه ومزاياه.قوانينه ونظمه . أحلامه ومآسيه . ضحكاته ودموعه . ولا أزعم أن العام ونصف العام اللذين أمضيتهما فى السجن جعلانى أعرف كل شيء عن أسرار هذا العالم الجديد ، فهو عالم واسع . يتوه فيه الباحث عالم تحت الأرض . قاع المدينة . ولو أنهم طلبوا منى اليوم أن أكتب كتابا عن حياة السجن لترددت . ما أعلمه أقل كثيرا مما يجب أن أتعلمـــه .

كانت متعتى فى الحياة أن أزرع الأمل فى قلوب اليائسين . كنت أرى القلوب اليائسة أشبه بالصحراء الجــرداء . وأنا لا أحب الصحراء . سعادتى أن أراها تتحول الى حقول خضراء ومزارع يانعة . وكانت متعتى أن أقطع بسيارتى الطريق الصحراوى بين القاهرة والاسكندرية ، وأحصى الكيلومترات التى تحولت من رمال الى حقول . من العدم الى الحياة . والناس عندى كالصحراوات . نعم انك تحتاج الى جهود جبارة لتحول الرمال الى أرض حدائق . ولكنى كنت أجد متعة ولذة فى أن أقوم بهذه العملية . أن أحول القانطين الى حالمين .. أن أحول اليائسين المسحوقين الى أشجار وأزهار وورود ! وأنا أعتقد أن فى روحى مياها كثيرة من التفاؤل والايمان تكفى لأن تروى أراضى كثيرة جرداء . وكنت أخشى أن يسحق السجن تفاؤلى وايمانى وصبرى وحبى للناس . والواقع أن الذى حدث هو العكس تماما . تضاعف تفاؤلى . توطد ايمانى . زاد صبرى . كنت أحب الناس كثيرا وأصبحت أحبهم أكثر . كان بعض أصدقائى يتهموننى بالغفلة لأننى أقول دائمـــا أن الأغلبية العظمى من الناس طيبون والأقلية المسحوقة شريرون . وانهلايجوز

الحكم على كل الناس بخطايا بضعة افراد . وكان بعض أصدقائى يعتبرون رايى هذا سذاجة ويتهموننى باننى احكم على الناس وانا جالس فى برج عاجى . والمدة التى امضيتها فى السجن لم تزعزع هذه العقيدة ، بل قوتها . مما يساعدنى على الايمان بهذا الراى اننى اعطى دائما عذرا للطبيعة البشرية . دائما أعطى للناس أعذارا لاننى اقدر ظروفهم . ليست كل المعادن قادرة على ان تحتمل نسبة واحدة من الحرارة . بعض الناس كالورق يحترقون اذا لمسهم عود ثقاب ، وآخرون كالذهب يتوهجون فى النار ! انا مثلا اجد لذة فى الاحتمال وفى الصمود . وغيرى قد يجد نفس اللذة فى الشكوى والأنين . ومن الطبيعى أن يجد كل مسجون فى السجن اشياء تضايقه وتنكد عليه الحياة . ولكننى انظر الى الامور التى تضايقنى نظرتى الى اشياء صغيرة بسيطة تافهة ؛ لا تستحق الشكوى . الحرمان من الحرية فى رايى اشبه بمرض السرطان . والمضايقات الأخرى اشبه بالصداع أو الزكام . ومن غير المعقول أن أحتمل آلام السرطان ، واشكو من متاعب الزكام !! بل على العكس ان متاعب الزكام تنسينى احيانا آلام مرض السرطان . انشغالى بحل مشاكلى الصغيرة ينسينى المشكلة الكبيرة . كان من مشاكلى الصغيرة مثلا انكم نسيتم فى الزيارة السابقة احضار الصابون . وقرات فى الصحف أزمة اختفاء الصابون فعذرتكم . وعندى الآن صابونة احافظ عليها، لنستطيع ان تتحمل الى موعد الزيارة القادمة ! ومع بساطة هذه المشكلة وتفاهتها الا اننى اشغل نفسى بالاهتمام بها . فالف الصابونة بعناية فى ورقة سولفان . واحسب المدة التى تستغرقها فى الذوبان . وفى بعض الأحيان أستعمل الصابون الملعون الذى يوزعه السجن . وبذلك اكسب لصابونة غسيل الوجه التى عندى بضعة أيام فى عمرها القصير . فالصابون مثل الانسان يذوب من كثرة الاستعمال . وكل واحد منا « يرغى » !.

انا مثلا اسخر من متاعبي وأفلسفها . وعندما تسخر من شيء يتضاءل امامك . يصغر وينكمش . اشياء كثيرة كانت تبدو لى فى الماضى كأنها من ضرورات الحياة ، ثم وجدتنى محروما منها . لا البث ان اشعر باننى لست فى حاجة اليها . كل شيء مادى أصبح لا قيمة له عندى فى الزنزانة . يكفينى ما عندى من ايمان وعاطفة وصمود . هذه الأشياء كبرت فى داخلى . لم تتضاءل . الخيال يحول الأشياء

الصغيرة الى اشياء ضخمة . الآن اتناول غدائى وعشائى معا فى الساعة الخامسة . غدائى غالبا عبارة عن علبة سردين واحـدة وعلبة خضار من كانتين السجن . فاصوليا أو بسلة . كنت فى اول الامر افتح علبتى سردين ما دمت اكتفى بأكلة واحدة . ثم رأيت الاكتفاء بعلبة سردين واحدة من أجل الاقتصاد .

اهدانى مسجون مخدرات علبة « صوص هاينز » . وأهدانى مسجون آخر فى قضية اختلاس زجاجة كاتشاب ! اضع الصوص هاينز على السردين ، واضع الكاتشاب على الفاصوليا ، وبذلك تتحول المـائدة المتواضعة الى مأدبة فاخرة ! ولم أكن أتصور فى يوم من الأيام اننى استطيع ان أعيش ٢٤ ساعة على علبة سردين ! ولم ألبث أن أحسست أنها تكفينى وزيادة . كل ما أحاوله الآن أن اجعل علب السردين التى عندى تكفينى حتى الزيارة القادمة . وفى بعض الأحيان اوفر الصوص الذى أهداه المسجون لى للمآدب الرسمية ! نعم .. فأنا اقيم لنفسى مرتين فى الأسبوع مأدبة رسمية ، فاضيف الى علبة السردين قطعة جبن أو برتقالة . وهنا أطلق على هـذه الاكلة الفاخرة لقب الاكلة الامبراطورية . وآكلها بلذة وشهية ، وكأننى اتناول غدائى فى قصر فرساى على مائدة الملك لويس الرابع عشر !

قبل دخولي السجن كنت اتمنى أن الغى طعام العشاء من قائمـة حياتى اليومية . فشلت محاولاتى المستمرة . الآن اشعر بسعادة لأن ضرورة الاقتصاد فى السجن جعلتنى اتعلم أن الغى طعام العشاء! وكان يحدث فى الماضى أن أحس بالجوع أثنـاء الليـل فأقوم الى الفريجيدير واتناول قطعة من الجبن أو شوكلاته السكر . ولـكن الآن أكتفى بالافطار والغداء ، وأحسد نفسى عليهما ، واتذكر أن هناك فى العالم ملايين لا يجدون علبة السردين التى أفتحها !

اول ينـاير سنة ١٩٦٧

هذه اول كلمة اكتبها فى العام الجديد . هذاا الخطاب استغرقت فى كتابته عامين ! بدأته فى سنة ١٩٦٦ وانتهيت منه فى سنة ١٩٦٧ ، وفى خلال هذه المدة اصبت ببرد شديد وبسعال حاد ، لأنهم خلعوا

الشباك الذى ركبته فى نافذتى بحجة انه مخالف للتعليمات ! أمضيت ليلة لا اذوق النوم لحظة واحدة ، بسبب السعال المستمر . ولكنى اليوم أحسن ولله الحمد . امضيت ليلة راس السنة فى الفراش مع الحمى والأدوية والاسبرين والنوفالجين ، ولكن المرض لم يكن بالسوء الذى كان فى سجن القناطر الخيرية ، مع فارق واحد وهو أننى فى سجن القناطر كنت أجد زملائى حوالى ، يقومون بخدمتى ، ويضعون المكمدات على رأسى . أوامر الوزير الا يتصل بى أحـد من المسجونين . ولهذا توليت تمريض نفسى بنفسى وأمرى الى الله . زارنى الطبيب وقال لى : لو كنت مسجونا عاديا لنقلتك فورا الى مستشفى السجن . أما وأنت مسجون سياسى فلو فعلت لك أى شىء فسيضعوننى فى الزنزانة المجاورة !

من اسوأ الأمور أن يمرض الانسان فى السجن ، ولقد بذلت كل مجهودى لأحافظ على صحتى ، ولكن البرد ، والنوافذ المفتوحة كانت أقوى منى فصرعتنى !

الله معنـا !



مصطفى أمين

سجن ليمان طره

٣ يناير سنة ١٩٦٧

عزيزتى ..

الشهر الماضي كان شهرا صعبا . ربما كان من اصعب الشهور التى مرت بى منذ ان دخلت الليمان . بعد ان كنت احسست ببعض الاستقرار وبالهدوء ، وبعد ان تصورت اننى رتبت حياتى هنا ، فوجئت بأن كل شىء تلخبط .. وفى عصور الظلام تقيد حرية الأشراف ، وتطلق حرية النصابين والأفاقين . وعندما تطفأ الأنوار يلزم الناس بيوتهم ، وينطلق قطاع الطرق واللصوص . وفى يوم من الأيام ستعرف مصر أن كثيرين من النصابين المحليين والعالميين انتهزوا فرصة الارهاب والسجون والمعتقلات والخوف العام ونصبوا على الدولة بملايين الجنيهات ! والحال فى السجن كما هو خارج السجن . انتهز أحد النصابين الأفاقين فرص الارهاب الموجود هنا وتقدم الى المسئولين بتقرير سرى ادعى أننى أعيش فى السجن فى ترف ونعيم ، بل اننى أعيش فى السجن خيرا مما كنت اعيش فى بيتى ، وأن الأطباء يجاملوننى ، والموظفين يهتمون بى ، والضباط يحسنون معاملتى ، والحراس يحيوننى التحية العسكرية . وأننى المدير الحقيقى للسجن !

وصدقت رياسة الجمهورية هذه الأكذوبة ، وانقلبت الدنيا راسا على عقب . واصبح مطلوبا من كل من يعمل فى السجن أن يثبت أنه يسىء معاملتى حتى يبقى فى وظيفته . وبدأ تحقيق مع الأطباء وثبت أنهم ابرياء من حسن المعاملة . وجرى تحقيق مع الضباط وتبين أنهم يعملون ليل نهار على أن ينكدوا على الحياة ! وجرى تحقيق مع الحراس فأقسموا أنهم جميعا الشاويش ديهوم ! وتقرر نقل مأمور

السجن عباس لبيب لأنه ثبت انه ابتسم فى وجهى ، وأنه كان فى يوم من الأيام محررا فى القسم الرياضى بأخبار اليوم ! واصبح حسن المعاملة تهمة ، يجب ان يدفعها الانسان ، ويتبرأ منها كتهمة التعذيب فى العصور غير الحره ! .. ثم جاء وزير الداخلية ، واتهم بأن يسأل عن معاملتى ، وترك الجميع يشعرون بأن المطلوب هو أن يجعلوا حياتى كالجحيم .. ووعده بعض كبار موظفى المصلحة أن يكونوا عند حسن ظنه !!

واصبح السجن يعيش فى هلع . خشية أن يوجه الى أى مسئول التهمة الخطيرة ، وهى أنه يحسن معاملتى . أصبح الحراس يخشون التحدث معى . ان المغضوب عليه من الدولة فى عصر الارهاب يتحول الى مريض بالجرب ، يخشى الأصحاء الاقتراب منه .

ولكن بعد أيام سوف ينسى الحراس تعليمات وزير الداخلية ، وسوف اقنعهم بأن الوزير هو المصاب بالجرب !

وهذه الاتهامات الظالمة هى التى تجعلنى أتمرد على الأنظمة واتعمد مخالفتها ، ولقد كنت الوحيد فى السجن الذى ينفذ الأوامر والتعليمات . الذى يقبل اى شىء بلا اعتراض . الذى لا يشكو ولا يحتج . ومع أن التحقيقات التى جرت أثبتت بجلاء أن هذه الاتهامات الظالمة لا أساس لها ، الا أن سياسة التنكيل استمرت ! اننى وجميع المسجونين السياسيين لا نأخذ حقنا ! لقد وصل خطاب سرى الى مدير الليمان يوم أن جئنا الى السجن يقول أن جميع المسجونين السياسيين أساءوا للوطن ، ولهذا يحرمون من جميع الامتيازات التى يتمتع بها القتلة واللصوص والسفاحون ! أن معنا جواسيس اسرائيل محكوم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ! وهم يقيمون فى المستشفى الذى حرمت منه ، وتدخل لهم أطعمتهم كما يريدون ، ويتجولون فى أنحاء السجن بلا رقابة ولا حراسة . ويتحدثون مع المساجين كما يشاءون . ان فيكتور وروبير وفيليب ، الاسرائيليين المحكوم عليهم فى قضية لافون ، يعاملون كأسياد . والمصريين من المسجونين السياسيين يعاملون كعبيد . ذلك لأن جريمة الاسرائيليين انهم أساءوا الى مصر ، وجريمة السياسيين

انهم اساءوا الى الحاكم . والخيانة العظمى فى بلادنا هى اغضاب الحاكم او معارضة الحاكم !

ان الذين ينسجون هذه الضجة والاكاذيب حولى هم اول من يعلم اننى مظلوم واننى برىء . واننى لم اتصل بالحكومة الامريكية الا بامر من رئيس الجمهورية شخصيا وبتكليف رسمى منه ، وان كل اعمالى معها كان بعلم رئيس الجمهورية . وهذه هى الحقيقة التى عذبونى حتى لا اقولها فى التحقيقات ولكنهم فشلوا . اننى تحملت كل هـذا ، بعد أن قدمت لبلدى ما قدمت من خدمات ، وما اعترف به رئيس الجمهورية أمام مجلس قيادة الثورة ، وانا احمل هذه المتاعب الصغيرة اليوم واعتبرها ضريبة يجب أن ادفعها لبلدى ثمنا لنجاحى . دفعت لبلدى قبل ذلك كل ما عندى من فكر وعلم ودم واعصاب وقلم ولسان . ولم يبق عندى سوى حريتى ، وشاء القدر ان اقدمها ايضا . انا واثق أنه سيجىء يوم تعلن الحقيقة كاملة . ويعرف الذين ظلمونى انهم حكموا على برىء ، وطعنوا رجلا بخناجر فى ظهره ، بينما هو يقدم لبلاده أعظم الخدمات . اشعر اليوم بأسى عندما أجد بلادى محرومة من القمح ، وقد مكثت سنوات عديدة أحصل عليه لبلادى بلا ثمن . وبذلت من أجل هذه المعونات جهدا قدره رئيس الجمهورية وأشاد به ، وتصورت أن ما فعلته لبلادى ولشعبها هو شىء لا يمكن أن ينكره الذين تنكروا لى . ولكن آخر خدمة الغز علقة كما تقول الحكم والأمثال .. لقد كذبوا على رئيس الجمهورية وقالوا له اننى قلت للامريكان الا يعطونا قمحا . وكل الذين قرأوا اوراق القضية يؤكدون انه ليس موجودا فيهـا هذا الكلام الفارغ على رغم كل التزييف والتغيير والتبديل فى اشرطة التسجيل . لا أحد اليوم يجرؤ على أن يقول للرئيس الحقيقة !

ان السجن لا يعذبنى . وانما الذى يعذبنى أن بلادى تتعرض لحصار اقتصادى ، وأشعر فى زنزانتى بأننى عاجز أن افعل من اجلها كل ما فعلته من قبل . كل ما أتمناه أن تجد بلادى من يخدمها اكثر مما خدمتها .. بشرط الا يضعوه فى نهاية الأمر فى الليمان !

ولقد قيل لى أن خطئى الاكبر اننى لا اشكو ولا أحتج . لقد كان الرئيس يتوقع أن اكتب له خطابا أطلب العفو ، وهو متضايق لاننى

لم اكتب . انا ليس عندى ما اقوله لعبد الناصر ، لأن كل ما أريد أن اقوله لعبد الناصر يعرفه هو شخصيا أكثر من أى مصرى آخر . كان عبد الناصر يستطيع أن يختار لى تهمة أخرى أشرف من التهمة التى اختارتها لى مخابرات صلاح نصر .

ويعود اصدقائى ويقولون لى : اذا كنت لا تريد أن تطلب العفو ، فلماذا لا تكتب اليه تشكو من سوء معاملتك ! وهم يعتقدون أن الذى اثار هذا الجو ضدى اننى لا اشكو من شىء ، ولا أطالب بشىء، وان هذا الموقف يثير نحوى الريب والشكوك !!

اننى لم اتقدم بشكوى ضد الظلم الكبير الذى أصابنى ، فكيف اشكو من الظلم الصغير ؟ ! اننى لم أشك من التهمة المهينة الظالمة الكاذبة التى وجهت الى ، ولا من الطين الذى القوه على ، ولا من التراب الذى أهالوه على رأسى ، فكيف أشكو من متاعب صغيرة ؟ كيف أشكو اننى لا اجد طعاما آكله ، لأن طعام السجن لا يصلح لمرض السكر والنقرس الذى اصبت به ؟ فكيف اشكو لأنهم يغلقون باب زنزانتى ٢٣ ساعة كل يوم ؟ كيف أشكو اننى وقعت على قدمى ورأسى وأصبت بأربعة جروح ، وبقيت أكثر من أسبوعين بلا علاج، لأننى ممنوع بأمر وزير الداخلية من الذهاب الى مستشفى السجن؟ كيف اشكو من أننى المسجون الوحيد الممنوع من التحدث الى أى مسجون آخر ؟ كيف اشكو من أننى اصبت ببرد شديد فى السجن لأننى حرمت من دخول بطانية من بيتى ، فى نفس الوقت الذى سمحوا فيه لبقية المسجونين بدخول بطانيات ؟

كل هذا هو ظلم صغير تافه ، بجوار الظلم الكبير الذى وقع على .. الذى احتمل العاصفة لا يجوز له أن يشكو من هبوب الرياح . الذى لم تغرقه الموجة العاتية لا يجوز أن يخاف من الغرق أمام بعض رذاذ الأمطار ! لهذا انا مصمم على الا اشكو ولا أحتج ولا أسترحم . اننى تركت مصيرى لله وحده : اذا شاء أنقذنى ، واذا شاء أبقانى فى هذا الجحيم .. واذا مت فاننى اريد أن اموت واقفا ، لأننى ارفض ان اعيش راكعا ! واذا كان ثمن الحرية أن اقبل احذية الطغاة ، فاننى أفضل زنزانة مع الكرامة ، على عرش مع الهوان !

ويجب الا تتصوروا اننى تعس فى حياتى هنا ، على العكس اشعر بان ضـميرى مستريح . انهم يخجلون تواضعى بالاهميـة التى يسبغونها على . يسعدنى انهم يضعون كل هذه الاهمية لمسجون ملقى فى زنزانة ، ويخلقون حولى كل هـذه الأوهام . انهم مثلا يراقبون كل نسخة من جريدة « الأخبار » تصل باسمى ، متوهمين أن محررى اخبار اليوم يرسلون لى خطابات داخل الصحف . وعلى هذا يصلنى كل عدد من جريدة الأخبار ومكتوب عليه كلمة « مراقب » اى ان الرقيب فحص النسخة وتأكد ان ليس فيها خطابات سرية من المحررين ! ولابد انهم عرضوا النسخة على آلات خاصة ليعرفوا اذا كانت هناك رسائل مكتوبة فوقها بالحبر السرى ! آه لو علموا ان الرسائل تصل الى من تلاميذى تحت أنوفهم ، ولسنا بالسذاجة حتى نجعل رسائلنا داخل نسخ الأخبار !

ولو عرفوا الحقيقة لعرفوا اننى أطلب من تلاميذى الا يتصلوا بى ، لاننى لا اريد أن يتحمل واحد منهم اى متاعب من أجلى . اننى لا احافظ على أصدقائى فقط ، بل احافظ على السجان الذى يغلق على باب الزنزانة بالضبة والمفتاح . احافظ على الضابط الذى يشرف على تطبيق التعليمات الصارمة — لا اريد أن اكون سببا فى ضرر اى انسان من أجلى .

والغريب أن الذين يقومون الآن بعمليات فدائية من أجل تهريب الرسائل هم أشخاص لم أعرفهم من قبل !

انهم تلاميذ جدد جندتهم فى السجن !

ان مدرسة أخبار اليوم لها فروع فى كل مكان .. حتى فى الليمان !

خطة للهروب من السجن !

سجن ليمان طره

٢ يناير سنة ١٩٦٧

اختى العزيزة ..

اقبلك ، وارجو أن تكون السنة الجديدة سنة خير وبركة .

بدأ العام الجديد بتشديد المعاملة . ومنع ما كان مباحا . والعودة الى سياسة اغلاق الزنزانة ٢٣ ساعة كل يوم . ورفض المأكولات التى كانوا يصرحون بها فى الزيارة . الغريب أنهم يسمحون لجميع المسجونين العاديين بكل شىء . ما عدا المسجون السياسى !

وحدث ان ذهبت الى محكمة الجنايات لحضور قضية صحفية مرفوعة على اخبار اليوم عندما كنت رئيسا لمجلس ادارتها . واركبونى سيارة لورى تهتز بشدة وعنف اثناء سيرها . وقعت على الأرض . جرح وجهى وساقى . أصبت بجرحين فى ساقى . وجرح فى رأسي وجرح فى أصبع يدي . ولكنى لم أحتج على وضعى فى هذه السيارة التى تشبه المرجيحة . لم تلتئم الجروح بعد بسبب مرض السكر الذى يطيل فى عمر الجروح . ولكن جروح الحياة وجروح السجن لابد أن تلتئم فى يوم من الأيام .

وفجعت عندما قيل لى أن الزيارة سوف تتم وراء السلك ، مع أن الطبيب أمر بأن تتم الزيارة فى المستشفى . وكنت أنوى أن أرفض الزيارة فى هذا الوضع المهين . واصر الطبيب على أن جروحى اثناء وقوعى فى السيارة اللورى تمنعنى من الوقوف اثناء الزيارة ، ولهذا تمت المقابلة فى غرفة الضابط على ألا تستمر اكثر من خمس دقائق !

ثم صدرت الاوامر بالا أذهب الي التليفزيون ، ولا اذهب الى المستشفى ، وباخلاء الطابق الذى أنا فيه مرة أخرى ، وخصص الطابق لخمسة مسجونين سياسيين . اثنان منهم مريضين بالسل ، وثالث مريض بالقلب ، ورابع مريض بالكلى وأنا ! ومنعوا اتصال اى مسجون سياسى أو غير سياسى بى . وأحضروا لى حارسا من أشد حراس السجن ، ويسمونه « قفل » لأنه لا يتفاهم مع أحد ، ولا يقبل مناقشة ،وهودكتاتور صغير يجد لذة فى أن يستبد بنا . ولكنى أحاول الا اصطدم به . ان الطبيب صرح لى بالمشى ساعة . ويحدث بعد ربع ساعة من ابتداء الفسحة أن يعلن الشاويش انتهاء الفسحة ، فلا أعترض ، وأطيعه طاعة عميــاء ، وأجد لذة فى الخضوع لاستبداده . ان الطغاة الصغار ضعفاء فى داخلهم ، هم ديكور من الخارج وأصفار من الداخل . لا يتحملون ضربة واحدة . يخيفون الناس وهم أشد منهم رعبا . يسعدهم أن يضعوا أقدامهم فوق رقاب المظلومين فترتفع قامتهم . لقد رأيت فى خارج السجن كبراء ووزراء من أمثال هذا الشاويش . وهم فقاعات هوائيــة الاصطدام بها يزيدها طغيانا ، ويفيدها عند الطغاة الكبار . هذا الشاويش وأمثاله يجب أن نتركهم للزمن حتى يدوسهم بالأقدام !

لقد جاء شعراوى جمعة وزير الداخلية لزيارتى فى الزنزانة ، وسألنى اذا كنت أريد شيئا فقلت « متشكر » وسألنى اذا كنت أشكو من شىء فقلت « متشكر » وعاد يكرر السؤال وعدت أقول متشكر ! ودهش الضباط اننى لم أطلب تحسين المعاملة . لم أطلب معاملتى معاملة القتلة واللصوص والسفاكين . والواقع أننى شعرت بأن شعراوى جمعة لا يملك أن يفعل لى شيئا ! اننى لا أريد أن أعطيه لذة الرفض ، أو أعطيه متعة اننى أطلب منه أو أرجوه !

وكنت بعيد النظر ، فقد ظهر أنه جاء الى زنزانتى ، لا ليسأل عن صحتى . وانما ليفتش عليها ، وليعرف هل أعيش فى ترف ، ثم وجد بنفسه أنه لا يوجــد شىء مخالف ، واكتفى بأن طلب التشديد فى المعــاملة .

ثم حدث ان أحد الحشاشين ابلغ المسئولين أن هناك مؤامرة لاختطافى من السجن ، وفوجئت بتشديد الحراسة على ، وبمدير الليمان يدخل زنزانتى فى الساعة الواحدة صباحا ، ليتأكد أن قضبان

الحديد فى زنزانتي سليمة ولم انشرها بمنشار ! وفوجئت بحالة ذعر فى الليمان ، فى كل خطوة اخطوها ، وقد ضحكت كثيرا من هذه الأوهام . ولابد أن هذه العاصفة سوف تهدأ بعد فترة من الوقت ».

ولكن هذه الاكذوبة احدثت اثرها . فوجئت بعد ايام بأن زميلى المسجون عيد عبيد وهو ابن شيخ قبيلة كبيرة فى سيناء ، ومحكوم عليه بالسجن المؤبد فى قضية مخدرات . فوجئت به يقول لى انه وضع خطة كاملة لتهريبى من السجن . وان اشاعة خطفى ، وتشديد الحراسة على ، هى الفرصة الذهبية لتنفيذ خطة الهروب.

وفوجئت به يقدم لى خطة متكاملة ، بالخرائط والرسوم ، وبعدد السيارات التى سوف تشترك فى عملية الهروب ، وكيف أعد مفتاحا لفتح ابواب زنزانتي وزنزانته ، وفتح باب العنبر ، وفتح باب السجن ، والسيارة التى سنهرب بها الى المعادى ، والطريق الذى سوف نسلكه الى البحر الأحمر ، وكيف سنعبر البحر ، والمكان الذى سنختبىء فيه فى سيناء . ثم كيف يمكن بعد ذلك الهروب الى اى بلد اسلامى أو أوربى يقبلنا كلاجئين .

درست الخطة فوجدتها خطة رائعة . ولكن أذهلتنى دقة التفاصيل ، وأنه لم يترك أى شيء للصدفة . .

وقال لى ان الخطة تتكلف حوالى خمسين الف جنيه .

قلت له : اننى لا أملك مليما واحدا .

قال : انا واصدقائى سندفع هذا المبلغ ولن تدفع قرشا !

قلت : وماذا يجعلك تقوم بكل هذه المخاطرة وكل هذه التضحية ؟

قال : ايمانى بأنك مظلوم .

قلت له : ان الخروج من السجن لا يهمنى ، وانما الذى يهمنى هو اثبات براءتى . لو هربت من السجن فاننى بذلك سأؤكد التهمة الظالمة التى يعلم الله أننى برىء منها . ان الذى يهمنى أن يقتنع الذين ظلمونى بأنهم ظلمونى . السجن نفسه لا يؤثر فى ، وانما

الذي يؤثر في هو الظلم . هو أن أقدم هذه الخدمات الضخمة لبلدي طوال عمري ، ثم ينتهي بي الأمر الى ان تلصق بي هذه التهمة الظالمة . عزائي اليوم أن الأغلبية العظمى تعلم أنني بريء ، وكل ما أتمناه هو ان يعرف هذه الحقيقة الذين خدعوا بالتلفيق والأكاذيب ضـــدي .

قال لي شيخ العرب عيد عبيد : ان هروبك سيمكنك من الدفاع عن نفسك واثبات براءتك .

قلت : انني اطمع في أن اثبت براءتي وأنا مسجون .

وكان الصديق عيد متحمسا لتنفيذ الخطة . وقد عرض الفكرة على بعض اخوانه واعوانه خارج السجن فتحمسوا لها .. بل ان بعض الذين يعملون في داخل السجن أبدوا استعدادهم للاشتراك في الخطة ..

واغرب ما حدث أن الدولة هي التي أوحت لهم فكرة تهريبي ، فلولا الاحتياطات التي اتخذت لمنع خطفي من السجن ، لمـــا خطر ببال أحد ان يفكر في تدبير عملية الهرب .. وأعجب من هذا أن بعض الذين كلفتهم الدولة بالتشديد في مراقبتي ، كان أول من اقترح على عيد عبيد فكرة تهريبي .. وكان حماس عيد لي لاعتقاده أنه مظلوم ، وأن قبيلته أدت الى مصر في سيناء خدمات وطنية كبيرة ، وأنه جزاء هذه الخدمات لفقت له قضية تهريب مخدرات .

قال عيد : اذن سأهرب وحدي .

واقنعت عيد بأن يعدل هو الآخر عن الهرب ، ويحاول أن يثبت براءته من داخل الزنزانة ، وبدأنا معا نعد خطة اقناع المسئولين ببراءته ونحن داخل الأسوار !

وهكذا ترين أن الأزمات لا تجعلنا نركع على ركبنا . انها على العكس تزيد رغبتنا في التحدي والانتفاض . انني أستقبل الأزمات والمحن بابتسامة ، وما دامت هذه الابتسامة على شفتي فانني قادر على أن أحتمل اضعاف اضعاف ما انا فيه .

كنت اتصور أن الذين وضعونى فى السجن اكتفوا بالظلم الذى ادى الى دخولى السجن . ولكن يبدو انهم لا يكتفون بذلك . أيديهم تمتد الى داخل الزنزانة تحاول أن تضيق على الخنـــاق . كنت اذهب يوميا الى مستشفى السجن لعمل تحليل للسكر ، ولعمل اشعة على العمود الفقرى ، وصدر أمر بالا اذهب الى المستشفى ، وان يجىء ممرض الى زنزانتى لتسلم البول ، وحمله الى المستشفى . وصدر أمر بالغاء العلاج بالاشعة . كل مسجون فى السجن من حقه ان يتكلم مع مسجون آخر ، ولكنى الوحيد الممنوع بأمر وزير الداخلية من ان اتحدث الى اى مسجون فى الليمان . وهذا هو الذى يجعلنى أجد لذة فى تحطيم أوامر الوزير ، واللف حول تعليماته ، والسخرية بقراراته . آه لو علموا أنه لولا تعنتهم فى التنكيل بى ، لمـــا تفننت فى الهـــزء بهم ومخالفة قراراتهم الالهيـــة ! وهم يتصورون أنهم يقتلوننى باغلاق باب الزنزانة ٢٣ ساعة كل ٢٤ ساعة .

آه لو علموا أننى أنتهز هذه الساعات التى أنفرد فيها بنفسى ، لاقرأ ما منعونى من قراءته ، واكتب ما لا يتصورون أننى أكتبه . لولا الظلم والقهر والالم والضغط والارهاب لمـــا كتبت أحسن ما كتبت فى حياتى !

معتقل سياسي عمره ١٤ سنة!

سجن ليمان طره

٤ يناير سنة ١٩٦٧

عزيزتي ..

رأيت سطور خطابك مليئة بالأسى ، لأنك رأيتني يوم الزيارة أرتجف من البرد . خطابك ملأني بالدفء . حرارته أشبه بجهاز تدفئة في زنزانتي المثلجة ! جسمي كان يرتجف من الخارج . أما روحي فهي مليئة بحرارة الايمان . دمي يتجمد من برد السجن ، ولا يلبث أن يذوب ويسيل ، بفضل ما أشعر به من حب .. الشمس تشرق في بلاد القطب الشمالي مرة كل ستة أشهر . وأنا أرى الشمس مرة كل شهر عندما يزورني الذين احبهم . اراهم ، المسهم، اتحدث اليهم . انا أحسن حظا من سكان القطب الشمالي !

عندما ارتعش من البرد في الليمان القارص ، احاول أن أدفئ نفسي بالخيال والأفكار . أقول مثلا أخي علي يقيم في لندن الآن ، والبرد هناك لا يحتمل ، ولما كنا توأمين فيجب أن أشاركه البرد الذي يحس به وهو يمشي في شوارع لندن التي يغطيها الجليد . صحيح أن الجليد في شوارع انجلترا ، والثلج في فراشي في الزنزانة، ولكن يمكن التجاوز عن عدم تطابق هذا التشبيه في سبيل أن أحس ببعض الدفء ! عندما يتضاعف احساسي بالبرد أصبر نفسي بأننا الآن في شهر يناير ، ولم يبق من شهور البرد سوى شهر واحد وهو شهر فبراير وينتهي البرد ، ويبدأ الربيع . صحيح انني اغالط نفسي في الحساب فنحن لا نزال في أول يناير ، والربيع لا يجيء الا في الأسبوع الأخير من مارس ، ومعنى هذا أن المسألة هي ثلاثة شهور من البرد لا شهر واحد ، ولكن أحس وأنا ارتعش من البرد

داخل الزنزانة القاسية أن مصلحتى أن ألغى منطق الأرقام لأوهم نفسى بأننى فى طريقى الى الدفء أصبت فى المدة الأخيرة ببرد شديد ، وكان صوت سعالى يشبه زئير الأسد فى أول أفلام شركة مترو جولدوين .

وحدث أن كنت اشعل عود كبريت ، وعلى الرغم من انه مكتوب على العلبة « شركة النيل للكبريت . كبريت أمان » فقد انفجر عود الكبريت فى عينى ، ولكن الحمد لله لم تصب عينى ، وانما أصيب جفن عينى . وبالاضافة الى الجروح التى فى أصبعى وفى جبهتى ، وفى ذراعى أصبحت اشبه بمشوهى الحرب ، فاذا أضيف الى ذلك مرض السكر والنقرس والضغط والروماتيزم والعمود الفقرى فقد أصبحت أشبه بمستشفى عام !

اننى أقاوم كل هذه الامراض ضاحكا ، ساخرا من نفسى ، فأنا اكره الشكوى ، ولا أحب أن أذهب الى الأطباء ، وقبل دخول السجن كان الأطباء هم الذين يجرون ورائى ، ولم اكن أنا الذى أجـــرى وراءهم ، ومازلت أتبع هذه العادة ، ويظهر اننى ورثتها عن أجدادى من بقايا عصور الجاهلية ، وأنا أعلم أن وزير الداخلية لا يريد أن أذهب الى الأطباء فى مستشفى السجن ، خشية أن أعلم منهم مايجرى فى البلد . والمسكين لا يعرف أننى أعرف كل ما يجرى فى البلد وأنا جالس فى زنزانتى لا أتحرك . وحتى اذا أمكن منع الرسائل التى تهرب لى فسوف أعرف ما يجرى فى البلد . يكفى أن أحملق فى وجوه المسجونين السياسيين الذين يزيدون كل يوم لأعرف حقيقة ما يحدث فى مصر ! ان معتقـــل طـــره امتـــلأ بالمسجونـــين السياســـيين والمعتقلين السياسيين ، ولم يعد فيه موضع لقدم . رجال من كل نوع . نشاط معاد . وفديون . اخوان . شيوعيون . يمينيون ، يساريون ، أساتذة جامعة . طلبة جامعة . أطبـــاء . مدرسون ، علماء . عمال . ان البعض يقول أن المسجونين السياسيين والمعتقلين وصلوا الى مائة ألف ، وأنا أقدرهم بأكثر من خمسين ألفا . ذات يوم رأى بعض كبار المحامين المعتقلين ولدا فى داخل المعتقل يبلغ من العمر ١٤ سنة ، وتصوروا أنه ابن أحد الضباط ، ولكنهم لاحظوه موجودا فى المعتقل فى الأيام التالية . وتقدموا منه بدافع من الفضول وسألوه :

— من أنت ؟

قال الولد : معتقل سياسى !

سأله المحامون فى ذهول : انت معتقل سياسى ؟

قال : نعم .

فسألوه : وكم عمرك ؟

قال : ١٤ سـنة !

قالوا فى دهشة : معتقل سياسى وعمرك ١٤ سنة .

قال الولد ببساطة : نعم .. وهذه هى المرة الثانية التى اعتقلونى فيها ! وقد مضى على فى المعتقل الآن ثلاث سنوات !

وقص عليهم الولد ، انه فى المرة الأولى كان عمره ٤ سنوات ، وكان يقيم مع أسرته فى حى شبرا ، وكان ذلك فى سنة ١٩٥٤ ، وجاءت الشرطة العسكرية تقبض على شقيقه وكان من الاخوان المسلمين ، ولم تجد الشقيق ، فقد هرب الى الصعيد . فما كان من ضابط الشرطة الا أن قبض على الطفل البالغ من العمر ٤ سنوات ، واودعه فى قسم الشرطة ، وقال انه سيفرج عنه عندما يظهر شقيقه الهارب . وبقى الطفل فى القسم يلاعبه الجنود والضباط شهرا كاملا الى أن عرف الشقيق الهارب ما يحدث لشقيقه الصغير ، فتقدم الى القسم وسلم نفسه ، وعندئذ فقط افرجوا عن الطفل وعاد الى أهله .

وفى سنة ١٩٦٥ صدر قرار جمهورى بالقبض على جميع الاخوان الذين اعتقلوا سنة ١٩٥٤ .. وكان الطفل قد كبر وأصبح عمره ١٤ سنة .. وجاءت الشرطة وقبضت عليه من جديد وأودعته المعتقل !

وصمم اساتذة الجامعة المعتقلون على أن يعلموا هذا الولد الصغير ، فكانوا يتناوبون على التدريس له ، حتى نال شهادة الاعدادية بتفوق .

وكتب الأساتذة مذكرات الى ولاة الأمور بامضاء الولد يتظلمون من قرار اعادة اعتقاله ، ويروون ما حدث .. ولكن أحدا لم يقرأ ولم يهتم أن يقرأ .. لأن كل الذين فى المعتقلات والسجون مظلومون !!

شعرت بسعادة لا حد لها عندما قرأت اعلانات فيلم معبودة الجماهير ، وعرفت انهم أفرجوا أخيرا عن قصتى ، بعد ان سجنوها أكثر من عامين ، واشترطوا لعرضها أن يحذف اسمى من الفيلم كمؤلف الرواية . ان ولاة الأمور سذج حقيقة . ان قصتى نشرت مسلسلة فى مجلة المصور ، ونشرت بعد ذلك فى كتاب طبعته دار الهلال ونفدت طبعته فى أيام . والناس كلها تعرف أننى مؤلف القصة . وكل من يتفرج على الفيلم سيذكر أننى انا المؤلف . ان حذف اسمى هو اعلان عنى . لا أصدق أن فراعنة أقوياء لهم النفوذ والسلطان والهيل والهيلمان يخافون من مسجون مقيد فى الأغلال فى زنزانة ! انهم يخشون أن الناس سوف تذكرنى ، وهم يريدون أن ينسانى الناس ، وكلما تصرفوا هذه التصرفات الصبيانية سوف يتذكرنى الناس أكثر ! اشعر بهناء عندما يضربونى كل يوم . لأن هذا دليل على أننى لازلت على قيد الحياة ..

وانا زاهد فى ذكر اسمى . كان اسمى يظهر فى الصفحات الأولى من صحف الشرق الأوسط منذ أكثر من ثلاثين سنة . وكثيرا ما كنت لا أوقع ما اكتب . أو أخترع امضاء أوقع به على ما اكتب . انا لا يهمنى أن يظهر ما اكتب تحت اسمى . كل ما يهمنى أن ينشر ما أكتب . هذه أكبر متعة أشعر بها . عندما كنت فى السادسة عشرة من عمرى كنت اشعر بسعادة لا حد لها عندما كان الناس يقرأون ما اكتب بلا امضاء ويؤكدون أن الكاتب هو التابعى او فكرى أباظة أو عبد العزيز البشرى . لقد مكثت من عام ١٩٢٨ الى عام ١٩٣٨ أكتب بلا امضاء . الذى يحدث اليوم أننى عدت الى أيام طفولتى . أصبحت اشعر بنفس السعادة ونفس النشوة . وفى لحظة شقاوة تمنيت أن تصدر الحكومة أمرا للنقاد بأن يشتموا القصة ويهاجموها ، وبذلك يزداد الاقبال عليها !

انهم يقولون لى ان ايمانى الراسخ ، وضحكى الدائم يضايقان بعض ولاة الأمور وانهم يقولون « ما دام لا يزال يضحك فليبق

يضحك فى الليمان » ! اى المفروض أن ابكي لأستحق العطف . الراكعون على ركبهم لا يخيفون احدا ، وهم يقولون أن ارتفاع باب الخروج من السجن « واطى » فيجب أن أحنى رأسي حتى اخرج ! ولا أعرف ماذا افعل .. ان الله خلقنى طويلا ، ولو ركعت على قدمى فسابقى اطول من المطلوب . المطلوب أقزام . أو رجال يزحفون على بطونهم . او رجال بلا عمود فقرى .. كل هذه الشروط غير متوفرة . ولهذا أعتقد ان سجنى سيطول ، فاما أن يطيلوا ارتفاع الباب ، واما أن يقطعوا راسى لتستطيع قامتى أن تخرج من باب السجن !

وعلى كل حال انا مؤمن بأن الله معنا ، وأنه لن يتخلى عنا ، وأنا أعرف أن هذا الايمان الغريب يضايق الذين يريدون أن « يؤدبونى ». ولكن هذا الايمان يمتزج بـدمى . اننى أتصور انهم اذا وضعونى على المشنقة ولفوا الحبل حول رقبتى فسوف أقول : انا متفائل !

انا لا احسب عمرى بالسنوات التي أعيشها . اننى أعتبر أن التاريخ كله هو عمرى . حياتى كانت أطول من اللازم وأعرض من اللازم . الأعمال التى قمت بها أكثر من عمري . العواصف التى تعرضت لها ، واتعرض لها الآن ، وسوف أتعرض لها فى المستقبل لا تخيفنى . لا تشقينى بل تسعدنى . انها تؤكد أننى مازلت حيا ، واننى لم أنته بعد . لو كنت انتهيت لمـا هبت هـذه العواصف والزوابع . انا اشكر العواصف ولا الومها . أرحب بها ولا أهرب منهـا .

صوت العواصف فى اذنى اشبه بالطبول تعلن قدوم موكب الحرية!

أخشى على بلادي من الهزيمة!

سجن ليمان طره

٣٠ يناير سنة ١٩٦٧

اخي العزيز ..

لم أكتب لك منذ وقت طويل . آخر خطاب كتبته لك منذ حوالى العام . فى كل لحظة اشعر بأن أصابعى تأكلنى ، لتكتب اليك كل يوم خطابا . ما باليد حيلة . تعليمات وزير الداخلية الا اكتب لك . ولهذا فسوف احاول أن أهرب لك هذا الخطاب . شاء القدر أن يفترق التوأمان اللذان لم يفترقا أبدا . جمعنا الله فى بطن أمنا وعندما خرجنا من بطن أمنا كانت الدنيا بالنسبة لنا هى بطن أمنا . بقينا خمسين سنة ملتصقين أشبه بتوأمى سيام . ثم جاءت هذه العملية الجراحية لتفصل بيننا . عندما أجريت عملية مماثلة للتوأمين الملتصقين مات الاثنان على الأثر . شاء الله أن نعيش . ولعل الله يرتب لنا فى المستقبل أن ينهى هذه المحنة ونلتصق من جديد . فى بعض الأحيان أتصور أننى أحلم . غير معقول أنه مضى على فى السجن سنة ونصف . وأنه بعد ثلاثة شهور سيكون قد مضى على فراقنا عامان كاملان ! قرأت عن اللامعقول . كنت أسخر من قراءاتى . ولكن شاء القدر أن أعيش فيه . أهم ما يهمك هو حالتى النفسية . الواقع أنها عالية جدا . أكثر مما تتصور . اذا كان الحاضر ضدى فالمستقبل معنا . التاريخ سوف ينصفنا .

كنت أعيش قلقا على بلادى . كنت أخاف عليها . كنت أعتقد أن أى شىء يصيبها سوف يصيبنى . ان أول رصاصة ستطلق عليها سوف تقتلنى وتقتلك . لأننا كنا نحارب فى الصف الأول دائما . من الطبيعى أن الذين يحاربون فى الصفوف الأولى هم الذين يقتلون

أولا . حينا برصاص العدو . وحينا برصاص الذين يحاربون في الصفوف الخلفية . ومع ذلك فعندما أصابتنى الرصاصة لم أحقد على أحد . سواء أصابتنى عن قصد او عن غير قصد . اننى أحببت بلادى واحببت كل من فيها، حتى الذين أصابونى برصاص دمدم !

كثيرا ما قلت للرئيس عبد الناصر اننى أخاف عليه من المعارك المتوالية . لا نكاد نخرج من معركة حتى ندخل معركة . كنت اقول له اعط البلد فرصة ليسترد أنفاسه قبل أن تدخله معركة جديدة . وكان يقول لى أنه يحب المعارك ، وعندما يلاحظ أن البلد هادىء ولا حركة فيه يفتعل معركة ليتحرك كل شيء .

وكنت أقول له أننا فى حاجة الى بضع سنوات لنبنى بلدنا من الداخل . لنرفع مستوى عمالنا وفلاحينا المطحونين المهزومين .. فكان يقول ضاحكا أن المعارك الخارجية الذ من المعارك الداخلية . الثانية نتائجها لا تظهر الا بعد عشرين سنة والأولى تظهر نتائجها فى اليوم التالى !

وكان عبد الناصر يتضايق أحيانا من اصرارى على أن ندرس كل خطوة قبل أن نخطوها ، فكان يسألنى : انت خايف ؟

وكنت اقول له : انا لست خائفا على نفسى أنا خائف على البلد .

ومع أننى فى السجن ،فاننى أعيش مع بلادى لحظة بلحظة .. كأننى لا ازال أشترك فى معاركها ، أتمنى لها النصر . اقلق عليها . أخشى عليها من الهزيمة . كل ما أشعر به هـو الأسف . اننى لا أستطيع أن أشارك فى معاركها ، لسبب خارج عن ارادتى . ان يدى مقيدتان بالسلاسل ، ولا تستطيعان أن تحملا مدفعا دفاعا عنهـا !

ومع ذلك فاننى أنتهز كل فرصة لأحذر من الخطوات الطائشة . أخشى على عبد الناصر من الذين يزينون له المغامرات ، وهم لايعرفون أن أعداءنا يتربصون بمصر ، وسوف ينتهزون أول فرصة لضربها . هذا الكلام قلته لهيكل فى كل مرة جاء لمقابلتى ليبلغه للرئيس . ولكن

هيكل هز كتفيه استخفافا . وهو يتصور اننا قادرون على أن نسحق اسرائيل والولايات المتحدة . ان الذى درس التاريخ يعلم أن ما اصاب هتلر وموسوليني كان نتيجة عدم حصولهما على معلومات حقيقية عن قوة أعدائهما . ان اتصالاتى طوال هذه السنين بالرئيس جعلتنى أعرف ان أجهزة معلوماته لا تقدم له الدقيقة ، وانما تقدم له مايسعده أن يقراه . فاذا اختار مثلا احد الاشخاص لمنصب كبير تنافست الأجهزة فى وصف الصدى الطيب لدى الرأى العام ، واذا غضب الرئيس على شخص ورفته من وظيفته انهالت التقارير على الرئيس تقول ان الشعب من الاسكندرية الى اسوان يلعن سنسفيل هذا الموظف المرتشى الجاهل الحقير !

حالتى الصحية جيدة . واجب السجين أن يحافظ على صحته باى ثمن . الويل له اذا مرض . مقاومة البرد كانت مسالة عويصة. كنت اتعرض للبرد فى شقتى بالزمالك وفيها تكييف ساخن وفوقى عشرات الألحفة والبطاطين.وزنزانتى اشبه بالثلاجة او الفريجدير. ومع أن البطاطين ليست كافية فقد تغلبت بقوة صمودى وايمانى على زمهرير الشتاء . ولم افهم معنى كلمة زمهرير عندما كنت فى الاتحاد السوفيتى ، أو عندما كنت فى انجلترا والولايات المتحدة . ولكنى عرفته جيدا وانا فى زنزانتى فى ليمان طره . أصبت بالبرد مرة واحدة ، من الغريب أن اصابتى كانت فى نفس موعد اصابتك بالبرد . من الطريف انه غير مسموح لنا بارتداء معاطف . ولا ارتداء بدل صوف . المسموح به ارتداء بدلة من الدمور الخفيف ، واخفى تحتها بول أوفر . فى الوقت نفسه أرى الحراس يرتدون بدلا من الصوف ومعاطف ثقيلة جدا ، ومع ذلك يرتعشون من البرد اكثر مما ارتعش ! تحديت البرد حتى الآن . هزمنى مرة واحدة . لم يبق من الشتاء القارص سوى شهر واحد . كلما تشرق الشمس فى الصباح اشعر بأننى أبتعد تدريجا عن الثلاجة . عندما كنت اشعر بقسوة البرد كنت أذكر زملائى المسجونين فى الطوابق الثلاثة التى تحتى ، وهم ينامون على الأسفلت وبعضهم اضطر أن يبيع البطانية ليشترى سجائر . وبعضهم اشعل النار فى البطانية ليتدفأ على حريقها . ومن الغريب أن فى السجن آلاف السراير . ولكنهـا موضوعة فى المخازن . بل أن بعضها كسروه ، ليصنعوا منه درابزين يحيط بحدائق السجن الفسيحة لتزين الحدائق . والنوم على السرير

فى السجن نعمة كبرى . لا يتمتع بـه الا المريض الذى على وشك الموت ! وفى كل اسبوع يجىء الطبيب ليكشف على المريض ويرى هل هو يستحق السرير الذى ينام عليه ! فاذا شعر الطبيب بأن المريض تحسن ، سحب منه السرير واعاده الى الأرض . وفى كل مرة يجىء فيها الطبيب ، كنت أخشى أن أكون شفيت من السكر والنقرس والعمود الفقرى والروماتيزم فأنام على الأرض . وهكذا ترى أن أمراضى كانت نعمة فى السجن وليست نقمة !

ومن الغريب أنه كان فى سجن مصر سرير لكل مسجون ، ثم حدث أن حطم بعض المسجونين سرايرهم . فصدر قرار بمنع السراير !! ومن القواعد الموجودة فى السجن أن النعمة تخص والنقمة تعم . فاذا أخطأ مسجون واحد من مئات المسجونين الذين يقيمون فى عنبر واحد ، عوقب مئات المسجونين بذنب المسجون الواحد .

وحدث مرة أن كنا اكثر من مائة نشهد مباراة الكرة فى التليفزيون، وارتفع صوت احد المسجونين ، وعقابا له اخرجنا الضابط جميعا من غرفة التليفزيون ، ولم نكمل مشاهدة المباراة !

لست أعرف كيف أشكرك على اطعمة السكر . انك فى الواقع انقذتنى اكون شاكرا لو كررت شهريا ارسال هذه المعلبات . لقد ارسل لى الأخ سعيد فريحه معلبات فراخ بالكسكسى . وأنا لم أذق الكسكسى طول حياتى ، واضطررت أن آكله وأمرى الى الله . اضطررت شهورا طويلة أن أعيش على السردين . ثم اختفى السردين فعشت على البيض المقلى واختفى البيض المقلى فعشت على الفول المدمس فى الصباح والظهر والعشاء !

من طبيعة السجن أن لا استقرار فيه . القلق هو الاستقرار . تعليمات اليوم تلغى غدا . وتعليمات الغد تلغى بعد غد . لقد حدث أن سمحوا لى بدخول طعام مرض السكر مرتين فى الشهر ، ثم الغوا هذا النظام . ثم أعادوه . ثم تقرر الا يدخل لى أى طعام . ثم تقرر الا يدخل لى سوى ثلاث معلبات مرتين كل شهر . وتصور مريضا يعيش على ست معلبات صغيرة فى الشهر ! ثم تغير النظام بعد أن احتج الأطباء . وقالوا ان معنى هذا القرار أن أموت من الجوع .

ثم قدم تقرير من أحد النصابين بأنني أعيش منعما فى السجن . وعلى الأثر صدر قرار بمنع أى طعام من ان يدخل لى فى السجن . ثم ظهر من تحقيق الشكوى أنها كاذبة فتقرر السماح لى بدخول بعض المعلبات ! وهكذا .. اننا كل يوم فى حال ولعل من نعمة الله أننى لا اشكو ابدا من الملل ، لانني اتوقع فى كل لحظة شيئا جديدا مختلفا. ومع ذلك فانني لم اشعر بالجوع ابدا . كنت اجد دائما يدا كريمة تمتد لى من وراء القضبان تحمل طعاما شهيا ! كانت السماء أحيانا تمطر كباب حاتى وسمكا وفراخا .. وطعمية !

اننى احمد الله على اننى احسن بكثير من ايامى الأولى . الفرق كبير بين النوم على الأسفلت والنوم على السرير . بين ايام كنت ادخن فيها نصف سيجارة ، وبين الآن وعندى ما يكفينى من السجائر بين ايام كنت لا اعرف اذا كنت ساجد ما آكله ام سأعيش طوال اليوم على الطوى ، وبين الآن وانا عندى معلبات كسكسى !

حاولت ان آكل طعام السجن فلم استطع . اكل السجن هو علقة يأكلها المسجون ثلاث مرات كل يوم . وقع فى يدى اليوم خطاب سرى أرسله كبير أطباء السجن الى مدير المصلحة يقول فيه « قضت التعليمات بأن يقدم للمسجونين خضروات طازجة . وفى الشهور الأخيرة لم تقدم سوى فروع الفجل . فنرجو الأمر بارسال خضروات حفظا لصحة المرضى ، وخاصة لضرورة وجود فيتامينات » .

تصور .. ان الوف المسجونين السياسيين وغير السياسيين مكثوا عدة شهور لا يأكلون الا فروع الفجل !!

أنظمة السجون فى حاجة إلى اعادة دراسة شاملة كاملة . من الأسف ان أكثر المثقفين فى مصر دخلوا السجون وخرجوا منها ، ولم يقدموا اية مقترحات لاصلاحها . فانا مثلا لا افهم لماذا يرفضون أن ينام المسجون على سرير ، أو على مرتبة . ولماذا لا يسمحون بدخول البطاطين ؟ او يسمحون ببيع البطاطين فى الكانتين ؟ ولا افهم لماذا يمنعون دخول الشاى . بينما الشاى المطبوخ يباع فى الكانتين ويقدم للمسجون باردا وبشكل ردىء ، بحيث يفضل المسجون أن يصنعه بنفسه ويشتريه من السوق السوداء . والفكرة من السجن

أن يتعلم المسجون كيف يحترم القانون ، والعكس هو الذى يحدث فهو يتعلم يوميا كيف يخالف القانون يخالف القانون ليجد غطاء . يخالف القـانون لياكل . يخالف القانون ليحصل على صسابونة ليستحم . يخالف القانون ليكتب خطابا . يخالف القـانون ليشرب فنجانا من الشاى . يخالف القانون ليضىء النور فى زنزانته .

كان من أكبر متاعبى أن النور ينطفىء فى الساعة التاسعة من مساء كل يوم . وأبقى فى فراشى مستيقظا فى الظلام الى ما بعد منتصف الليل وكنت أقع على وجهى فى طريقى الى جردل البول . ثم استعنت بشمعة ثم ظهر أن الشمعة ممنوعة .

وبعد مجهودات ومفاوضات ومباحثات وافق المدير على بقـاء النور فى زنزانتى طول الليل باعتبار أن زنزانتى ملحقة بالمستشفى ، كما جـاء فى الأمر الجمهورى ..

وهكذا أصبح لدى وقت أكبر للقراءة والكتابة . وحمدت الله على هذه النعمة . ولكن لا اكاد أحمد الله على نعمة حتى أفاجأ بأن هذه النعمة فى خطر . حدث اليوم أن استدعانى المأمور وقال أن وزير الداخلية تلقى تقريرا أننى أتلقى صحف العـالم ، وأن الاتجاه الى منع الصحف اطلاقا عنى . ونزل على الخبر كالصـاعقة . وأكتب اليك هذه السطور ولا أعرف ماذا سأفعل من غير صحف ، سأعود الى تهريب الصحف من جديد ،وسوف أعيش أيامى فى فزع خشية أن يضبطوا الجرائد والمجلات فى زنزانتى .

اننى أحيانا أتصور أن وزير الداخلية لا عمل له فى الحيـاة الا أن يتعقبنى داخل الزنزانة .

أن هنـاك تعليمات مشددة حول طريقة معاملتى بالذات . كل مرضى السكر فى المستشفى ما عداى . أنا لا أسير الا وخلفى شاويش وهو نظام متبع مع المحكوم عليهم بالاعـدام فقط . المسجونون العاديون تدخل لهم الأطعمة أما أنا فلا .

المسجونون تدخل لهم البطاطين . وأحضرت لى زينب بطاطين من البيت فمنعوا دخولها . عندما أذهب الى المحكمة فى قضية صحفية

مرفوعة على أخبار اليوم ، يضعونني في سيارة ، يتقدمها موتوسيكل ووراءها سيارة نجدة ، ثم سيارة فيها ضابط مباحث ومعه تليفون .

وعندما أصل الى المحكمة أجد في انتظاري تسعة ضباط . يسمح لكل مسجون يذهب الى المحكمة بأن يجلس مع اسرته ، يمنعون أسرتي وحدي من الحق الذي تتمتع به أسرة كل مسجون .

لا أعرف ما هو السبب في هذه « الامتيازات » . انهم يحيطونني بأهمية لا أستحقها .

لقد اعترف لي أحد كبار الضباط الذين كانوا في حراستي بانه في حيرة ان الأوامر أن يخفوني عن الناس ، حتى ينسوني ، ويتصوروا أنني مت .. وفي الوقت نفسه ينقلونني الى المحكمة في موكب ويخصص ٤٠ جنديا و٩ ضباط لاستقبالي في المحكمة .

الرواية لم تتم فصولا !

ليمـــان طره
٢٤ فبراير ســنة ١٩٦٧

يا عزيزتى ..

كنت أعارض فى حضور ابنتى رتيبة وابنتى صفية لتزورانى فى السجن . مضى على أكثر من عام وأنا أعارض فى حضورهما وانت تلحين وهما تلحان . كنت أشفق على الطفلتين الصغيرتين ان تريانى فى ملابس السجن . وكنت أشعر بوحشة شديدة لهما . وأقاوم خشية ان يؤثر هذا اللقــاء المؤلم على نفسيتهما . انا أرى البهدلة التى يتعرض لهـــا أولاد وأطفال المسجونين الذين يزورون آباءهم فى السجن . لا أريد أن أرى سجانا يدفعهما بيده . أو أن تشهدا ضابطا وهو يتوقح على أمامهما .

كنت لا أريد أن أزيد تعاستهما . كنت أخشى أى عذاب جديد أو اهانة تلحقهما . ان ذلك سوف يزيدنى عذابا لم يكن من أحلامى أن أرزق أولادا . كنت ارى الأطفال قيودا تمنع الحركة وانا اريد ان أعيش حرا . شـــعور الأبوة يولد الخوف والتردد . أحيانا يزداد حب الأب فيحوله الى جبـــان . كنت أحب ألا أفقد شجاعتى وجراتى كنت أرى أن حياتى فى الصحافة هى مغامرة كبرى ، لا يجوز أن أمشى فى النـــار وفى يدى طفل. كنت أشـــهد فى طفولتى الذين يذهبون الى المنـــافى والمشـــانق والسجون ، لا يخافون على أنفسهم . وانما يخـــافون على أطفالهم لا يبكون حياتهم وانمـــا يذرفون الدموع على الذين سيتركونهم وراءهم . أذكر حديثـــا جرى بين أم المصريين صفية زغلول فى ثورة ١٩١٩ مع احـــد الفدائيين القدامى ، فقد كان مكلفـــا بمهمة كبيرة ، وقبل أن يذهب الى المهمة جـــاء اليهـــا فى بيت الأمة يقبل يدهـــا ، وينـــال بركتهـــا . واذا بهـــا تسأله : هل لك أولاد ؟ فيقول : سبعة .

فتصيح أم المصريين : لا .. لن تذهب أنت . يجب أن نختار شابا ليس له أولاد !

يومها ارتعشت لما اسمع . وتصورت أن عدم وجود أطفال هو الفرق بين البطولة والجبن .

ولكن الأب الفدائى رفض أن يطيع أم المصريين ، وأصر على أن يؤدى بنفسه المهمة ، وذهب والقى القنبلة فى المكان المطلوب ، وقبض الانجليز عليه ، ونفذوا فى الفدائى حكم الاعدام ..

يومها أخذتنا أم المصريين معها ، وزرنا أرملة الفدائي وحولها أولادها السبعة ، فى بيتها البسيط المكون من غرفة واحدة فى شبرا .

وقالت صفية زغلول : سأكون أنا أب أولادكم السبعة .

لعل هذا الحديث ترك رواسب فى قلبى الطفل . عاشت هذه الرواسب معى تنبهنى الى أنه يجب الا انجب أطفالا . ولكن شاء القدر ان أنجب بنتين وأن أعرضهما لما كنت أخشاه على أبناء الاخرين وعشت أياما طويلة فى قلق . أرجو أن تتم زيارة البنات على خير ولا تترك فيهما أى عقد أو آلام . وكنت أخشى أن أضعف أمامهما بعد فراقنا الطويل وكنت أخاف أن تنهار البنتان أمامى . وهكذا أمضيت عدة ليال أفكر فى هذا العذاب المنتظر . وكنت أقول لنفسى انك أنت التى وضعتنى أمام هذا الأمر الواقع . ولكن الله سلم . كانت البنتان فى منتهى الشجاعة . ولاحظت عند نهاية اللقاء أن دموعا بدأت تترقرق فى العيون ، فأدرت ظهرى وأسرعت فى الخروج من الغرفة .

نسيت أن أقول لك أننى ذهبت الى المحكمة . وتنزهت فى شوارع العاصمة ، كان معنا أحد المسجونين ، أمرنا بأن نذهب لنأخذه من محكمة فى ميدان التحرير ، وهكذا مررت فى ميدان الأوبرا وشارع شامبليون . ولم نجد المسجون فى ميدان التحرير . وانتظرنا نصف ساعة . ثم قيل لنا انه فى محكمة روض الفرج . ومررنا على شارع الجلاء . وخفق قلبى وأنا أمر على دار أخبار اليوم ..

ورايت البناء الجديد لجريدة الاهرام . اسفت أن اخبار اليوم لم تنفذ مشروع البنــاء الضخم الجديد الذى اعددناه لهـا قبل تأميم الصحافة . واصطدمت سيارتنا بتاكسي بقرب المحطة واضطربت سيارات النجدة والحراسة . وتصوروا أن التاكسى جاء يخطفنى . وقبضوا على ســائق التاكسى المسكين . ووقفنـا بعض الوقت للتحقيق مع المجرم الاثيم سائق التاكسى ولسؤاله هل هو عضو فى العصابة التى ستخطفنى ! ووقفنا بعض الوقت والتف الناس حولنا . ثم استأنفنا السير الى محكمة روض الفرج ولم نجد المسجون . وعندما نمر من جديد على أخبار اليوم والاهرام واقرا الفاتحـة للصحافة المصرية !

وفى كل مرة كانوا يأخذونى الى المحكمة ، كنت اتمنى أن يمروا بى تحت النفق الجديد فى كوبرى قصر النيل . وكنت لا استطيع أن أطلب من الضابط أن يمر بى فى هــذا النفق حتى لا يتوهم أن العصابة المزعومة تنتظرنى هناك لتخطفنى . ولم احدث أحدا عن هذه الامنية طوال ذهابى الى المحكمة وعودتى منها . وفجاة وجـدت السائق ينحرف بنا ، ويمر تحت نفق كوبرى قصر النيل . وهكذا يحقق الله لى الأمانى الصغيرة ؟ اننى اعتقد أنه سيحقق لى الامانى الكبيرة . هكذا عودنى الله .

تحسن الجو فجاة . لا أعرف السبب . قال لى الدكتور كمال قاسم مدير القسم الطبى انه صرح لى بثلاث معلبـات لطعام السكر من كل نوع فى الاسبوع . اصبح مسموحا لى بأن اتحدث مع المسجونين العــاديين وغير مسموح التحدث مع المسجونين السياسيين . الغيت معاملتى كما يعــامل المحكوم عليه بالاعدام ، ولم يعد يمشى ورائى شــاويش يتابعنى كظلى . كنت قد فضلت أن أبقى فى زنزانتى ١٤ يوما ورفضت مغادرتهـا ، احتجاجا على القرار ، بألا أمشى فى ردهة السجن الا وحدى ، بعـد اخـلائه من جميع المسجونين . الجميع فى دهشـة من قوة اعصــابى . امســكى الخشب .

لم اتبين أننى بقيت مدة طويلة فى السجن الا عندما نظرت الى نعل حذائى . أن نعلى زوجى الأحذية اللذين عندى ذابا من كثرة

المشى . سوف أحاول أن أركب لهما نعلين جديدين هنا : اذا فشلت فسوف أطلب حذاءين سوداوين من المنزل ؟ وأن ترسلى الحذاءين لتركيب نعل كامل . لا نصف نعل فقط .

ان كل خطاب يصلنى منك ، أو من أصدقائى ، وأحبائى ، وتلاميذى هو أشبه بقصيدة حب . ليس فيهما قواف ولا موازين . ولكن فيهما عاطفة هى موسيقى الشعراء . أنا عندما أقرأ خطاباتكم أقرأها عدة مرات . كل مرة أجد أنها أشبه بخطاب جديد .

اننى لست فى حاجة الى كلمات كثيرة لأعرف مشاعركم . كلمة واحدة بها من حرارة الحب ما يغنى عن خطاب طويل . وعندما تتحدثون عن شوقكم أرى فى هذه الحروف القليلة قصة كبيرة فيها وصف الضنى والعذاب والشقاء والسهد والحرمان والقلق الذى تعيش فيه أسرة كل مسجون سياسى . خطاباتنا ليست أسلاكا تشدنا الى بعضنا . انما صور صغيرة للعناء الذى يعيش فيه الشعب . وعندما أطل على هذه الصور الصغيرة وأحدق فيها ، تكبر الكلمات ، وتنزف الحروف ، وتتداعى المعانى ، وتتحول الصورة الصامتة الى صورة بالألوان لكل ما يجرى فى البلد من مظالم . صور ملونة . صور تتكلم وتبكى وتصرخ وتنوح . والذى يجرى بيننا ليس خطابات . انه حوار . لا ينتهى أبداً . هى قصة هذا الشعب يكتبها الأحرار والعبيد فى وقت واحد . يشترك فيها المقيدون بالسلاسل الحقيقية ، والمقيدون بسلاسل الخوف وأصفاد الارهاب !

اننى اشعر أحيانا بأننى أشبه ببطل مسرحية .. وانطلقت رصاصة فى صدر بطل الرواية . وسقط على الأرض مضرجا بدمائه . ثم انسدل الستار . وتصور بطل الرواية أن المسرحية انتهت . ولكن الجمهور بقى جالسا فى كراسيه ، لأنه واثق من أن الرواية لم تنته ، ولابد أن يفتح الستار من جديد ..

وسيفتح الستار من جديد ..

ان روايتى لم تتم فصولا !

رسالة سرية من اسحق صدقي !

سجن ليمان طره

اول مارس سنة ١٩٦٧

اخى العزيز

امضيت معك وقتا رائعا . تلقيت فى عيد ميلادنا خمسة خطابات منك فى يوم واحد . كانت هذه اعظم هدية فى عيد ميلادى . لم اتخيلها ولم أحلم بها . قرأت خطابين منها فى يوم عيد الميلاد . الخطابات الثلاثة الاخرى سلمت لى بعد اربعة أيام . لم أتضايق من التأخير . من وقت طويل جدا لم تصلنى خطابات منك . كانت الأكلة دسمة بحيث لا يمكن أن احتملها كلها فى يوم واحد . عندما سلموا لى الخطابات الثلاثة الأخيرة فكرت أن « أمزمز » بها . اى اقرأ فى كل يوم خطابا واحدا . لم استطع أن أقاوم جوعى الشديد لأخبارك . التهمتها كلها فى ليلة واحدة . هكذا أمضيت وقتا طويلا معك . مشيت الشوارع معك . اكلت معك . ضحكت معك . عشت فى برجك العاجى معك . ومما يؤسف له انى محروم من لذة الكتابة اليك باستمرار . أننا افترقنا من قبل . كنا نتكاتب بانتظام . عندما كنت أنا فى القاهرة وأنت فى الجامعة فى انجلترا كنت أجعلك تعيش حياتى ، وتجعلنى أعيش حياتك . كنت أصحبك الى الصحف والمجلات التى اعمل بها فى مصر ، وكنت تصحبنى الى الصحف التى تتردد عليها فى انجلترا ، والى الجامعة والى اجتماعات حزب العمال . وعندما كنت أدرس فى أمريكا وأنت تدرس فى انجلترا أو تعمل فى مجلة آخر ساعة فى مصر كنا نتكاتب كاننا نؤلف كتبا . وكانت كارثة الكوارث أن نتأخر فى كتابة الخطابات بسبب انشغالنا فى امتحانات الجامعة . أما الآن فقد مضى علينا حوالى العامين فى هذا الفراق المرير . لم نستطع أن نتبادل سوى بضعة سطور . عزاؤنا أن رابطة التوائم تجعلنا لسنا

فى حاجة الى خطابات لنسمع دقات قلوبنـــا . هـــذه الدقات اشبه بدقات تلغراف مورس الذى ينقل الحروف والكلمـــات .

وهكذا نتبـــادل يوميـــا عدة خطابات روحية .

دهشت لانك تسالنى فى خطابك هل اعجبتنى معلبـــات طعام مرض السكر ؟ كتبت عدة مرات لزينب ابدى اعجابى بهـــاوشكرى عليهـــا ، واطالب بالمزيد منهـــا لو كانت هذه المعلبات موجودة منذ اول الأمر لوفرت على كثيرا من العذاب والجوع والفول اما طعامك الصحى فهو شىء آخر . انك عرفت ما انا فى حاجة اليه بالضبط . اخترت الحجم الصغير الذى اتمناه . وانا الآن أوفر فى هذا الطعام . فلا آكله بانتظام . حتى لا يجىء وقت تفرغ فيه فجاة ولهذا ابدل واغير فى الطعـــام. مرة سردين . ومرة فول مدمس . ومرة طعمية . ومرة بيض . وانا افطر فى الصباح البيض باستمرار يصرفون لى ثلاث مرات فى الاسبوع خمس بيضات . وذلك لاننى مريض بالسكر ومقرر للمريض بالسكر فراخ . وحيث أن الفرخة غير موجودة فيصرفون لى خمس بيضـــات بدلا من الفرخة . بحكم أن الكتكوت يخرج من البيضة . .

وعندما احتاج الى بيض اشترى البيضة بسيجارة بلمونت . البلمونت هى العملة الصعبة المعترف بهـــا فى السجن . أنت تغسل الهدوم بالسجائر وتكوى الملابس بالسجائر ، وتدفع أجرة تنظيف الزنزانة بالسجائر ، وتفتح باب الزنزانة فى غير المواعيد المقررة بالسجائر ايضـا . ومن المؤلم انك تجد بعض المسجونين المرضى يبيعون طعامهم مقـــابل سيجارة . يفضل الواحـــد منهم أن يحـــرم نفسه من رغيف الخبز فى مقـــابل سيجارة بلمونت . .

قبل دخولى السجن كنت اشرب الشـــاى كل صباح . بعـــد دخولى السجن امتنعت عن شرب الشـاى . لم اشرب فنجانا واحـــدا لأن الشاى ممنوع . واذا ضبط الشـــاى عند مسجون وضعوه فى « جبْ » التاديب . وانا افضل ان اذهب الى التاديب من أجل خطاب اكتبه أو مقال اكتبه . لا من أجل فنجان شـاى !

انا استيقظ فى الصباح عند صلاة الفجر . أشهد شروق الشمس. اتخيل انه سيجيء يوم تشرق فيه شمس الحرية على مصر كلهـــا . يومها سينتهى الظلام . سينتهى الخوف . لن يتكلم الناس وهم يهمسون . لن يلتفتوا حولهم قبل أن ينطقوا كلمة . سيعود الناس يطمئنون الى بعضهم البعض . ستعود الثقة بين النـــاس . سيعود للقـــانون احترامه . لن تبقى البنـــادق موجهة الى صدور الشعب بل ستوجه الى العدو كل مرة تشرق الشمس تقول لى ان الحرية قادمة فى الطريق .

اننى أستمع الى الاذاعة من سماعة معلقة الى جانب زنزانتى. صوتها مزعج ترتطم الانغـــام بالقضبان فتحول صوت المطربة نجاة الهامس الى صوت يشبه الرعد ، استمع الى القرآن وأحاديث دينيـــة ، وعناوين الصحف ونشرة الأخبار . أحيـــانا السجان المكلف بالراديو لا تعجبه عنـــاوين الصحف ، فيغلق الاذاعة واحرم من سماع هذه العنـــاوين ، او نشرات الأخبـــار ، احيانا تأخذ السجان نومة فينسى ان يفتح الاذاعة فلا نسمع القرآن .

عندى فى غرفتى تواليت عبارة عن قصرية خاصة بالمستشفيات. وذلك أن دورة المياه موجودة فى الطابق الأرضى وزنزانتى فى الطابق الرابع ومريض السكر يذهب كثيرا الى دورة المياه . وغير معقول ان انزل اربعة طوابق ، ثم اصعدها كلمـــا اردت أن أذهب الى دورة الميـــاه . غير مصرح أن أبقى فى زنزانتى اية اطعمة أو معلبات كل معلبـــاتى موجودة فى مخزن . يحدث أحيـــانا ان أنسى قبل أن اغلق الزنزانة اننى محتاج لكبريت أو محتاج لسجائر ، وعندئذ أقع فى حيص بيص ..

رتبت حياتى هنـــا . كيفت نفسى على ظروف السجن . أصبحت الأشياء الصغيرة تسعدنى . أشياء كانت تبدو لنـــا تافهة فى عالم الحرية . وجود السيجارة التى أدخنها يسعدنى .

وجود ما آكله اليوم يسعدنى . وصول خطاب يجعلنى أســـعد رجل فى العـــالم . فى كل يوم انتظر شيئا . انتظر خطابا . انتظر

تهريب خطاب الى خارج السجن . انتظر تهريب طعام الى داخل السجن . انتظر وصول لفة فيهـــا صحف ومجلات . انتظر رسالة فيهـــا اخبار عما يجرى فى البلد . وهكذا يطير اليوم فى الانتظار واللهفة ، والتوقع والترقب . كأننى اتمنى كل لحظة أغنية أم كلثوم « انا فى انتظارك » . فلا اشعر بالملل . لا احس بالضيق . ولا العن الزمن . ولا اتعجل الاحداث . .

أننى اتابع الأخبار ، التقطها . اجمعها . اناقشها. اعلق عليها. احاول ان اعرف أخبار الغد من ثنايا أخبار الأمس . اشعر بأننى ما زلت فى مكتبى بأخبار اليوم . لا تزال الأنباء تجىء لى من كل مكان . من أصدقائى من تلاميذى من الصحف والاذاعة . من افواه الناس . لا اظن أننى فى عزلتى اكثر جهلا بأحداث بلادى من الذين يعيشون فى عواصم الأخبار . كثير من التنبؤات التى أحدث بهـــا نفسي أو زملائى المسجونين السياسيين تحدث فعلاً بعد اسبوع او اسبوعين . اشعر بسعادة عندما أجد أننى ما زلت أستطيع أن استنتج الأحداث قبل وقوعها . واننى لم افقد فى السجن ملكة التمييز السياسى أو التفكير الدولى .

ولكنى اتمنى أن أكون هذه المزة مخطئا فى تقديرى وفى نبوءاتي . اننى أشم رائحة كارثة فى طريقها الي بلدنا . كارثة سياســـية او كارثة عسكرية أو كارثة اقتصـــادية لا أعرف . المهم ان بوصلة الأحداث تشير الى هذا . لا اعرف هل ولاة الأمور عندنا يشعرون بها ، أو يتنبهون اليها ، او يستعدون لها ؟ جو الارهاب يجعـــل الشعب يفقد النطق ، ولكنه فى الوقت نفسه يجعل الحكام يفقدون الرؤيـــة !

انتصاراتهم الوهمية على ضحاياهم تعميهم عن الهزائم الحقيقية التى يعيشون فيها . الدولة التى تقوم على الخوف لا تستطيع أن تصمد ، وانما تستطيع أن تركع . من تتبع تعليقات الاذاعة وما تكتبه الصحف الاحظ أن الحكام مخمورون بالسلطان . خبرتى أن السلطان كالخمر القليل منها قد ينعش . والكثير منها يذهب بالعقل ! هل معنى هذا أننى وحدى الذى ارى الحقيقة لأننى لا أشرب الخمر . أم أن هناك غيرى يرى الذى أراه ، ويخاف أن ينطق بالحقيقة ، وينبه الى الكارثة المنتظرة خشية أن يجد نفسه معى فى ليمان طره!

ارجو ان اكون مخطئا هذه المرة فى تقديرى السياسى ، وأن يكون جو الزنزانة الكئيب هو الذى لون فكرى بهـذا اللون الأسـود القاتم المتشائم .

اننى اسمع صوت ام كلثوم باستمرار . عشرات الأغانى التى اسمعها لى معها قصص وذكريات ، أنا أسمع صوت أصدقائى فى الاذاعة . صوت جميـع تلامذة أخبار اليوم . أصواتهم اخترقت الجدران والأسوار ووصلت الى فى زنزانتى.أنا أسمع هذه الأصوات بطريقة تختلف عما يسمعه الناس . كل كلمة افهم معناها . ماذا وراءها . ماذا قال وماذا لم يقل !

استدعانى الدكتور عبد القادر اسماعيل كبير أطباء السجن ، وقال لى بجفاء : اخلع جاكتتك ..

وخلعتها ..

قال لى بجفاء أكثر : أرقد على سرير الكشف .

ورقدت فى ذهول ..

وأمسك سماعة الكشف ووضعها على صدرى ، ومال برأسه على وقال هامسا :

ـــ عندى رسالة لك ..

قلت هامسا : ممن ؟

قال : من أم كلثوم . أنها تقول لك أسمع حفلتها الليلة فى الراديو انها ستغنى أغنية الاطلال . فيها بيتان موجهان اليك ؟

قلت : ما هما البيتان ؟

قال : لا أعرف ! اننى قابلتها عند صديق لى ، وعندما عـرفت أننى طبيبك فى السجن كلفتنى أن أحمل لك هذه الرسالة السرية !

وعدت الى زنزانتى وانتظرت حتى جاءت حفلة ام كلثوم وبدأت أم كلثوم تغنى أغنية الاطلال ..

وفى اول الأمر لم اجد شيئاً !

ثم وجدت البيتين . .

اعطنى حريتى ! اطلق يديا

انني اعطيت . . ما استبقيت شيا

آه من قيدك ادمى معصمى

واحسست ان هذه الأبيات تمثل صورتى وافكارى

ولم تكن أم كلثوم فى حاجة الى رد . . لأن « الرد خالص » .

حارس الجنة.. فى الليمان!

سجن ليمان طـــره

١٨ مارس سنة ١٩٦٧

عزيزتى

خفتت الاصوات . ثم سكتت . اغلقت ابواب الزنزانات . ملأ زنزانتى الصغيرة صمت رهيب . الساعة حوالى الرابعة بعـــد الظهر . لن تفتح أبواب زنزانتى الا صباح اليوم التالى . أى بعد حوالى ١٦ ساعة . هذه فرصتى اليومية لاخلو بنفسى . الاذاعة سكتت هى الاخرى . لا اسمع الا دبيب اقدام الحارس يروح ويجىء أمام الزنازين . ثم أسمع صوت مسجون من الدور الأرضى يصيح « المسجون فلان وفلان وفلان وفـــلان سيدخلون جهنم السوداء وجهنم الحمراء » و « فلان وفلان وفلان سيدخلون الجنة » ! فى مثل هذه الساعة من كل يوم يعلن هذا المسجون قائمة بأسماء مسجونين سيدخلون الجنة ، ومسجونين سيدخلون النار . ويفـــرح الذين سيدخلون النعيم . ويحزن الذين سيدخلون الجحيم ! ومن الغريب ان هذا المسجون الذى جعل نفسه حارس الجنة يهودى اســـمه أورى محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ! والمسجون الذى يعطيه سيجارة يدخله الجنة ، والمسجون الذى لا يعطيه سيجارة يدخله النار . وهو ثمن زهيد جدا لدخول الجنة . ولكن فى السجن يرتفع ثمن السيجارة وتشح ، ويفضل البعض منهم أن يدلخوا جهنم ومعهم سيجارة !

ولم يفكر أحد المسجونين فى أن ينازع هذا المسجون اليهودى على لقب حارس الجنة ، وينتزع منه هذه التجارة . فقد سلموا أمرهم الى الله . ورضخوا لحكم هذا المسجون الذى استطاع بذكائه أن يقيم لنفسه تجارة رابحة بغير رأس مال !

ثم يبدأ صراخ المسجونين يطلبون من الحارس أن يضيء النور في الزنازين . بدأ الظلام يطل برأسه من القضبان . المسجونون يريدون ان يبدأوا في طهي طعامهم . لا أحد يرضى أن يأكل طعــام السجن البارد الذي لا طعم له . كل مسجون يحاول أن يجعل طعامه ساخنا ومستساغا ، الطعام يوزع على المسجونين عنــد الظهر . الجو البارد يحول الفول المدمس الساخن أو الفول النابت ، أو الكرات المطبوخ أو فروع الفجل الى شيء من الدنــدرمة أو الايس كريم مخلوطة بالتراب . ومن هنا يواجه كل مسجون بمشكلة النــار . النار ممنوعة . والطعام لا يمكن أن يؤكل باردا ، ويتمنى المسجون لو أن حارس جهنم أدخله الى النار فعلا حتى يستطيع أن يطهى طعامه أو يسخنه على لهيب النار . ولما كانت الحاجة أم الاختراع فقــد حول بعض المســاجين السياسيين المعلبــات الفارغة الى « وابور جاز » يسمونه « التوتو » يضيفون اليه بعض خيوط الغزل، ويسكبون فوقها قليلا من الغاز ، ثم يشعلون النار ، فاذا أمامهم فعلا وابور غاز أو بوتاجاز !! ولكن « التوتو » لا يحل مشكلتهم ، بل يبدأها .التوتو ممنوع . ومن يوم لآخر يهاجم الحراس الزنازين ، يصادرون كل « توتو » فيها ، أو كل علبة فارغة ممكن أن تتحول الى توتو . ويدوس الضابط بقدمه على التوتو حتى يتحطم تماما . ولا يكاد يخرج الضابط حتى يبدأ المسجون بصنع « توتو » جديد . والغاز يسرقه المسجونون من المطبخ . وللغاز بورصة مثل بورصة القطن أو بورصة الأوراق المالية وأسعار الغــاز ترتفع وتنخفض طبقا لنجاح المسجونين أو فشلهم في سرقة الغاز من المطبخ ! وعندما لا يجد المسجون أمامه « التوتو » يشعل الصحف . ولقد اشتغلت بالصحافة سنوات طويلة . والقيت محاضرات ودروسا كثيرة عن فوائد الصحافة . ولكني لم أعرف من قبل أن المسجون يفضــل الصحيفة ليحرقها على أن يقرأها . وهنا أزمة في ورق الصحف . ادارة السجن تسترد الآن الصحف بعد قراءتها من المسجونين لبيعها بالأقة . ويفعل بعض المسجونين شيئا غريبا عندما لا يجدون توتو . بعضهم يحرق البطــاطين التي يتغطى بهــا في البرد ويستعملهــا بدلا من وابور الغاز . يفضلون أن يناموا وفي بطونهم طعاما ساخن ويرتعشون من البرد ، على أن يتغطوا بالبطاطين ويشعرون بالدفء، وفي بطونهم طعام بارد . تستغرق مشكلة الطعام ساعات طويلة . من تفكير المسجون كل يوم : فماذا يأكل مشكلة . وكيف يطهى

طعامه مشكلة . وكيف يحصل على الغاز اللازم مشكلة . وكيف يخفي النار بحيث لا يتسرب الدخان من نافذة الزنزانة مشكلة المشاكل . وقد حللت لنفسي مشكلة الطعام ، وعودت نفسي على أن أتناول الطعام باردا . .

وبعد أن تسكت عملية الطهي ، وغسل الأطباق ، يسود السجن هدوء مميت ، وفجأة يخترق هذا الظلام صوت مسجون يصيح « عاوزين نروح يارب » ! ومع أنه صوت مسجون واحد ، الا أنه يرن في الاذن كأنه صوت كل مسجون . ان مئات المسجونين يرددون هذا النداء في سريرتهم . ولكن هذا الصوت وحده هو الذي ارتفع في السكون ليعبر عن مشاعرهم كلهم . ويعود الصمت والسكون . وفجاة يرتفع صوت آخر فيه لوعة وحسرة وأسى وانكسار ويقول « أولادي وحشوني قوى ! » تهتز أسوار السجن التي لا قلب لها لهذا الأنين . وتحس أن في كل قلب مأتما . ويعود الصمت رهيبا كئيبا . كأن كل من في السجن يشيع جنازة . يمشي وراء نعش . وكأنه هو داخل النعش . هو الميت والمشيعون معا . . !

ويرتفع صوت مسجون ينادي أحد الحراس الواقفين فوق الأسوار لينادي الحارس المسئول عن الاذاعة أن يفتح الراديو لنسمع القرآن . ويدوي صوت ميكرفون السجن بالقرآن الكريم . ويعود الى زنزانات السجن هدوء مريح . وآيات القرآن أشبه بمناديل تجفف الدموع من العيون ، وتمسح الدم من جراح الأرواح. تلاوة القرآن تترك في قلوبهم رهبة ومهابة وجلالا وهدوءا وراحة واطمئنانا . هي مكمدات توضع فوق جروحهم . مسكنات تخفف آلامهم . كثير من هؤلاء المسجونين لا يروا الله الا في السجن . . ولد ايمانهم الحقيقي في داخل الزنزانة . انهم لا يخادعون الله . انما يؤمنون بأن أحدا على الأرض لن يستطيع أن ينتزعهم مما هم فيه . يد واحدة هي التي تستطيع أن تفتح باب السجن . ليست يد القضاة ، ولا يد الحراس . وانما هي يد الله ، ومن هنا فانا أسمع اسم الله في داخل الليمان أكثر مما أسمعه في المسجد أو الكنيسة أو دور العبادة . الله هنا بلا علماء دين ولا قسس ولا وسطاء . بعض هؤلاء يسمعون القرآن ولا يفهمونه . ولكنهم يشعرون بأنهم يسمعون صوت الله . الخائفون منهم يطمئنون اليائسون يحلمون .

التعساء يرون شعاعا من النور في الظلام . انهم غرقى في بحر واسع لا ساحل له . ولكنهم يؤمنون بان هذه الآيات هي أطواق النجاة ، تحملهم الى شواطىء الامان . وقد لا تكون الشواطىء على الأرض ، وانما في السماء .

ومع ذلك فهي شواطىء على كل حال !

هناك مشكلة أخرى يواجهها المسجون هي مشكلة النوم . الوف المسجونين ينامون على الأرض . المريض هو المحظوظ الذى ينام فوق مرتبة ، والمريض جدا هو السعيد الذى ينام على سرير ومرتبة . عدد هؤلاء لا يتجاوز خمسة أو ستة اشخاص بين خمسة او ستة الاف مسجون ! هنا عدد قليل جدا يعد على أصابع اليد ينام على مرتبة فوق الاسفلت . عندما اشتد البرد في هذين اليومين جاءت قوة من الحرس الى العنبر الذى نقيم فيه ، سحبت المراتب من الذين ينامون فوق المراتب ، وتركتهم ينامون على الأسفلت . ثم جاء الممرض الى مستشفى العنبر الذى أقيم فيه وسحب المرتبة من تحت مريض التيفود ؛ وتركه نائما على السرير بغير مرتبة ! وهكذا أصبح الحديث في السجن كله عن المراتب . كأننا في أحد دواوين الحكومة حيث لا حديث بين الموظفين الا عن الدرجات والعلاوات . واصبحت مشكلة كل سجين كيف ينام في هذا البرد . كيف يجد بطانية يضعها تحته وبطانية يضعها فوقه . أو يضع البطانيتين فوقه وينام على الأسفلت ! من الغريب الا تثار هذه المشكلة الا عندما يشتد البرد القارص ، وبعد أن تحولت الزنزانات الى ثلاجات . وأغرب من هذا أن لدى ادارة السجن مراتب وسراير وبطاطين تكفى جميع المسجونين . ولكنها ملقاة في المخازن . بينما المسجونون ينامون على البلاط . وادارة السجن معذورة ، والأطباء معذورون ، فاللوائح والتعليمات تعتبر النوم على سرير حديد ترفا ما بعده ترف كالنوم في جناح ملكى في فندق شبرد أو هيلتون ! .

وعندما اشتد البرد منذ بضعة أسابيع جاءت قوة من الحرس وسحبت البطاطين الزائدة من المسجونين . وكان بعض المسجونين قد اشترى بطاطين زيادة ، بسعر علبة سجاير بلمونت للبطانية . وجمعوا البطاطين الزائدة ، ووضعت في المخزن ، ونام المسجونون

على الأسفلت وهم يرتعشون ... ثم بدأوا يبيعون البطاطين للمسجونين من جديد ! وكلما احتاج رئيس المرضين لمبلغ من المال طلب سحب البطاطين لتبدأ بعد ٢٤ ساعة عملية البيع والشراء !

ومن الطريف أن الأهرام والأخبار والجمهورية نشرت بالعناوين الكبيرة منذ شهور أن شعراوى جمعة وزير الداخلية زار ليمان طره وأمر بانه ابتداء من ذلك اليوم لن ينام مسجون واحد على الأرض . بل سينامون على سراير من الواح الخشب !

وصدق القراء الطيبون تصريح الوزير !

وقال لى أحد الضباط ساخرا :

ـ ستوزع البطاطين على المسجونين كما توزع الحريات على الشعب !

قلت : لست أفهم !

قال الضابط : الا يقال للشعب كل يوم أنك تتمتع بالحريات ولا يرى الشعب أى حرية .. هكذا يقول لكم الوزير سوف تتمتعون بسراير ، ولن تروا السراير !

وفعلا لم ير المسجونون السراير ! بل الذى حدث أنه فى اليوم التالى للتصريح الوزارى الخطير ، بدلا من أن توضع سراير الخشب، جاء الحراس وسحبوا البطاطين من المسجونين وناموا على الأسفلت !

وهكذا استمتعوا بالحريات !

المسجون هنا يدعو الله أن يصيبه بالمرض ليستريح من لعنة الأشغال الشاقة وكسر الأحجار فى الجبل ، أو ليجد مرتبة لينام عليها ، أو ليجد طعاما كافيا . أصبح بعض المسجونين يحاول أن يصاب بالسل ، وبعضهم يحاول أن يصاب بالجرب ، وآخرون يضعون أصابعهم تحت عجلات قطار السكة الحديد فى الجبل ، أو فى تروس بعض الآلات التى يعملون عليها ، ليعفوا من العمل الشاق فى كسر الأحجار .

وتنفق الدولة الوف الجنيهات فى علاج المسجونين المسلولين والمرضي ، مع انها لو صرفت لهم السراير والمراتب والبطاطين لوفرت مئات الألوف من الجنيهات .

اخشى أن اكون اطلت عليك فى وصف الحياة فى السجن . اننى احرص دائما على أن تعرفوا صورة الجو الذى أعيش فيه . اننى ارى امامى وحولى كل لحظة صورا كئيبة للتعاسة والبؤس والذل والشقاء . قلبى لا يبكى على نفسى ، بل ابكى للاخرين وأتعذب لعذابهم أرتعش من البرد لأجلهم . اشعر كل يوم بأننى اجرمت فى حقهم عندما كنت مطلق السراح ، ولم أقم فى صحفى بحملات من اجـل اصلاح السجون . الله شاء أن أدخل السجن لأرى بعينى ، وألمس بنفسى ما كان من المستحيل أن أصدقه أو أتصور أنه يحـدث فى القرن العشرين . أخشى أن يكون السجن هو صورة للمجتمع . وما يحدث هنا هو نفس ما يحدث فى المستشفيات العامة والمصحات والملاجىء . بل ربما فى القرى والريف . أننا فى هذه السنوات أطعمنـا الشعب كلاما . الوعـود كلام . والمشروعات كـلام . والاصلاحات كلام فى كلام !

وسوف نستيقظ ذات يوم ونكتشف أننا لم نخدع الشعب فقط .. بل أننا خدعنا أنفسنا ايضا !

سجن ليمان طره

١١ ابريل سنة ١٩٦٧

عــزيزتى

اليوم عيد راس السنة الهجرية ، احتفل السجن بهــذا اليوم المبارك احتفالا غريبا . صدرت الأوامر بالغاء فسحتنا اليومية فى فناء عنبر السجن لهذه المناسبة السعيدة ! المفروض فى الأعياد أن يمنح المسجون حرية اكبر ، ولكن قائد العنبر راى أن يحول العيــد الى قيود أكثر ومضايقات أكثر . بعض الطغاة الصغار يحتفلون باذلال الضعفاء . انها عقدة العبيد الذين يصبحون طغاة صغارا . ويستمرون عبيدا لطغاة أكبر منهم .

أمضيت اليوم فى استقبال عدد من زملائى المسجونين الذين جاءوا الى زنزانتى لتهنئتى بالعيد متحدين التعليمات بأن زنزانتى منطقة حرام ممنوع الاقتراب منها . أمضينا الوقت نضحك ونتبادل الذكريات . سألنى احد المسجونين السياسيين اليائسين : هل لنا مستقبل ؟ قلت : نعم ! قال : والطغاة الصغار الذين يستبدون الآن هل لهم مستقبل ؟ قلت : لهم ماض ! قال : كيف ؟ قلت : المستقبل للحرية . قال : أننى أعتقد أنه لا مستقبل للحرية فى بلادنا . قلت : لابد أن تشرق شمس الحرية ! قال : متى ؟ قلت : بعد ثلاث سنين . بعد خمس سنين . بعد عشرسنين لا أعرف . قال سنكون قــد متنا جميعا فى زنازيننا . قلت : لن نموت قبل أن ندفن الذين ظلمونا ! قال : سأكتب هذه النبوءة عندى ! قلت اكتبها وسوف أكتبها انا أيضــا . . !

ان مشكلة الطعام قد حلت . زملائى المسجونون يغمروننى بهدايا .

كل مسجون تزوره أسرته وتقدم له طعاما يصمم أن أشاركه فيه . فى هذا الأسبوع أكلت يوما فراخا ومحشى ، وفى يوم ثان فاصوليا باللحم ، وفى يوم ثالث فراخا . ومما يؤسف له أننى اتبع رجيمـــا حادا ، ولا أستطيع أن آكل الدمعة والنشويات والحلوى والأطعمة الفاخرة ، واحضر لى احد المسجونين ملوخية واصر على أن اجلس معه وآكل منها . اعتذرت عن عدم أكلها لأننى لا آكلها ابدا .. اننى أكلتها وعمرى سبع سنوات وأصبت بمغص فلم أذقها بعد ذلك . دهش السجين وقال اننى أول آدمى اقابله فى حياته يرفض أن يأكل الملوخية ، وأن حماره هو الآخر يرفض أن يأكل الملوخية ، وهكذا وجدت زميلا لى لا يأكل الملوخية !! ومسجون آخر أحضر لى كبدة . وثالث أحضر لى لحمة راس . ورابع احضر لى « فطير مشلتت » . وقلت لهم أن مرضى بالنقرس يمنعنى من أكل هذه الأطعمة . واكد لى أحد المسجونين أن لحمة الراس فيها من الفيتامينات والهرمونات والبنسلين أكثر مما هو موجود فى صيدلية مستشفى قصر العينى ! ويظهر أن صيدلية قصر العينى ليس فيها أدوية على الاطلاق !

المصرى كريم بطبعه . الفقير يسعده أن يقتسم معك رغيف العيش الواحد الذى يملكه . انه يشعرك بأنه يملأ بطنه عندما تملأ انت بطنك بطعامه . هذه النخوة والشهامة والكرم والمروءة التى بدأت تختفى بحكم الارهاب خارج السجن ، لا تزال موجودة بكثرة داخل السجن . الصداقة لا تزال موجودة . كتمان السر . الثقـــة . الشجاعة محبوسة معنا فى الزنازين . وبهذا نراها هنا بكثرة . كنا نسمع فى الماضى قصصا كالأساطير عن فروسية أجدادنا . عن جار يعرض نفسه للموت من أجل جاره . عن صديق يضـــع كل ثروته ضمانا لتجارة صديق ، وتضيع الثروة ولا يلوم الصـــديق . عن أسرة يموت عائلها فتجد العون يمتد اليها من كل يد فى القرية . هذه الأساطـــير لا تزال تعيش داخل السجن رغم العنت وسوء المعاملة وشظف العيش والاستبداد والقسوة ، وأنظمة السجون التى وضعها غلاة من المجرمين لتطبق على مجرمين أقل اجراما !

اننى أعيش فى السجن مـــع شخصيات غريبة . أجـــد متعة فى دراستها . المسجون الذى يتولى الآن تنظيف زنزانتى هو قاتل متهم بقتل خمسة اشخاص . وهو شخصية وديعة طيبة . فى منتهى

الرقة والدماثة . واعتقدت انه مظلوم . ولكنه أكد لى انه لم يقتلْ خمسة اشخاص . وانما قتل ستة ! وهو لا يعرف لماذا قتلهم . انه قتلهم لله ! رآهم يهينون فى الغيط صديقا له . الصديق ضعيف لم يستطع ان يرد الاهانة . كل ما فعله انه بكى وقال يا رب انتقم لى ! اعتقد صاحبنا القاتل ان النداء موجه له . اختبأ فى الذرة واطلق بندقيته على الخمسة فقتلهم جميعا . قبض على نصف القرية لأن أحداً لم يتصور ان فى امكان ولد صغير ان يقتل خمسة اشخاص دفعة واحدة . انكر الكل واعترف هو وحده . حكموا عليه بالاعدام، واستبدل حكم الاعدام بالأشغال الشاقة المؤبدة لصغر سنه !

الذى يحمل لى البيض كل يوم هو شاب محكوم عليه بالمؤبد ،لأنه قتل احد اصدقائه ، وقطع جثته الى اجزاء صغيرة . الشاب يبدو وديعا . ليس فى ملامحه شيء من ملامح السفاح او سفاك الدماء الذى تحدث عنه العالم فرويد . وجهه أشبه بوجه طفل . كل اجرامه يظهر فى انه يجد لذة فى سرقة طعام المسجونين او مغالطتهم فى الحساب ! لا أحد يجرؤ على ضبطه خشية ان يقتله ويقطع جثته الى أجزاء صغيرة .

المسجون الذى يمسح بلاط الردهة أمام زنزانتى كان مسجونا فى جريمة سرقة . وكان محكوما عليه بالسجن ثلاث سنوات . ثم لاحظ ان أحد الحراس يسيء معاملة المسجونين ويبطش بهم ويتعمد اذلالهم . ولم يصب هذا المسجون بشيء من هذا البطش والهوان ، ولكنه غضب من اجل مظلومين لا يعرفهم ، ولا يعرف أسماءهم ، فتقدم نحو الحارس وراح يطعنه بسكين حتى أسلم الروح ، وحكم على الشاب بالسجن المؤبد . ومن الطريف أنهم يسمونه فى السجن « أبو الأنوار » باسم الحارس الذى قتله !

وأتمشى فى ردهة السجن مع بعض المسجونين ، ومن بينهم عز الدين عبد القادر الذى أطلق الرصاص على الزعيم مصطفى النحاس ، لأنه وقع معاهدة سنة ١٩٣٦ وحكم عليه يومها بالسجن ثم صدر عفو عنه . وبعد ذلك سافر الى العراق واصدر كتابا ضد الحكم الحاضر ، ثم التقى فى المغرب بالرئيس جمال عبد الناصر فرحب به الرئيس ودعاه الى العودة الى مصر ، وصدق عز الدين

وعاد الى مصر ، فقبض عليه فى المطار ، وقدم الى المحاكمة وحكم عليه الدجوى بالمؤبد ، وهو حفيد الزعيم احمد عرابى . وكلما يرانى يضحك ويقول : من سخرية القدر أن يجتمع حفيد عرابى وحفيد سعد زغلول فى سجن واحد !

ومعى رجل مؤدب لطيف اسمه محمود مصطفى ، وهو من أعيان محافظة القليوبية . هدده أحد قطاع الطرق بالقتل ، فأطلق عليه الرصاص دفاعا عن النفس ، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات . وتحس أن هذا الرجل لا يستطيع أن يقتل فرخة . وتعجب أن يكون مثل هذا الرجل الوديع قاتـــلا . وتسأله فيقول لك أنه شخصيا لا يعرف كيف حدث هذا . لا يصدق أنه قتل . لقد رفع البندقيـــة ليهوش بها فانطلقت الرصاصة ! ان عددا غـــير قليل من الذى اعترفوا بأنهم قتلوا يقولون انهم فعلوا ما فعلوه فى لحظة جنون . ربما لا تستمر أكثر من دقيقة واحدة . وبعدها يفيقون ليكتشفوا هول ما فعلوه . بعضهم لا يصدق أنه فعل ذلك . انهم ينصحون من يغضب بأن يعد من واحد الى عشرة قبل ان يطلق مسدســـه أو بندقيته ، وهم يؤكدون أنه سوف يعدل عن القتل قبل أن يصـــل الى عشرة ! ويبدو أن حياة كل واحد منا « ثانية » مجنونة ، يتوقف فيها العقل ، وسيىء الحظ هو الذى تطول لديه هذه « الثـــانيـــة المجنونة » لتصبح دقيقة ، وعندئذ تقع الكارثة !

وصلت الى نتيجة غريبة من أحاديثى مع المسجونين . الاغلبية الكبرى منهم من الناس الطيبين . وهم لا يقلون طيبة وخلقا ونبـــلا عن أشخاص خارج السجن لم يرتكبوا جرائم . أو ارتكبوا جرائم ولم يضبطوا . أو ضبطوا ولم يحاكموا . الناس هنا صورة كاملة للمجتمع . أغلبيتهم أخيار . قليل منهم أشرار ، جرائمهم ليست جرائم أصيلة ، بعضهم أصيب بالجريمة كما يصاب الانسان بمرض طارىء. المرض ليس مزمنا . فهو لا يبقى مجرما طول حياته .

فى الطابق الرابع الذى أقيم فيه خمسة من المسجونين السياسيين المرضى . وجعلوا هذا الطابق المستشفى السياسى حتى لا ينقلونا الى مستشفى السجن ونتمتع ببعض الحرية . جارى فى الزنزانة هو الأســـتاذ حسن الهضيبى المرشد العـــام للاخوان المسلمين

والمستشار السابق في محكمة النقض والابرام . عمـره حوالى ٧٥ سنة . انهم صرفوا له بذلة سجن بيضاء حقيرة . منعوا عنه أدويته التى يعالج بها . مضى عليه عامان كاملان لم يسمح خلالهما لزوجته أو أولاده بزيارته . مضى عليه عامان ممنوع من أن يكتب لأسرته خطابا أو يتلقى منها خطابا . لم يسمحوا لأسرته بأن تحول له « أمانات » فى السجن كما يسمحون للمسجونين القتلة واللصوص والسفاحين ! لا يملك مليما ليشترى صابونة ! لا يملك مليما ليشترى سيجارة ! يأكل طعـام السجن الذى ترفض أن تأكله الكلاب ، بلا شكوى ، وبلا تذمر ، بل يحمد الله على هذا الطعام اللذيذ !

بهرنى هـذا الرجل بصموده وايمانه وصبره . انـه أقوى من السلاسل والقيود . أصلب من قضبان الحديد فى زنزانته.لم يفقد أبدا ابتسامته . ولا نظرة السخرية بكل الطغيان الذى يراه حوله. ولا يسمحون له أن يذهب الى الطبيب رغم أمراضه المتعددة . ولا يسمحون له بأن يجيء بطبيب على حسابه . ان المسجونـين السياسيين لم يعاملوا فى اي عهد من العهود ، حتى فى عهـد الاحتلال البريطانى ، بهذه المعاملة الوحشية . فى كليوم يتلقى السجن اوامر شفوية وتحريرية بالبطش بالمسجونين السياسيين ، وتضييق الخناق عليهم ، والامعان فى التنكيل بهم !

وقد كنت أمضى اغلب وقتى مع المسجون حسن الهضيبى فى زنزانته ، فاذا اغلقوا علينا الزنازين التقينا فى نافذة الزنزانة وأكملنا الحديث بين القضبان الحديدية .

والى جوارنا تاجر من السويس مريض بالملاريا ، وصاحب جراج مريض بالسل ، وعامل نسيج من المحلة تحطم عموده الفقرى من التعذيب ، وهو عبد الغفار الششتاوى ، العامل بالمحلة الكبرى . وبعد ذلك بزنزانتين المسجون السياسى محمد صدقى عبد العزيز ، وهو موظف بشركة أقطان ، عذبوه فى السجن الحربى بطريقة وحشية ، حتى حطموا عموده الفقرى ، وأصبح عاجزا عنالوقوف على قـدميه ، وعاجزا عن المشى ، ويحمله زملاؤه على مقعـد ، وينزلون به أربعة طوابق ليذهب الى دورة المياه ، ثم يحملونه بعد ذلك أربعة طوابق الى فراشه فى الزنزانة .

وبقربنا أيضا المسجون السياسى سامى سلام ، وهو موظف فى الأوبرج ، ومريض بالتيفود ، وتهمته أنه كان مرشحا وزيرا للخارجية فى انقلاب عسكرى بلا عسكر !!

ثم بعد ذلك خمسة وثلاثون زنزانة مغلقة . انني أمضي يومي كله مع هؤلاء المرضى . ومن سوء حظى اننى لا أطيق أن أرى انسانا وهو يحقن بحقنة عادية ، حتى ولو كانت حقنة بنسلين . وشاء قدرى أن يكون كل جيرانى من هؤلاء المعذبين المرضى . رؤية هؤلاء فى آلامهم تعذبنى أكثر من عذاب السجن ، ويتضاعف عذابى عندما أرى الاهمال المتعمد فى علاجهم أو العناية بهم . كثيرا ما سمعنا أن الرحمة فوق العدل . هنا لا نجد رحمة ولا عدلا . بل قسوة وظلم . عنت واستبداد . لو أن لجنة حقوق الانسان دخلت الليمان ورأت كيف يعامل المسجون السياسى لأغمى على أعضائهـا من هول ما يرون ؟

أشم رائحة شياط !!

سجن ليمان طره

٢٨ ابريل سنة ١٩٦٧

عـــزيزتى

كنت اليوم فى مستشفى السجن ودخل علينا الضابط محمد كمال الدين يقول :

ــ أنتم هنا والدنيا مقلوبة !

ــ ماذا حدث ؟

ــ وجدنا أن عدد المسجونين يزيد واحدا عن العدد الرسمى الموجود . صدرت الاوامر بأن يذهب كل مسجون فورا الى زنزانته ، ونغلق عليه بالضبة والمفتاح ، ونخلى جميع ردهات السجن من المسجونين ..

وهرولنا عائدين الى الزنازين ..

وراح الحراس ينفخون فى البورى علامة الخطر ! والحراس يجـــرون فوق الأسوار حاملين بنادقهم ومدافعهم الرشاشـــة ثم يزومون بصوت غريب كالصوت الذى يصرخ به طرزان فى أفـــلام السينما . وقيل فى اذاعة السجن أن هناك « كبسة » .. ومعنى كبســة فى لغة السجن أن شيئا غير عادى قد حدث !

وبدأ الضباط يحصوننا واحدا واحدا داخل الزنازين المغلقة ، وبعد ساعتين فى هذا الجو الغريب المريب تبين أن العدد تمام ، وأن أحد الحراس أخطأ فى العدد وأضاف مسجونا . وبعد ذلك أعلنوا انتهاء « الكبسة » . ونفخ الحراس فى البورى معلنين أن كل شىء تمام . وتساءلت اذا كان كل هذا يحدث لو زاد عدد المسجونين ، فماذا يحدث لو نقص عددهم ، وهرب فعلا مسجون !

وفى أثناء عمليات العد والاحصاء راح المسجونين يتذمرون ، ويقولون أن أحد الناس هرب من خارج السجن الى داخل السجن. وأنه سيجىء يوم قريب يهرب الناس فيه من السجن الكبير الى السجن الصغير ! وبعض المسجونين بدأ يؤكد أن مصر كلها أصبحت ليمانا كبيرا . وأن المعاملة فى ليمان طره أحسن كثيرا من المعاملة فى الليمان الكبير .. وأننا فى داخل ليمان طره أكثر أمانا واطمئنانا ممن هم خارج الأسوار .. فالناس من خوف السجن فى سجن !

التقاليد هنا عندما يهرب مسجون واحد من داخل السجن أن يعاقب جميع المسجونين الذين لم يهربوا ! تحرق جميع ملابسهم الخارجية والداخلية ، ولا يبقى للمسجون سوى غيار واحد .تداس أطعمتهم بالأقدام . يحرمون من مشاهدة التليفزيون والسينما والمباريات الرياضية من أجل جريمة مسجون واحد يعاقب خمسة آلاف مسجون برىء . ولهذا فأنا أدعو الله ألا يجن أحد المسجونين ويهرب ، وعندئذ ستكون مصيبة المسجونين سوداء .

ثم رائحة « شياط » فى الجو السياسى المصرى . لا أعرف حتى الآن من أين يجىء هذا الشياط ؟ الأنباء تصلنى من مختلف المصادر تؤكد أن الطغيان مستتر ، والطغاة الصغار يزدادون جبروتا . فى كل بيت مسجون سياسى أو معتقل سياسى أو شهيد فى حرب اليمن . أو جريح أو موضوع تحت الحراسة . أو مرفوت من ظيفته، أو مهدد فى رزقه . انفتحت شهية الطغاة ، وهم فى كل يوم يريدون ضمانا أكثر . فى أول الأمركان يشبعهم أن يأكلوا ضحية كل يوم .. أصبحوا اليوم لا يكفيهم ألف ضحية . الشعب يعيش فى جو من الخوف . لا أحد آمنا على نفسه ولا على حريته ولا على رزقه . ألوف الناس يهاجرون الى الخارج . وأكثر منهم يحاولون الخروج ويفشلون . لو فتحت أبواب مصر الآن لفر أغلب المتعلمين فيها ..

انهم من جميع الفئات . من جميع الطبقات . فيهم عمال وفيهم اصحاب اعمال . كل يوم يتلقى أحد المسجونين هنا خطابا من شقيقه أو ابنه يقول انه يريد أن يهاجر . أكبر مصيبة يصاب بها الشعب أن يحس بأن لا مستقبل له ولا أمل له . المستقبل فقط لأصحاب النفوذ والسلطان . لأهل الثقة . ان أغلب أهل الثقة للأسف من الجهلاء وأنصاف المتعلمين . وهم الآن الذين يديرون المصانع والمؤسسات والدوائر الحكومية ، وهذا سر الانهيار الذى أصاب كل شىء . والذى سوف يؤدى الى الكارثة الكبرى !

ان من حق الحاكم أن يزوج ابنته لمن يثق به ، ولكن ليس من حقه أن يسلم الدولة للجهلاء لا لشىء الا لأنه يثق بهم !

وقد أثبتت الأيام أن هؤلاء الجهلاء ليسوا أهل ثقة . ولو أجرينا تحقيقا واسعا عن حالة مصانعنا قبل أن يتولاها أهل الثقة وبعد أن تولاها أهل الثقة ، لعرفنا الفرق بين التقدم والخراب ، وبين الربح والافلاس !

وعندما يصبح كل « أهل ثقة » ذاتا مصونة لا تمس ، تختفي الحقائق ، ولا يجرؤ أحد على أن يشير الى الفساد الموجود فى كل ميدان .

ان أهل الثقة يحولون انتصارات هذا الشعب الى هزائم ، وأرباحه الى خسائر ، وأمجاده الى كوارث !

اننى أقابل هنا يوميا مسجونين جاءوا من مختلف قطاعات الدولة، كل واحد منهم يحمل لى قصة عن الفساد والرشوة واستغلال النفوذ ، وكل القصص بمعنى واحد . ان الظلام المفروض على البلد هو الذى شجع اللصوص والمختلسين وتجار المال الحرام !

وأنا أعتقد أن أحدا لا يجرؤ على أن يبلغ الحاكم بما يراه ، لأنهم يتصورون أنه ستقطع رقابهم اذا فضحوا أهل الثقة ، كما قطعت رقاب آخرين ..

ان الخوف جعل هذا الشعب يطبق فمه مرغما ، يصمت فى وقت يجب فيه الكلام . يسكن فى عصر يستوجب الحركة . يغمض عينيه فى يوم يجب أن نفتح فيه جميعا عيوننا على ما سوف ينتظرنا !

ان الذى أخشاه أن الكارثة المنتظرة لن تصيب الذين ظلموا ، بل ستصيب مصر كلها !

يجب ان ندعو لمصر ..

فأنا ما زلت أشم رائحة « شياط » وأخشى أن شيئا ما يحترق !!

سجن ليمان طره

١٥ مايو سنة ١٩٦٧

عزيزتى

عندما يصل هذا الخطاب اليك ، يكون قد مر عامان كاملان على فراقى انا واخى . هذا هو الذى يسمونه غير المعقول . من كان يتصور أن يفترق التوأمان عامين كاملين ؟

لم افترق عنه طوال حياتى مثل هذه المدة . عندما كان يتلقى العلم فى انجلترا كان يحضر كل عام الى القاهرة لنمضى الصيف سويا . عندما كنت ادرس فى امريكا ويدرس هو فى انجلترا كنا نلتقى فى أوربا أو نلتقى فى مصر . فى أيام فراقنا كنا نتكاتب باستمرار . اكاد اعرف كل خطوة خطاها كل نكتة سمعها . كل شخص قابله . الآن مضى علينا عامان كاملان دون أن نتبادل سوى بضع كلمات . عذاب السجن ليس فى قيوده وقضبانه وزنزانته . انه فى حرماننا من الاشخاص الذين نحبهم . نحن لا نعيش فى قصور أو بيوت أو شقق . نحن نعيش فى لقاء من نحب . من غير هذه اللقاءات نكون اشبه بالذى يعيش فى العراء . اذكر آخر مرة انفردنا فيها معا . كان قلبى يحدثنى أنه فراق طويل جدا . كنا نتكلم همسا . لاننا كنا نعرف أنه توجد أجهزة تسجيل فى مكاتبنا وبيوتنا . قلت له انني أحس أن أصحاب السلطان يدبرون لى شيئا . اذا ارسلوا اليك واستدعوك لا تحضر ! اذا عرضوا عليك خطابا بامضائى لتحضر لا تصدق ! سأكون تعرضت لضغط هائل حتى يرغمونى على أن اكتب اليك وادعوك الى الحضور . يومها كان لدى احساس غريب بأن الذين حول الرئيس يحملون سكاكين وخناجر يريدون أن يغمدوها فى ظهرى ، لقد كانوا يقولون ان ثلاثة فقط فى مصر لديهم رقم تليفون جمال عبد الناصر السرى بجوار فراش نومه

يستطيعون أن يوقظوه فى أى وقت ، وكان هــؤلاء الثلاثة هم عبد الحكيم عامر وسامى شرف وأنا . وكانوا يغبطوننى على هذا الشرف العظيم . ولم أشعر فى يوم من الأيام أنه شرف عظيم . كنت أتصور أنها مسئولية عظيمة . وكنت أعتقد أن واجبى نحو بلدى وواجبى نحو جمال عبد الناصر أن أبصره بكل الأخطاء التى تحدث باسمه . ولم أشعر فى خلال فترة طويلة أن الرئيس يضيق بأن يسمع الحقيقة . وذات يوم فى أواخر سنة ١٩٦٤ قال لى سامى شرف : أن كل الذين حول الرئيس اتفقوا على الا يقولوا له أى كلام أو أى أخبار تضايقه ، وذلك لأنه فى حالة مرضية تجعل الأنبــاء السيئة تزيد حالته سوءا . قلت له : ان واجبى أن أخبر الرئيس بالأخطاء التى تحدث . قال : اذا سمعت أخطاء فأخبرنى انا بها ولا تخبر الرئيس . قلت : اننى أعتقد أن الرئيس أئتمننى على أن أقول له الحقيقة ، ولا أستطيع اذا سألنى أن أخفى عنه الحقيقة.

وهذا الكلام لم يعجب الذين يريدون عزل الرئيس عن الحقيقة ، واقامة حصار حديدى حوله . ان الرئيس لا يقابل الا أشخاصا معدودين . ولا يتصل الا بأشخاص معدودين . ومن السهل أن يتفق هؤلاء فيما بينهم ويعدموا بريئا ، أو يسجنوا مظلوما ، أو يشوهوا حقيقة ، أو يدفعوا البــلد الى كارثة . ان الذين حول الرئيس يكرهون بعضهم بعضا . كل واحد منهم يريد أن يقطــع راس زميله . كل واحد منهم يريد أن يصل الى أذن الرئيس فوق جثة زميله . انهم يحولون الرياسة الى قصر يلدز : دسائس ومقالب ومؤامرات كما كان يقوم بها الاغوات والجوارى فى قصر السلطان عبد الحميد . ومن الذى سيدفع ثمن كل هذا ؟ مصر طبعا . اننى أعترف أن حالة الرئيس الصحية كانت سيئة ، ولكن اخفاء الحقيقة عنه ، حتى يصدم بها ذات يوم قد يقضى عليه . ولقد كان رأيى دائما الذى قلته للرئيس فى كل مناسبة أن العلاج الوحيد هو فتح جميع النوافذ ، وهو اطلاق الحريات ، وهو الغاء الرقابة على الصحف، وهو اعطاء مجلس الأمة حرية المناقشة والمعارضة ، وبذلك وحده تصل الحقيقة الى الرئيس بلا تشويه ولا تنميق ولا تزويق . اننى أعتقد أن التقارير التى تصل الى الرئيس من الأجهزة ليست نظارات معظمة يرى بها ما يجرى . انما هى عصابات سوداء يضعونهــا فوق عينيه لكى يحجبوا عنه الحقيقة ، كم من مرة اطلعنى الرئيس

على تقارير سرية وصلت من بعض الاجهزة واذهلني ما فيهـا من كذب وجهل وتشويه للحقائق . واذكر مرة أن الرئيس اطلعني على تقرير من احد الاجهزة يقول ان احد السفراء العرب يجلس في نادي الجزيره ويشتمه ويتكلم عنه بأسلوب لا يليق ! وكنت اعـلم أن هذا السفير غادر مصر منذ شهر ، وكان التقرير يؤكد ان الحادث وقع قبل ذلك بأيام قليلة . وطلبت من الرئيس ان يحقق هـذه الواقعة وظهر أن السفير فعلا غير موجود في القاهرة ، وان كل ذنبه أنه قبل سفره قال عن احد كبار معاوني الرئيس انه حمار ! وهكذا أصبح من يشتم أحدا من هؤلاء الآلهة الصغار كأنه شـتم رئيس الجمهورية !

انني افكر كثيرا في اخي . أعرف انه مسجون مثلي . صحيح ان الزنزانة التي يعيش فيها في لندن أكبر من الزنزانة التي اقيم فيها في ليمان طره . اشعر بأن عذابه اكبر من عذابي ، ووحدته اضعاف وحدتي . وهمومه أكثر من همومي . أتصوره يمشي في غرفتـه ذهابا وايابا ، يمشي وحده . فقد أعتدنا أن نقطع الغرفة معـا . نمشي معا . نفكر معا . أحيانا لا نتبادل الكلمات .

ولكننا نتناقش بغير صوت ! اتصوره وهو يحس بالعجز لأنه لا يستطيع أن يفعل لي شيئا . يشعر بالمرارة لأنه لا يستطيع أن يحدثني . أو يسمع صوتي . انا لا اشعر هنا بهذا العجز وهذه المرارة .

انا أسمع صوته في خيالي . اتحـدث في اليه ذكرياتي واحلامي . أسمع انفاسه . أمسح دموعه . اقرأ في عينيه كل خواطره . الله أعطى التوامين قوة غريبة . لا اشعر بعذاب هذا الفراق الحقيقي. أحس أننا دائما معا . لولا ذلك لتحطمت تماما . احساسي إننـا لم نفترق أبدا مع كل هذا البعد ، مع كل هذه المسافة ، هو الذي يعطيني قوة الاحتمال . الحب الذي بيننا هو القنطرة التي توصلني اليه باستمرار . هو الكوبري الذي أعبر عليه بعد أن تحطمت كل الجسور . انني اقطع هذه المسافة الطويلة في لحظـة . البحار والدول والمدن التي تفصلنا عجزت عن أن تبعدنا . لست محتاجا الى برقيات أو خطابات منه لأنني أراه بجواري في الليل والنهار .. الذين يقيمون في غرفة واحدة ليسوا في حاجة الى تبادل الخطابات .

كل مباراة كرة يحضرها فى لندن كأننى شاهدتها . كل برنامج فى التليفزيون يراه هناك ، استمتع به هنا ، كل كتاب يقرؤه كأننى قرأته . الرابطة بين التوامين المتشابهين غريبة . اشعر بأننى نصف محبوس ، ونصف مطلق السراح . نصف مقيد ، ونصف حر ، اقيم فى الزنزانة نصف اليوم . النصف الآخر من اليوم أمضيه فى شخصه هو . هذا شىء لذيذ فعلا . لا أظن أن مسجوننا سواى يستمتع بهذه المتعة . الله عندما اعطانى نعمة أن يكون لى توأم اعطانى شيئا كثيرا . أعطانى متعة الا اعيش حياة واحدة . اعيش حياتى وحياة اخى التوأم معا . أمضى فى السجن نصف الوقت . وأمضى فى الحرية النصف الآخر . وبقدر هنائى بهذا الشعور احس بعذاب اخى . رحلة خيالى تختلف عن رحلة خياله . خيالى يحملنى دائما الى الحرية وخياله يحمله الى الزنزانة . استمتع بانطلاقه . ويتعذب بقيودى .. الله جعلنا متشابهين فى كل شىء : فى القامة . فى الملامح . فى الصوت . فى التفكير . وحتى فى مرض السكر ومرض النقرس . واحمد الله على أنه لم يجعلنا متشابهين فى دخول السجن كان هذا سوف يشقينى كثيرا كان سيحرمنى أن أمضى نصف يومى خارج السجن . كنا نقول فى الماضى انه عندما يدخل احدنا السجن سيجىء الآخر لزيارته . ونتبادل المكان . دون أن يتبين الحراس الفرق . وكنا نضحك كثيرا لهذه الفكرة . اليوم نحن نحققها فعلا فى كل ساعة . وفى كل لحظة !

أنا فى الزنزانة لحظة ، وفى لندن اللحظة التالية ، وهو فى فندق ماى فير بلندن لحظة ، وفى زنزانة بسجن ليمان طره فى اللحظة التالية . هذا الشعور العجيب يخفف عنا آلام الفراق المرير . ثم ان ايماننا الذى لا حد له . وتفاؤلنا الذى لم يتزلزل فى أحلك الساعات واقسى الأزمات .

احيانا كنت الح على أخى فى أن يتناول دواءه بانتظام ، لأننى أعرف ان علاجه يشفينى . أصر على أن يستشير الأطباء الاخصائيين لأن هذه الاستشارة تجعلنى اطمئن على نفسى . أطلب منه أن يعنى بصحته لأننى أعرف أن كل ساعة يطول فيها عمره تطيل عمرى . الأمر الذى يعذبنى أننى اشعر بأنه يتعذب أضعاف عذابى . صحيح اننى فى سجن ، ولكن فوق ارض بلدى . هذه الأرض التى احبها واعشقها تدفئنى .

أسير فوقها وكأنني أطير في سماء أحلامي . هواؤها هو مجموع انفاس الذين أحبهم ويحبونني . أرى من نافذة زنزانتي نيلهـــا وخضرتها وأهلها فأنسى كل آلامي . اما هو فيعيش على أرض غريبة بعيدة . فيها صلابة الصخور وقسوة الأحجار . ليست فيها نعومة أرضنا التي تغوص فيها أقدامنا وكأنها تقبلها وتحتضنها . يحس حوله بعواطف مترجمة . ولا يحس بالعاطفة المصرية الأصيلة فيودى لا تضغط على يدى . وحريته في بلد غريب تضغط على عنقه وتكاد تخنقه . أعرف جيداً مبلغ شقائه ، لأنني أعرف كم نحب بـــلادنا .

سجن ليمـــان طـــره

٣٠ مايو سنة ١٩٦٧

عـــزيزتى

امضى الوقت فى سماع الأخبار من اذاعة السجن . نحن مقبلون على معركة . انتبع باهتمام اخبار المعركة التى تخوضها بلادى . اننى اتمنى ان تنتصر مصر باذن الله فى هذه المعركة . على الرغم من كل ما فعله حكامنا بنا وبأنفسهم وبالبلد .

تعود بى دائما الذاكرة الى معركة عام ١٩٥٦ التى كان لى شرف الاشتراك فيها . قيودى اليوم تمنعنى من ان اخوض معركة اليوم . ليس عندى الا ان اصلى لمصر داعيا لها بالنصر . اعتبر كل نصر لمصر هو نصر لى . كل هزيمة لها ستكون هزيمة لى .

وعندما يخوض الوطن معركة ، يجب علينا أن ننحى جانبـــا آلامنا الشخصية ، وننسى متاعبنا ، ولا نذكر سوى بلادنا ، كم تمنيت أن يسمح لى بالاشتراك فى هذه المعركة بقلمى وفنى وخبرتى وحياتى ، كما فعلت فى كل معاركنا الماضية ، على أن أعود الى السجن بعد انتهاء المعركة . .

انظر حولى فأجد المسجونين السياسيين ، والمعتقلين السياسيين - والموضوعين تحت الحراسة ، والمنبوذين السياسيين ، والمنفيين عن بلادهم ، والمطاردين فى رزقهم ، وأتساءل هل يمكن أن يحارب بلد بنصف أهله . هل يمكن أن نحارب ونصفنا مسجون أو معتقل مكمم أو منكوب أو مدموغ بأنه عدو من أعداء الشعب . فى كل بلاد العالم عندما تقرر دولة أن تحارب توحد صفوفها ، وتضمد جراحها،

وتجعل الشعب كله كتلة واحدة ، لا تمضى الوقت فى فرز الناس على الفرازة . هذا اشتراكى وهذا غير اشتراكى . الذين يحكمون لم يقرأوا التاريخ ، لم يعرفوا ان الاتحاد السوفيتى عندما حارب أفرج عن المسجونين السياسيين . لا يعرفون أن نابليون عندما حارب أطلق سراح المسجونين العاديين .

- أحب الا تتألموا لأنهم فى هذا الوقت بالذات ، وفى وقت تحشد فيه الجيوش العربية لتستولى على اسرائيل ، تطلب رياسة الجمهورية اخراجى من شقتى . ان هذا الطلب المستبد لم يؤلمنى . ولكنه أذهلنى .

اننى قبلت تأميم أخبار اليوم ، وهى حياتى ، برضا ، هذا التصرف الغاشم لم يؤثر على نفسيتى أبدا . أنا دائما على استعداد لأن أقدم كل شىء لبلادى . الذين على استعداد لأن يجودوا لمصر بحياتهم لا يبخلون عليها بأرزاقهم وبيوتهم .

وكم كنت أتمنى لو أن ابنتى رتيبة وصفية فى سن الجندية ، لأطلب اليهما أن تحملا سلاحهما وتذهبا الى ميدان القتال . اننى أفضل أن تموت ابنتاى فى وطن حر على أن تعيشا فى بلد مستعبد .

ولقد فوجئت بعد أيام بمأمور الليمان يستدعينى على عجل لمقابلته . ويدفع الى بأوراق وقال لى : ان رياسة الجمهورية تطلب منك أن توقع هذا فورا ..

وقرأت ما فى الورق فاذا به عبارة عن تنازل عن شقتى وما فيها من أثاث ومفروشات !

قلت : كيف أتنازل عن شقتى وأنا أقيم فيها منذ ١٨ سنة أى منذ عام ١٩٤٧ وأدفع ايجارها باستمرار ؟

قال المأمور : هذه أوامر من رياسة الجمهورية ..

قلت : وماذا تريد أن تفعل رياسة الجمهورية بهذه الشقة .

قال المأمور : تريدها للمعركة !

قلت : وماذا تنفع هذه الشقة التى فى شارع صلاح الدين بالزمالك، للمعركة التى فى اسرائيل !

قال المأمور : لا تسأل اسئلة كثيرة .. وقع التنازل عن الشقة ،

قلت : لابد أن أعرف لماذا اتنازل ؟

قال : ان أحد كبار الضباط وهو يحمل لقب فريق ، أعجبته الشقة، واستأذن من الرئيس ليأخذها فاذن له !

قلت : ولكن الشقة مغلقة ومفتاحها معى . كيف دخل هذا الضابط الكبير شقتى وتفرج عليها واعجبته !

قال : انت تريد أن تحقق مع رياسة الجمهورية !

قلت : لا سمح الله .. ولكنى اريد أن أعرف .. فهذا بيتى !

قال المأمور : أنك اذا رفضت التنازل عن شقتك فسوف تغضب رياسة الجمهورية !

قلت : وماذا تستطيع أن تفعل رياسة الجمهورية اكثر مما فعلوا بى ! انه محكوم على بالأشغال الشاقة المؤبدة ؟ .. ولا أظن انهم سيحكمون على بالاعدام لاننى رفضت التنازل عن شقتى !

قال المأمور : المسألة مستعجلة جدا! ..

قلت : اعطنى الورقة

وناولنى الورقة وهو يتصور أننى سأوقع على التنازل ، ولكنى كتبت عليها . « اننى أرفض التنازل عن شقتى . اننى فى دهشة انه فى الوقت الذى اقرأ فيه فى الصحف أن الجيش المصرى يحتشد فى سيناء ليستولى على اسرائيل ، أجد أحد كبار ضباط الجيش المصرى يحتشد فى الزمالك ليستولى على شقتى ! وانه بدلا من أن يكون فى غرفة العمليات فى سيناء أجده فى غرف منزلى يعاينها ويعاين اثاثها » !

ووقعت على هذا الاقرار !

هذا التصرف جعل قلبي ينقبض . اذا كان هذا تصرف بعض كبار قوادنا اثناء المعركة فكيف نحارب المعركة ، وكيف نكسب المعركة ! اهتمام ضابط كبير ، بل اهتمام الدولة فى هذه الساعات الخطيرة بالاستيلاء على شقة مظلوم دليل على عدم جدية المعركة !

احسست اننى استطيع ان احكم على اشياء كثيرة من الورقة التى ارادوا منى ان اوقعها . فى هـــذه الورقة قرأت تقريرا سريا عن حقيقة حالتنا واستعدادنا الحربى ، ما كنت لأستطيع أن أعرفها لو كنت حرا ، أو كنت أجلس فى غرفة العمليات !

اننى أعتقد أن الرئيس لا يمكن أن يعلم بهذا التصرف الحقير الصغير ! ولكن ما الذى يضمن أن الوفا مثل هذا التصرف تحدث الآن لمواطنين آخرين ، وان البعض أشاع فى البلد جو الحرب ، لا ليحارب ، بل ليسرق وينهب ويستولى على شقق الآخرين !

ومع ذلك يجب الا تصرفنا هذه التصرفات عن واجبنا نحو بلادنا .

من واجب كل عربى أن يشارك فى هذه المعركة بشىء . اى شىء . حتى ولو كان صغيراً .

ان مجموع الأشياء الصغيرة يصنع شيئا كبيرا . لم أشـــعر بعذاب السجن كما شعرت به فى هذه الأيام . فى أثنـــاء معركة بور سعيد كنت أشعر بأننى أقف فى الصف الأول .

كم يحزننى أننى أقف الآن فى الصف الأخير . أحس ما يحس به الجندى القديم ، أن يرى بلاده فى معركة ، وهو مقعد لا يستطيع أن يتحرك معها . وهو أبكم لا يستطيع أن يحمل ســـلاحه دفاعا عنها . ليس عندى سوى أن أدعو لمصر من كل قلبى ..

اعتقلها المأمور أنت
خضرت عقلى

سجن ليمان طره
٣١ مايو سنة ١٩٦٧

عزيزتى

حدث اليوم أن كنت جالسا مع بعض المسجونين غير السياسيين ، وسألنى احدهم عن رايى فى الحرب ! فقلت له اننى غير مطمئن لما اقرا عن حشد الجيش المصرى فى سيناء ، واننى اخشى ان تنتهز اسرائيل هذه الفرصة وتهزم جيوشنا . واننا اخترنا وقتا سيئا للحركة ، وان الرأى العام العالمى ضدنا ، وان المفروض قبل أن نتحرك عسكريا ، ان نكسب الجو الدولى سياسيا ، وليس من المصلحة أن نحارب فى جو عدائى ..

وبعد ان انتهى الحديث بدقائق استدعانى مأمور الليمان الى مكتبه وسألنى :

— هل صحيح انك قلت امام المسجونين ان الجيش المصرى سينهزم !

قلت : نعم

قال : كيف تقول هذا ؟ الم تقرا الصحف التى تؤكد اننا سنستولى على اسرائيل فى ثلاثة أيام ؟ الم تسمع الاذاعة التى تقول ان جيشنا هو اكبر قوة ضاربة فى الشرق الأوسط ؟ الم تسمع أن أم كلثوم ستغنى حفلتها القادمة فى تل أبيب .

قلت : وهذا هو الذى جعلنى اقول ان الجيش المصرى سينهزم !

قال : انت جننت !

قلت : هذه هي معلوماتي . ان قيادة الجيش غــير قادرة على الحرب .

قال : لا تقل هذا الكلام لأحد ! اننى أخشى أن يبلغ الجهــات العليــا ..

قلت : انا أريد أن يبلغ الجهات العليا . أريد أن أقول اننى اتوقع في هذه الظروف الهزيمة . وسوف أستمر أقول أننى ضد الحرب الى أن تبدأ الحرب ، وعندئذ سأؤيدها ، لأنني لا يمكن أن اقول رايى هذا ونحن نحارب . ولكن واجبى نحو بلادى أن انبهها الى الشرك الذى ستقع فيه ..

ونظر الرجل الى بدهشة ، وكأنه ينظر الى رجل فقد عقله !

وبعد ذلك عقد قائد العنبر اجتماعا للمسجونين السياسيين ، وخطب فيهم ، وقال انه يسكن على الكورنيش ، وهو يري أســلحة وذخائر ومدافع لا أول لها ولا آخر ، وهي تمر قادمة من حلوان في طريقها الى الجبهة ، وأن هذا يجعله واثقا من النصر !

وعجبت أن يحكم هذا الضابط على معركة في اسرائيل ، وهو ينظر من نافذة بيته في شارع الكورنيش . وفهمت أنه مكلف بأن يطمئننا .. ولكنه زادنى تشاؤما . واجتمعت بالأستاذ حســن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين في زنزانته ، وفوجئت به يقول لى أنه هو الآخر يتوقع الهزيمة ، وأن الهزيمة مؤكدة . ومن معلوماته عن كبــار ضباط الجيش أنهم يصــلحون للاستقبالات والتشريفات والجلوس في المكاتب والسير وراء كبار رجال الدولة في المواكب ، ولكنهم لا يصلحون لقيادة الجيش .

قلت له : اننى فكرت في أن أكتب للرئيس عبد الناصر أقترح عليه أن يؤلف جبهة وطنية في هذا الظرف العصيب . ان انجلترا الفت وزارة قومية من كل الأحزاب أثناء الحرب . ان الرئيس روزفلت في أمريكا جاء باثنين من حزب المعارضة وجعل أحدهما وزيرا للحربية والثانى وزيرا للبحرية . الموقف الحاضر يقتضى ألا يستقل فرد واحد برأيه . يجب أن توحد كلمة الأمة قبل المعركة ..

قال الأستاذ الهضيبى : لن يقبل عبد الناصر اقتراحك ..

قلت : لماذا ؟

قال : لأنه يخشى اذا انتصر أن يقاسمه شريك فى هذا المجد ..

قلت : واذا انهزم ؟

قال : اذا انهزم فسنكون أنا وأنت والمسجونون فى السجون المسئولين عن هذه الهزيمة !

طبول النصر يوم ٥ يونيو

سـجن ليمان طره
٦ يونيو سنة ١٩٦٧

عـزيزتي :

فى صباح يوم ٥ يونيو لم تفتح أبواب الزنازين كالمعتاد . منعنا من الذهاب الى دورة المياه . صـدرت الاوامر بمنع المسـجونين من الذهاب الى الجبل لتكسير الأحجار كما يحدث كل يوم . اقفلت سماعات اذاعة الراديو فلم نسمع الأخبار كالمعتاد . جو غريب مريب ، قال لى احد الحراس من طاقة فى باب زنزانتى هامسا أن الحرب قد قامت . لم أفهم العلاقة بين اغلاق أبواب الزنازين علينا ومنعنا من الذهاب الى التواليت وبين قيام الحرب !

تعلقنا فى نوافذ الزنازين . ورحنا نسترق السـمع للاشاعات والاستنتاجات . قال أحد المسجونين ان انقلابا قد حدث . وقال مسجون ثان ان عددا من المسجونين هربوا من عنبر أربعة . وقال مسجون ثالث أن تمردا حدث بين المسجونين فى طابور الجبل ، فتقرر منع جميع المسجونين من الخروج . لم أسـتطع أن أقول الحقيقة خشية أن يكون الحارس أسر الى بخبر كاذب !

بعد ثلاث ساعات حضر الرائد محمد كمال الدين أركان حرب الليمان وفتح زنزانتى وحدى . قال لى انه مكلف من مدير الليمان بأن يفتح زنزانتى وحدى ليبلغنى ان الحرب قد بدأت واننا اسقطنا حتى الآن ٧٨ طائرة اسرائيلية ، وأن قواتنا دخلت حدود اسرائيل وانها الان فى طريقها الى تل أبيب .

وسكت الرائد كمال الدين ، ونظر الى عينى ، وكانه يقول لى : هل ما زلت تقول ان الجيش المصرى سينهزم ..

قلت له : لا أصدق كل هذه الأنباء .

قال الرائد : هذا بلاغ حربى اصدرته القيادة العامة للقوات المسلحة واذيع فى الاذاعة ..

قلت له : انا اعرف كيف تكتب البلاغات الرسمية ولهذا لا اصدق هذه الأنباء ..

واغلق الرائد محمد كمال الدين باب الزنزانة آسفا حزينا لأننى لا ارى الحقيقة الواضحة كشروق الشمس ، وهى أن الجيش المصرى انتصر فعلا ، وانه فى طريقه الى تل أبيب .

غير اننى كنت قرات كثيرا فى التاريخ ، وبحكم عملى الصحفى الطويل اصبحت استطيع ان اشم رائحة الخبر ، وأفرق بين الخبر الصادق ، والخبر الذى لفقته الجهات الرسمية .

وكانت لى آراء عن الحالة فى الجيش تخالف رأى كثيرين من المسئولين وكنت لا اخفى هذا الرأى فى أحاديثى مع الرئيس عبد الناصر ، الذى كان يقول لى دائما أن معلوماتى فى هذه الشأن غير دقيقة ، وأن الحالة فى الجيش مطمئنة جدا ..

وكان من رايى اننا أعددنا قيادة عسكرية لتحكم ، ولم نعد قيادة لتحارب . واننا أعددنا الجيش ليحافظ على النظام لا ليحارب ! وانه كلما تلقى المسئولون تقريرا بأن أحد الضباط الشبان له شعبية فى الجيش ، أو انه محبوب من زملائه الضباط ابعد على الفور من الجيش ، وأن كثيرا من الضباط الذين درسوا فى الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتى ، وأظهروا كفاءة فى عملهم العسكرى أبعدوا عن الجيش وعينوا سفراء ، أو وزراء ، أو وكلاء وزارات أو مديرى مصانع أو رؤساء مجالس شركات ! وانه جاء وقت جعلنا الجيش يعمل فى كل شىء الا فى المسائل الحربية ، فكلفناه ببناء السد العالى ، وكلفناه بادارة الاتوبيسات فى شوارع القاهرة ، وكلفناه بتنظيم مستشفى قصر العينى ، وكلفناه بشئون التموين ، وارسلنا وحدات من الجيش لتحاصر قرية كرداسة فى محافظة

الجيزة ، لأن الفلاحين رفضوا أن يسمحوا لبعض الجنود بالقبض على احــد الأهالى . وارسلنا وحــدات من الجيش الى كمشيش باعتبارها معركة حربية مع أسرة الفقى ! وهكذا ابعــدنا الجيش عن مهمتــه الحقيقية وهى الحــرب والاستعداد للحــرب .. وفى وقت من الأوقات نسى بعض قــواد الجيش ان العــدو هو اسرائيــل ، وانمــا اعتبروا العدو الأول هو الشعب المصرى ، فاشتركت الشرطة العسكرية فى عمليات وحشية فى اثناء تطبيق الحراسة ، وخرج من الجيش عدد من أحسن ضباطه لانهم اصهار أو اقارب أسر وضعت تحت الحراســة ، أو لأنهم اقارب بعض المسجونين السياسيين أو المعتقلين السياسيين . وعاش الضابط المصرى فى جو من الارهاب والجاسوسية والتقــارير السرية ، واصبح كل ضابط قلقا على مستقبله وعلى حريته وعلى حياته . وقبض على عدد كبير من الضباط ، وزج بهم فى السجن الحربى وفى المخابرات ، بلا ذنب ولا جريرة ، سوى وشاية ، أو نكتة ، أو كلمة ، قالتها زوجة الضابط فى احدى الزيارات ! وعاش الجيش فى جو من الرعب والارهاب . ولم يتنبه المسئولون الى أن الخائفين لا يستطيعون أن يحاربوا ، وأن كل من يحارب يجب أن يتجه ببصره الى الأمام ، لا أن يلتفت حواليه وخلفه ليحمى نفسه من الذين يكتبون التقارير السرية عنه .

وجاء وقت لم يعد كبار الضباط مهتمين بالتدريب والتعليم والثقافة العسكرية ، بقدر اهتمامهم بارضاء رؤسائهم . فقد أصبحت الحظوة هى الوسيلة الوحيدة للوصول الى المناصب العليا . وأصبحت قوة الشخصية والشجاعة والجرأة والزهد فى المناصب ، وعدم الركوع امام الرؤساء هى جرائم تستوجب الاحالة الى المعاش وأصبح اهتمام كثيرين من كبار الضباط موجها الى الخروج من الجيش لتولى مناصب السفراء والوزراء والمحافظين ورؤســاء مجالس الادارات .. وتوهم القائمون بالأمر فينا أن الجيش ممكن أن يحكم وأن المدنيين يمكن أن يحاربوا ! فلا استطاع العسكريون أن يحكموا ، ولا استطاع المدنيون أن يحاربوا .

ولقد سالت مرة الرئيس جمال عبد الناصر عن السبب الذى يجعله يسند المناصب المدنية الكبرى الى العسكريين ، ويفضلهم على المدنيين .. فقال لى لأن المدنى عندما يتلقى الأمر يضيع الوقت

فى مناقشته . أما العسكرى فعندما آمره أن يدخل فى الجدار ، يدخل فى الجدار بدون مناقشة أو تردد !

قلت له : وماذا يستفيد البلد من دخول العسكريين فى الجدران ؟

قال الرئيس : نحن فى ثورة . والعسكريون قادرون على تنفيذ الأوامر بسرعة وبجراة وبغير مناقشة .. أما المدنى فهو بطبيعته متردد وبطىء . ونحن لا وقت عندنا للتردد والبطء !

والواقع أن الاندفاع لم يكن انطلاقا . والتسرع لم يكن سرعة .. فان كثيرا من أخطائنا كان من الممكن تلافيها لو درست وفحصت . ولو أن هذا الحشد العسكرى مثلا بحث ونوقش لتلافينا الكارثة . ولكن الذى حدث أن الرئيس أمر .. واستجاب القواد للاوامر بلا مناقشة ، ودخلوا فى الجدران !

ثم أن الجيش المصرى أرسل فى السنوات الأخيرة فى مهام غير حربية وانما فى مهام سياسية ، فقد أرسلنا قوات مظلات الى الكونغو ومعها تعليمات بأن تساند حكم الرئيس لومومبا .. وحاولنا أن ندير سياسة الكونغو وكانت الكارثة أن سقط حكم لومومبا ..

وأرسلنا الجيش المصرىى الى الجزائر ، فى خلاف بين الجزائر والمغرب ، ولم يكن معقولا تكليف الجندى المصرى بقتل جندى عربى ، لخلاف بين حكومتين !

وارسلنا الجيش المصرى الى العراق ليسند حكم الرئيس عبد السلام عارف وليست مهمة الجيش المصرى أن يتدخل فى الشؤون الداخلية لبلد عربى ، وخاصة أنه قيل أن الرئيس العراقى غير مطمئن للجيش العراقى ، ولهذا أرسلنا له الجيش المصرى . فكيف نضع الجيش المصرى فى موضع الرقيب على الجيش العراقى — وكيف نقبل أن يعرف شعب العراق اننا نسند الرئيس العراقى بحراب مصرية .

ثم كانت معركة اليمن . وقد تصورنا فى أول الأمر اننا نكسبها بمائة جندى من قوات المظلات . ثم ارتفع العدد الى الف . ثم عشرة

آلاف . ثم أغلب قوات الجيش المصرى .. وقيل لنا أن الغرض من هذه الحرب هو أن يتدرب الجيش المصرى على القتال استعدادا لحرب اسرائيل ، ثم ظهر أن طبيعة الحرب مع سكان اليمن : وطبيعة الأرض ، وطبيعة الجبال تختلف عن طبيعة أرض اسرائيل ، ولم تستفد مصر من هذه الحرب الا خسارة شبابها وخسارة ٤٠٠... مليون جنيه لو أنها أنفقتها على شعب مصر لعاش كل فرد فيها فى رخاء ، وأصبح لكل عامل فيها بيت ، واصبح كل فلاح يملك قطعة أرض يزرعها !

ولقد كانت معلوماتى عن اهمال القيادة فى الجيش المصرى وعبثها تخالف المعلومات التى لدى الرئيس عبد الناصر .. وتخالف التصريحات الوهمية التى كانت الرقابة تصر على أن تنشرها الصحف بالعناوين الضخمة فى صفحتها الأولى . وتخالف المقالات التى كان الخبراء العسكريون يقولون فيها اننا أكبر قوة ضاربة فى الشرق الأوسط .

عندما دخل الرائد محمد كمال الدين الى زنزانتى ليبلغنى انباء الانتصارات الهائلة ، تذكرت على الفور يوما كان الأستاذ محمد فهمى السيد المستشار القانونى لرئيس الجمهورية يتعشى معى فى بيتى فى الاسكندرية ، وكان معنا الملحق العسكرى الأمريكى . وجرت مناقشة عن اسرائيل وتأييد أمريكا لاسرائيل ، وتصورها انها القوة العسكرية التى يمكن أن تحمى مصالح الغرب فى المنطقة .

واذا بالملحق العسكرى الأمريكى يقول لنا بصراحة ان المعلومات الرسمية التى لديهم تؤكد ان الجيش الاسرئيلى قادر على هزيمة الجيش المصرى ، وأنه أقوى تدريبا على مختلف الأسلحة من الجيش المصرى . وان نسبة مستوى تدريب الطيران الاسرائيلى ٦٨٪ بينما نسبة الطيران المصرى ٣٤٪ وأن نسبة مستوى تدريب المدفعية الاسرائيلية ٥٧٪ بينما نسبة المدفعية المصرية ٤٦٪ . وأن نسبة تدريب الدبابات الاسرائيلية ٦٨٪ ونسبة مستوى تدريب الدبابات المصرية ٤١٪ ومضى يذكر مستوى النسب لباقى الأسلحة ويدلل على تفوق التدريب الاسرائيلى على التدريب المصرى .

وبعد خروج الملحق العسكرى الأمريكى أتفقت مع محمد فهمى السيد على أن هذه معلومات خطيرة جدا ويجب أن ابلغها لرئيس الجمهورية فورا . وتحمس المستشار القانونى لهذا . واتصلنا بالرئيس تليفونيا بعد منتصف الليل ، وطلبت مقابلته لأمر هام ، فحدد لى الموعد فى الساعة الأولى بعد ظهر اليوم التالى . وذهبت الى الرئيس فى منشية البكرى وابلغته نص ماسمعناه فقال الرئيس: غريبة ! ان عندى تقارير من الخبراء الروس بعكس هذا . انهم يؤكدون ان الجيش المصرى أصبح أقوى جيوش الشرق الأوسط تدريبا وسلاحا . والخبراء اليوغوسلافيون يقولون نفس الشىء .

وقلت للرئيس : قد يكون الملحق الأمريكى قصد تهويشنا ، وقد تكون هذه المعلومات صحيحة .. فلماذا لا نحقق فيها . فاذا تأكدنا أنها معلومات صحيحة نعالج ما لدينا من أخطاء ، واذا كانت كلاما فارغا فهمنا أن أمريكا تريد أرهابنا وخداعنا بتصوير قوة غير حقيقية لاسرائيل .

وقال الرئيس : سوف استدعى عبد الحكيم ..

وقام الى التليفون وطلب أحد كبار القواد فى القيادة العامة ، وبعد نصف ساعة تقريبا وصل القائد الكبير ، وطلب منى الرئيس أن أروى للقائد ما سمعته .

ورويت للقائد ما حدث ..

وقال لى القائد فى هدوء : هل أنت وطنى ؟

قلت : نعم .

قال : اذن اذهب فوراً من هنا الى السفارة الأمريكية ، وقابل الملحق العسكرى الأمريكى ، وقل له (.....) كلمة نابية !

قلت : لا استطيع أن اقول له هذا .

قال القائد : قل له أن فلانا يقول لك (.....) .

قلت : ولا أستطيع أن اقول له هذا باسمك ؟

قال : لمــاذا ؟

قلت : أولا هو لم يطلب مني أن انقل اليك هذه المعلومات حتى اذهب اليه واقول له هذه الكلمة . ثانيا لا يوجد فى اللغة الانجليزية هذه الشتيمة ! انهم يقولونها فى أمريكا اللاتينية ولكن لا يقولونها فى أمريكا . وهم فى لبنان يشتمون الأخت ولا يشتمون الأم .

قال القائد المصرى : انت خائف .

قلت : أنا لست خائفا .. أنا أرى أن نبحث هــذه المعلومات ونتحقق هل هى حقيقة أم كذب .

قال القائد المصرى : تعال غدا احضر المناورة العسكرية وسترى بنفســك .

قلت : أنا لا افهم شيئا فى الشئون العسكرية ، ولا استطيع أن احكم على تدريب الطيران أو المدفعية أو الدبابات .. ان هذا من اختصاص الخبراء العسكريين .

قال القـــائد المصرى : الخبــراء العســــكريون الروس واليوغوســلافيون والمصريون يؤكدون أن الجيش المصرى أقوى جيش فى المنطقة وقادر على أن يضرب اسرائيل بسهولة . والملحق العسكرى الحمار يقول غير هذا فهل نكذب جميع الخبراء ونصــدق الحمار !

وأحسست يومها بأن الرئيس عبد الناصر مقتنع كل الاقتناع بقوة الجيش المصرى ، وبأن تقارير الخبراء صحيحة .

ترى أى التقارير هى الصحيحة وأيها هى الكاذبة !

أرجو ان أكون مخطئا فى تقديرى ، وهو اننا لم نخصص الجيش المصرى للحرب وانما خصصناه للدفاع عن النظام ..

قبل الحرب بأيام نشرت الصحف أن اتحاد كرة القدم عقد اجتماعا لمدة ١٠ ساعات برياسة المشير عامر رئيس الاتحاد والقائد العام

للقــوات المسلحة وبحضور الفــريق عبد المحسن مرتجى رئيس النادى الأهلى وقائد الجيش والفريق سليمان عزت رئيس النادى الأوليمبى وقائد البحــرية والفريق صدقى محمــود رئيس نادى الطيران وقائد الطيران لبحث هل ينقل لاعب الكرة لمعى من نادى المنصورة الى النادى الأهلى ..

تصور قائد عــام الجيش وقائد الجيش وقــائد البحرية وقائد الطيران يجتمعون قبل المعركة بأيام لمدة ١٠ ساعات لا ليضعوا خطة المعركة ، وانما ليبحثوا فى نقل لاعب كرة من ناد الى ناد !

وبعد ذلك يسألوننى لمــاذا نتوقع هزيمة الجيش المصرى .

لقاء مع الهزيمة !

سجن ليمان طره

يونيو سنة ١٩٦٧

عـزيزتى

فى اثناء الغارة الاسرائيلية مساء امس ابلغ احد الحراس الواقفين على السور انه راى وهج سيجارة ينبعث من نافذة زنزانة من الناحية الأخرى للطابق الرابع الذى أقيم فيه .

والتعليمات هنا الا نشعل سجائر أثناء الغارات .

واشار الحارس الى نافذة ، وكانت نافذة الجاسوس الألمانى لوتز المحكوم عليه بالمؤبد لأنه سرق أسرار المطارات العسكرية وسلمها لاسرائيل .

واستنتج مأمور العنبر أن الجاسوس الاسرائيلى يعطى اشارات بالسيجارة لطائرات الأعداء . وصعد المأمور الى الطابق الذى فيه المسجونون السياسيون وقال انه سيجمع جميع المسجونين السياسيين ويضربهم بالرصاص .

ومع أن الحارس اعترف بعد ذلك فى التحقيق بأن ما ظنه سيجارة لم يكن الا وهج قنبلة من القنابل التى تطلقها المدافع المضادة للطائرات ، الا أن الأعصاب كانت مشدودة ، فصدر قرار بعقاب جميع المسجونين السياسيين الموجودين فى الطابع الرابع ، وانزالهم جميعا الى الطابق الأرضى فى العنبر الذى كان مخصصا لمرضى السل ، وبعد ذلك تحول الى ملحق لعنبر التأديب . .

وتحملت هذا العقاب برضا ،ولم اشك ، ولم احتج ، ولم اعترض لأنني كنت اشعر بأننا في معركة ، وان هذا اقل ما يمكن أن نتحمله اثناء الحرب من أجل بلادنا . ولم تهتز اعصابي لهذه المعــاملة الظــالمة ..

وكانت زنزانتي الجديدة في الطابق الأرضي مترين في مترين . الهواء لا يدخلها . واشعة الشمس لا تطرق بابها . نعيش في ظلام دامس لأن الكهرباء منعت عنا . لم اكن استطيع أن اقرأ ولا أكتب . لم أخرج للفسحة خارج الزنزانة . ضاعف من سوء حالتي ان الزنزانة التي وضعوني فيها مليئة بكميات هائلة من البق ، وطوابير ضخمة من النمل والناموس والصراصير والذباب . أمضيت الوقت أحارب الحشرات . وقد خسرت هذه الحرب . لا أكاد اقضي على طابور منها حتى يدخل من الشقوق طابور جديد . أمام الزنزانة ردهة ضيقة ، لا تكاد تمشي فيها خطوة حتى تسقط فوق الأتربة والميــاه القذرة وبقايا الطعام من الأدوار العليا ، والكناسة ، والمعلبات الفاضية . كأنها قنابل تسقط فوق رؤسنا . كان هذا المكان أشبه بصندوق قمامة العنبر كله تلقى فيه قمامة العنبر ، فوق رؤوسنا .. الميزة الوحيدة ان دورة المياه في نفس الطابق ، وكنت اضــطر الى الاستحمام سبع وثماني مرات في اليوم بسبب شدة القذارة . بعد كل حمام بدقيقة كنت اشعر انني في حاجة الى حمام جديد .

كان المسجونون متحمسين اثناء اذاعة البلاغات الحربيــة .. كانوا يصفقون ويهللون ويرقصون ويزغردون عقب اذاعة كل بلاغ حربي في الاذاعة . أما أنا فقد كنت أشعر من لهجة البلاغات الحماسية انها مكتوبة في المكاتب في القاهرة وليس في ميدان القتال . وكانت المبالغة في وصف الانتصارات توحي لي بأنها تخفي هزائم كبــيرة .. ولكن المسجونين العاديين فهموا البلاغات الحربية على اننــا على أبواب تل أبيب . ولــما جاء البلاغ الحربي يقول ان الجيش المصري انسحب الى خط الدفاع الثالث غرب القناة صاح عدد من الضباط المحكوم عليهم في قضايا المخدرات .. خلاص الكماشة انطبقت على الجيش الاسرائيلي .. وكانت زنزانتي مغلقة علي ، وفهمت من هذا البلاغ الذي هللوا له اننا فقدنا سيناء كلها وخاصة انني أعرف انه لا يوجد شيء اسمه خط الدفاع الثالث ! وعرفت عنــدئذ

انها الهزيمة التى توقعتها ! احسست أن مطرقة هائلة سقطت فوق رأسي . هرستني . حطمتنى . احسست ان قامتى قصرت فجأة . أصبحت قزما ، بل تصورت أن المصريين كلهم تضاءلوا وصغروا وأصبحوا أقزاما . لم يعد فى البلد طويل واحد . الطويل انحنت قامته . أو ركع على قدميه . أو أصبح يزحف على الأرض . الشعور بالهزيمة هو شعور بالذل ، بالضعف بالهوان ، بالسقوط ، بالضآلة ، بالضعة . شعرت اننى خجلان من نفسى . لا أريد أن أرى وجه أحد أو يرانى أحد . حمدت الله على اننى فى السجن حتى لا أواجه الناس . اننى خجلان من أهل وطنى الذين مكثت سنوات طويلة انقل لهم تصريحات المسئولين عن قوة مصر واستعداد مصر وجيش مصر ..

وفى الصباح لم استطع أن أغادر زنزانتى . لأول مرة منذ دخلت السجن اهتزت أعصابى . وامتلأت عيناى بالدموع . أحسست بقلبى يتمزق . ماقضينا كل هذه السنوات فى تشييده وبنائه تهاوى وانهدم وتحطم فى بضع ساعات . الهزيمة عذبتنى أكثر من تعذيب صلاح نصر وحمزة البسيونى . اذلتنى . كسرت قلبى . أحسست اننى أصبحت أشلاء متناثرة . حاولت أن أجمع بعضها الى بعض فلم أستطع .

ودخل على زميلى المسجون السياسى انور زعلوك ومعه عدد من المسجونين فوجدونى أبكى بكاء حارا . فوجئوا لأنها اول مرة يروننى أبكى فيها . سألونى لماذا تبكى ؟ قلت : أبكى على بلدى . قالوا دهشين : ولكنك كنت الوحيد هنا الذى كنت تتوقع الهزيمة قبل أن تقع . قلت : ومع ذلك فوجئت بها . كنت أتمنى لو كنت مخطئا ، وكان الجميع على حق فى أوهامهم . كنت اتمنى أن أكون مخدوعا وحدى بدلا من أن تكون دولتى كلها مخدوعة . ثم اننى لم أتوقع أن تكون الهزيمة كبيرة الى هذا الحد ، ولا أن تكون سريعة . ان مصيبتنا كبيرة لأن العالم كله شمت فينا . كنا نبالغ فى قوتنا . خدعنا أنفسنا ولم نخدع عدونا . كذبنا على شعبنا بينما عرفت اسرائيل الحقيقة . ما حدث لنا هو واحد زائد واحد يساويان اثنين . نتيجة منطقية لتصرفاتنا . نحن كنا نحارب على الورق وننتصر على الورق . وصدقنا التقارير التى تخصصت فى التلفيق

فلفقت لنا اكاذيب عن ضعف أعدائنا كما كانت تلفق التهم والمؤامرات للأبرياء ! كان من رأيى دائما أن الارهاب لا يلد أسودا . أنه لا يلد الا الارانب . الحرية وحدها هى التى تلد الأسود التى تحارب وتنقض ولا تجرى فى الصحراء كالفيران ! نحن الذين هزمنا أنفسنا قبل أن يهزمنا عدونا . قضينا على الكفايات وأبرزنا الامعات . نسينا أن الذين يرتبون المواكب لا يصلحون لوضع خطط الحروب . قربنا الضعفاء ، وأبعدنا الاقوياء . جعلنا الذيول مكان الرؤوس ، والرؤوس فى موضع الذيول ! جعلنا من أوهامنا حقائق ، ومن احلامنا وقائع ، ومن هذياننا فلسفة . ما حدث لنا كان لا يمكن أن يحدث لولا حكم الفرد وعبادة الفرد . لا يستطيع فرد واحد أن يحيط بكل شىء ويعرف كل شىء ويدير كل شىء . لو أن البلد فيه حكومة حقيقية من وزراء حقيقيين . لو أن الحكومة فيها برلمان يستطيع أن يعارض وينتقد . لو أن مصر فيها صحافة تستطيع أن تكشف عن الأخطاء والجرائم لأمكن تفادى كل ما حدث من كوارث ونكبات !

وفى بعض الأحيان كنت أصاب فى جنونى بحالة غرور وأقول لنفسى لو كنت خارج الأسوار لما حدث كل ما حدث . اننى أذكر كيف أننى فى عام ١٩٥٥ أبلغت الرئيس عن موعد هجوم غادر دبرته اسرائيل وعن مكانه ، وعن عدد المهاجمين قبل أن يحدث هذا الهجوم بثمان وأربعين ساعة . يومها استعد جيشنا لهذا العدوان ، وضرب قوات اسرائيل المهاجمة ، وقال لى الرئيس يومها ان ما فعلته من اجل بلادك فى هذه المناسبة يساوى فرقة حربية كاملة !

واذكر كيف أن أخى على أمين أبلغ الرئيس بالعدوان البريطانى قبل أن يحدث هذا العدوان بأسبوعين .

ان الذين وضعونى فى السجن لم يكونوا يعرفون أنهم جردوا بلادنا من سلاح من أهم أسلحتها . اننى أؤمن بأن ما حدث لنا هو أننا فوجئنا بالهجوم . لم نصدق أن اسرائيل ستهاجمنا . تصورنا انها تهوشنا . ان الذى يقرأ الديلى تلغراف قبل المعركة بأسبوعين يجد أن المراسل الحربى المعروف ويلسون ، المشهور باطلاعه الكبير ، قال ان اسرائيل ستهاجم المطارات المصرية فجأة وتدمرها ثم تبدأ الهجوم . أى صحفى يعرف من هو ويلسون ، ومبلغ اتصاله

بالمخابرات الاسرائيلية والفرنسية والبريطانية والأمريكية يستطيع ان يعرف بغير مجهود ان هذه أخبار حقيقية وليست استنتاجات !

قلت يوما لأطباء السجن وفي يدي الجريدة : لو كنت خارج السجن الآن لطلبت الرئيس في التليفون وقلت له انتبه . ان اسرائيل ستهاجم المطارات المصرية فجأة !

قال الأطباء ساخرين : هل معقول ان تنشر خطة عسكرية سرية في جريدة ؟ .

قلت : ان الذي يعرف الصحفي ويلسون يعرف انه قادر على هذا!

ويوم اغلقنا مضيق تيران قلت لزملائي ان اغلاق هذا المضيق معناه ان اسرائيل ستحارب . ان ميناء ايلات هي حياة اسرائيل ، واذا فقدت اسرائيل هذا الميناء فقدت أشياء كثيرة .

وعندما طلبنا سحب قوات الطوارىء الدولية ، توقعت أن تستجيب الأمم المتحدة لهذا الطلب على الفور، فاننا عندما اتفقنا على وضع هذه القوات ، ورفضت اسرائيل قبولها على أرضها،اشترطنا في المباحثات التي اشتركت فيها أن من حقنا ان نطلب سحب هذه القوات في اى وقت نشاء وقبل همرشولد يومها هذا الطلب .

كنت أحيانا اقول لنفسي أن الرئيس عبد الناصر لن يفتقدني الا اذا حدث على مصر عدوان كالذي حدث في عام ١٩٥٦ وعندئذ سوف يسترجع في ذاكرته كل ما فعلته لبلادي عندما اختارني للدعاية للمعركة وللاشتراك في المفاوضة على جلاء القوات الانجليزية والفرنسية والاسرائيلية ! وكنت اقول لنفسي أنه غير معقول أن يحدث عدوان كالذي حدث .. وعندما كنت أشعر باقتراب الكارثة كنت أقول لنفسي لعل هناك خارج السجن ، حول الرئيس ، من يستطيع أن يفعل أحسن مما فعلت وفعل أخي . وكنت أصبر نفسي بأنه لابد أن يوجد شبان مصريون غيري ، ربما أكفأ مني ومن أخي يفعلون خيرا مما فعلنا ، ويخدمون أكثر مما خدمنا . ولكن تفاؤلي لم يكن له أي نصيب من الحقيقة . يبدو أننا فوجئنا بكل شيء . وأن الأجهزة التي كانت تقول أنها تعرف كل ما يجري بين الزوج في مصر وزوجته في غرفة النوم ، لم تكن تعرف تحركات القوات والمدافع والدبابات على حدود مصر !

ومع ذلك لم أيأس بعد . مصر خسرت معركة ولم تخسر الحرب كلها . نحن نستطيع أن نحول التقهقر الى نصر . مما يحز فى قلبى اننى فى زنزانتى لا استطيع أن افعل شيئا سوى أن اصلى لبلادى !

يجب أن نجلس على الفور ونضع قائمة بأخطائنا كلها . نسجلها بشجاعة . وأن نتخلص من هذه الأخطاء فورا .

أول هذه الأخطاء هو الحكم المطلق . يجب أن تنتهى الدكتاتورية، ويشترك الشعب اشتراكا فعليا فى الحكم . يجب أن ينتهى الحكم العسكرى والحكم البوليسى . ان اسرائيل هزمتنا بحكومة ديمقراطية . ونحن انهزمنا بحكم ديكتاتورى !

يجب أن نغير القيادة العسكرية تغييرا تاما . نحن فى حاجة الى عسكريين محترفين لا الى عسكريين هواة . يجب أن يتولى القيادة خريجو الكليات العسكرية العليا الذين درسوا الفنون العسكرية فى الخارج لا الذين يكتبون التقارير ، ويقومون بتسلية كبار القواد ..

يجب أن ينسحب العسكريون من كل المناصب المدنية ، ويتخصصوا للحرب فقط .

يجب أن نغير سياستنا العربية . لا وحدة « بالعافية » . وانما الشعوب وحدها هى التى تقرر بملء ارادتها أى نوع من الارتباط تريده مع مصر .

نحن على استعداد لأن نقبل أى صيغة ترضاها أى دولة عربية . لا نريد أن نتحكم فى البلاد العربية ، ولا أن نحكمها ، ولا أن نضمها ، ولا أن نقودها .. نحن نريد قيادة جماعية للأمة العربية .

يجب تغيير وجوه الهزيمة .. الذين قادونا الى الهزيمة لا يصلحون لأن يقودونا الى النصر !

اننى اتوقع معارضة شديدة لأى تغيير .. المهزومون لن يعترفوا بالهزيمة . سوف يعتبرون النصر الحقيقى هو بقاؤهم فى مقاعد الحكم والسلطان !

كل مساحة سيناء لا تساوى شيئا بالنسبة لكرسى الحكم !

المصيبة الكبرى !

سجن ليمان طره

٢٦ يونيو سنة ١٩٦٧

عزيزتى

نقلت مرة أخرى من الطابق السفلى الى الطابق الرابع . قيل لنا أن الحرب انتهت فلا مانع من اخراج المسجونين السياسيين من التأديب ! عدت استنشق الهواء النقى لأول مرة بعد ثلاثة أسابيع . أسوأ ما كان فى زنزانتى فى الطابق الأرضى أنها كانت بعيدة عن الراديو . بينما كنت فى الماضى أتمنى لو كنت بعيدا عن سماعة الاذاعة فقد كان صوتها يكاد يخرق أذنى . أما الآن — فى أثناء الحرب — كنت أتشعلق فى نافذة الزنزانة . أحاول أن أسمع صوت الاذاعة من بعيد وكأنه دبيب النمل .

كنت أتتبع الأخبار من لحظة الى لحظة . عدد من زملائى المسجونين السياسيين هربوا أجهزة راديو الى داخل الزنازين . أصبح كل واحد منهم متخصصا فى اذاعة معينة . بهذه الطريقة أنشأنا داخل السجن قسم استماع كالذى أنشأته فى أخبار اليوم .

اذاعة العالم تتحدث عن ضخامة حجم الهزيمة . لا تزال اذاعتنا تحاول أن تكذب على الناس . أطلقت الدولة عددا من الاشاعات الكاذبة لرفع الروح المعنوية . اشاعوا أن قطارا محملا بالأسرى الاسرائيليين وصل الى محطة القاهرة وفيه ألوف الأسرى .

فوجئت بأن عدد الأسرى الاسرائيليين الحقيقى كان ١١ أسيرا اسرائيليا مقابل عشرات الألوف من الأسرى المصريين . اشاعوا أن الشاذلى كان يقود لواء داخل اسرائيل وأنه استطاع أن يقتحم الجيوش الاسرائيلية فى سيناء ، ويصل الى القناة ومعه جنوده

واسلحته ودباباته والوف الأسرى الاسرائيليين . تبينت أن هـذه الاشاعة أيضا غير صحيحة . ما زلنا نكذب . لم نتعلم مما حـدث لنا ان كل ما جرى هو أننا عشنا نكذب سنوات طويلة حتى صدقنا انفسنا . لا أمل الا اذا بدأنا نتعلم أن نقول الحقيقة .

كان تشرشل يخطب فى أسوأ أيام هزائم بريطانيا ويواجه الشعب بالحقيقة ولهذا السبب انتصرت بريطانيا . أما الشعب الألمانى فقد عاش على أكاذيب جوبلز وزير الدعاية حتى وقعت الكارثة . من العجيب أن نتعلم من المهزوم ولا نتعلم من المنتصر !

قال لى الأستاذ الهضيبى أنه لا يمكن أن تنتصر مصر وفى سجونها ألوف الأبرياء والمظلومين . وان ما حدث هو عقاب من الله للذين اشركوا بالله وعبدوا الفرد ، والذين جعلوا من الميثاق قرآنا !

سمعت الملك الحسن يقول فى الاذاعة أننا نسينا الله فنسينا الله !

لاحظت أن الهزيمة جعلت كثيرين خارج السجن يصلون . عدد كبير من المسجونين تلقوا خطابات من أولادهم الذين لم يصلوا من قبل يقولون أنهم بدأوا يؤدون فرائض الصلاة .. العودة الى الايمان ظاهرة هامة تستحق التسجيل وخاصة اذا كانت بين الشباب .

وفى كل يوم ازداد يقينا بأن الذين أصابتهم الهزيمة هم الجنود والضباط الذين سيقوا الى المذبحة بغير اعداد . هم الشعب الذى سيدفع ثمن الأسلحة التى خسرناها مرة أخرى ، بعـد أن استولى الاسرائيليون على جميع أسلحتنا . هم الجيل الذى عاش فى خديعة كبرى ، وفتح عينه فجأة على هزيمة مروعة بعد أن عاش سنوات طويلة على أوهام وأكاذيب . وسوف يصاب هذا الشباب بردة ، فلا يثق بأحد ، ولا يحترم أحدا ولا يصدق أحدا . وسوف تقـال له بعد ذلك الحقيقة فيشك فيها ويسخر منها ولا يصدقها ! الهزيمة التى أصبنا بها ليست هزيمة جيش فقط ، انما هزيمة لأحلام هذا الشعب . وأنا مؤمن بأن فى استطاعة هذا الشعب أن يسترد روحه المعنوية اذا صارحناه بالحقائق ، واذا غيرنا أسلوب الحكم ، واذا فتحنا النوافذ وأضأنا الأنوار ، واذا عاملنا هذا الشعب كرجل كامل الأهلية ، لا طفل نضعه تحت الوصاية أو محجور عليه بواسـطة المجلس الحسبى ، باعتبار الحكومة هى القيمة على القصر والسفهاء والمجـانين .

وحتى الآن لم أر أى محاولة للسير فى الطريق الصحيح . الاذاعة تقول « خسرنا الأرض ولم نخسر النظام » ! بمعنى أن بقــاء الحكومة الحاضرة أهم ألف مرة من ضياع سيناء وهى ثلث مساحة مصر ، وضياع كل هذا الشباب . وضياع كل هـذه الأسلحة ، وضياع سمعتنا فى العالم .

هذه العقلية هى سبب نكبتنا . واذا استمرت فسوف تستمر النكبة واكبر دليل على أن لا شيء تغير فى عقلية الحكم ، أن وزير الداخلية أرسل خطابا سريا الى السجن يطلب فيه : أنه ابتـداء من اليوم تكون زيارة أسرتى لى فى « السلك » أى لا تتم الزيارة فى غرفة الضابط ولا فى المستشفى بل فى غرفة أشبه بقفص القرود فى حديقة الحيوانات ، بحيث يفصلنى عن أولادى وأسرتى سـلك سـميك !

ولم افهم سبب هذا العقاب الا اذا كان وزير الداخلية يعتبرنى مسئولا عن هزيمة ٥ يونيو ! أو أنه تقرر نقل ميدان القتال من سيناء الى سجن ليمان طره ، فتوقفت الحرب مع الاسرائيليين وبدأت الحرب على المصريين !

ان الذى أصـدر هذا القرار يعرف أننى مريض بالنقـرس والروماتيزم والسكر ، ولا أستطيع الوقوف على قدمى أثناء الزيارة . ومع ذلك فأمرى الى الله ، وسوف أقابلكم فى السلك ، ومن رأيى الا يحضر الأولاد فى زيارة السلك لأن منظر السلك الذى يفصلنـا سوف يحطم أعصاب الطفلتين .

ومما جعل الحالة تسوء أن ضـابطا جديدا جاءنا فى العنبر . وللغربال الجديد شدة كمـا يقولون . ولهذا يشتد فى معاملتنـا باعتبارنا أسرى من الأعداء .. ! ولعل الاشاعة التى تقول ان لدى مصر ٥٠ الف أسـير من الأعداء مقصود بها عـدد المسجونين السياسيين والمعتقلين السياسيين . فقد بلغ عدد هؤلاء فى ٥ يونيو أكثر من خمسين ألفا ! أما الأسرى من اليهود فلم يزد عـددهم على ١١ .. ويظهر أننا تخصصنا فى هزيمة المصريين ونسينا كيف نهزم الاسرائيليين ! .

أصبحت الحياة صعبة فى عنبر المسجونين السياسيين . كل شيء

أصبح صعبا . تعليمات جديدة بالا يزيد حجم الخطاب على صفحة واحدة . تفتيش دقيق مستمر للبحث عن الورق والقلم فى زنزانتى. عمليات خروج ودخول المسجونين من العنبر أصبحت غير سهلة . ان من عادتى كلما اشتد الحصار أن أتحدى هذا الحصار بمضاعفة الخطابات المهربة . أحسن وقت لمخالفة القوانين هو فترة الشدة والبطش والارهاب .

لا تتصوروا أن حياتى أصبحت لا تطاق . أبدا اننى اعتدت أن أعود نفسى على أى نوع من أنواع الحياة . الحسن والسيىء . احتمل كل معاملة . لا تشغل رأسى هذه المسائل الصغيرة . اننى أعيش فى دوامة الأحداث والأخبار . لا تهمنى الا أحوال بلادى . عندما كانت القنابل تدوى بشدة لم أشعر بخوف أثناء الغارات كنت افكر فيكم وفى الأولاد . الذى يضايقنى أن الصحف وأجهزة الاعلام تحاول تضليل الناس ، وأفهامهم أن الجيش المصرى قادر على أن ينتقم لهذه الهزيمة بعد أيام . هذا التضليل يجب أن يتوقف . يجب أن نعد الشعب ليعرف أن المعركة طويلة . لأن الهزيمة كانت كبيرة .

سألنى مدير الليمان اليوم : كيف عرفت قبل قيام الحرب أن الجيش المصرى سيهزم ؟

قلت : لأننى أعرف أن القيادة غير صالحة ! وكنت أقول هذا صراحة لجمال عبد الناصر .

سألنى : وهل غيرك يعرف هذا ؟
قلت : طبعا .
قال : ولماذا لم يقولوا لعبد الناصر ما قلته أنت له ؟
قلت : لأنهم عرفوا ما جرى لى !
وهز مدير الليمان رأسه بأسى وقال :

ــ هل تعرف أنه لا يوجد جندى مصرى واحد ولا بندقية مصرية واحدة من القناة الى القاهرة !

قلت : أعرف !
قال : هذه مصيبة !
قلت : المصيبة الأكبر أننا لا نزال نرتكب نفس الأخطاء !

بعد ٤ أشهر في الجحيم
تنسى أنك في الجحيم

سجن ليمان طــره

٢٧ يونيو سنة ١٩٦٧

أخى العزيز

واخيرا ... « شرفَ حبيب القلب بعد طول الغياب » . كما تقول الأغنية القديمة . وصل خطابك المتأخر جدا المؤرخ فى ٧ أبريل . وصل بعد شهرين وسبعة عشر يوما . هذا الخطاب الذى انتظرته طوال الشهور والأسابيع والأيام الماضية ، حتى يئست تماما من وصوله . فهمت أن الخطاب اختفى ولن اتسلمه ولن أعرف مافيه. أسلمت أمرى الى الله ، راضيا أن أفقد خطابا واحدا كل ثمــانية خطابات . وهى نسبة محترمة لأى بريد عالمى ! كنت أريد أن أعرف ماذا فى هذا الخطاب بالذات حتى يتعثر فى الطريق . وينكفىء على وجهه . ولا يصل الى على الاطلاق . ثم قرأت الخطاب بالطول والعرض . ومن اليمين الى الشمال . ومن الشمال الى اليمين . ومن فوق الى تحت . ومن تحت الى فوق ، حتى أعرف سر تأخير الرقيب له ، فلم أجد فيه شيئا يستحق كل هذا التأخير الطويل . كل ما فيه انك تفكر فى السفر الى بيروت لتشرف على تجديد مجلة الصياد ، وتتحدث عن مساوىء الطبع فى مجلة حواء ، ووفاة هدية بركات ، واحتمال عودة جورج براون الى الحكم ، والجزء الثانى من مذكرات هارولـــد ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا السابق ،

وتفكير صديقنا رمسيس نصيف أن يتزوج للمرة الثالثة .

وليس فى كل هذه الأخبار خبر يقلق الأمن العام أو يهدد سلامة الدولة ، ولابد أن الخطاب كان « مدشوتا » فى أحد الملفات !

لا تتصور سرورى بهذا الخطاب المفقود . أطمأننت الى أن كل خطاباتك تصل الى بسلامة الله . ومهما تأخرت فسوف تصل الخطابات فى يوم من الأيام . ولا داعى لتشاؤمى كلما تأخر خطاب من السلسلة . فأضرب أخماسا فى أسداس وأسداسا فى اخماس . وأخلق من الحبة قبة . ومن القبة حبة . وأحرق أعصابى . وأشغل مخى فى محاولة استنتاج أسباب تأخر خطاب معين ، وما يمكن أن يحويه مثل هذا الخطاب الضائع . عذرى أن لا عمل لى فى السجن الا التفكير . فى الماضى « كان القاضى يعمل قاضى » . أما الآن فهو يعمل « مفكر » يستنتج من كل كلمة ، ويستخرج من كل سطر ، واذا كان تقسيم الذرة يحدث انفجارا فى الكون ، فان تقسيم الكلمة يحدث انفجارا فى الدماغ !

مع نفس خطابك المؤرخ فى ١٧ ابريل وصل خطابك المؤرخ فى ٢ يونيو . الفرق بين الخطابين ٤٦ يوما . ومع ذلك وصلا فى يوم واحد .

يوم وصل خطاب منك هو عيد عندى . فى هذا اليوم لا افكر فى شىء . انسى كل همومى ومتاعبى ولا أذكر سوى هذا الخطاب .

كنت اريد أن اكتب الى الأخ سعيد فريحة أشكو ما أصاب قصتى المسلسلة من بهدلة ! لننى أشكو لطوب الأرض فعلا . لأن أحدا هنا لا يعرف أننى اكتب قصصا وأهربها الى بيروت ! لقد فوجئت بالقصة منشورة بشكل غريب . جزء من فصل أضيف الى فصل

آخر ! الذى اتصوره ان كل فصل من هذه القصة قائم بذاته تمــاما كما يضيف سكرتير التحرير مثلا الى قصيدة من الشعر بيتــا من بحر مختلف ، او من قافية اخرى او من وزن آخر او من قصيدة اخرى ! ربما ان فن غير المعقول دخل بدون علمى فى فن توضيب الصفحات . المفروض فى كتابة القصة المسلسلة ان يكون لخاتمــة كل فصل رنين . اما وضع جزء من بداية الفصل الثانى فى نهايــة الفصل الأول فهو اشبه بوضع جزء من اغنية ام كلثوم « هـــذه ليلتى » فى نهاية اغنية « الف ليلة » ! لم افهم بعد هذا الفن السريالى القصصى . لابد ان هناك حكمة غابت عن ذهنى . لو كانت القصة اصغر من الحيز المقرر فيمكن ان يوضع فيه مثلا اعلان عن مجلة الصياد أو عن ملحــق الأنوار او عن اى شىء . اللهم الا اذا كان الفصل الثانى طويلا جدا يعجز سكرتير التحرير ان يفعل شيئا سوى تقسيمـــه بين مختلف الفصول . كما يحــدث مثلا ان تزدحم الطائرات ، ولا يجد أحدالركاب مكانا فى الطائرة ، فتقطع شركة الطيران الراكب الى ثلاثة اجزاء ، وتضع كل جزء فى طائرة . وهذه فكرة جهنمية اقترح بيعها لاحدى شركات الطيران !

وسررت كثيرا للنبأ الذى جاء فى خطابك الاخير بأن التجــديد فى جريدة الأنوار ومجلة الصياد على الأبواب . بعض ابــواب الصياد فى حاجة الى التجديد والى مادة حية . حتى صفحة الفن اختفت منها الأخبار واصبحت تنشر بحوثا عن الموسيقى لا تهم الا علماء الموسيقى . من رايى خلق باب المجتمع من جديد وتحويله الى مجتمع البلاد العربية . انه الآن عبارة عن اعلانات مجانية عن اشخاص لا يعرفهم أحد ، ولا يهمون احدا ! لا يزال من رايى التنويع والتجديد والابتكار المستمر . بعض الكتاب الذين احبهم واعجب بهم اصبحوا يكتبون كل اسبوع فى موضوع واحد . الكاتب الساحر الموهوب جورج جرداق يكتب كل اسبوع ان لبنان لا يساوى حذاء

قديما أو على حـــد تعبيره « قردة صرماية قديمـــة » ! والكاتب العبقرى سعيد عقل يكتب كل أسبوع أن لبنان هو اعظم بلد فى العالم .. الا يمكن ان يكتب جورج جرداق عن قردة حذاء اخرى ، أو يكتب سعيد عقل عن احدى الدول الصغرى كالاتحاد السوفيتى أو الولايات المتحدة أو الصين مثلا !

ولا اوافق أن تنشر مقال سعيد فى مجلة الصياد فى نفس اليوم فى جريدة الانوار . ان هذا يضعف الصياد . المفروض أن تتميز الصياد بشىء نظرا لارتفاع ثمنها . يجب أن يجد القارىء فى مجلة الصياد مالا يجده فى اى صحيفةأخرى . شىء مختلف . المفروض ان مجلة الصياد تكون اخف دما من الانوار . وأكثر جرأة ، وأوسع فى دائرة اهتماماتها .

ولكن الذى الاحظه الآن ان « الأنوار » أخف دما من الصياد وأكثر حيوية . ان من رايى توحيد الأسلوب فى مجلة الصياد . مدرسة سعيد فريحة الساخرة يجب ان يكون لها تلاميذ .مصيبتنا اليوم فى الصحافة هى اننا أصبنا بطاعون الفلسفة . كل من يكتب يريد ان يكون فيلسوفا . ومن شروط الفيلسوف فى رايهم الا يفهم احد ما يقول . أن يكتب وكانه يحاضر فى الجامعة . من حق الكاتب الصحفى أن يتفلسف مرة أو مرتين فى العام . من الخطأ أن تتحول المجلة الانتقادية الى كتاب فلسفة . القارىء لا يدفع ثمن الجريدة ليحضر حصـــة فلسفة فى الجامعـــة . اذا كان لابد من الفلسفة فخصصوا ملحق الأنوار مثلا للفلسفة ، بينما تشتغل باقى الصحف والمجلات بالصحافة ! اريد مجلة الصياد فى كل بيت عربى . أن يجد فيها القارىء كل أحداث البلاد العربية : سياسة . فن . اقتصاد . رياضة . أخبار صحفية . المشروعات الجديدة . الاصلاحات . الاتجاهات الفكرية . المخترعون والعلماء من ابناء الأمة العربية .

الصفقات المالية الكبرى التى حدثت فى كل بلد عربى . هذا يقتضى شبكة من المراسلين . القارىء يريد تحقيقات صحفية من كل بلد عربى لا بلاغات رسمية منها . يوجد فى كل بلد عربى خريجون من الجامعات يسعدهم أن يقوموا بهذه المهمة .. كل شىء يتحرك الآن فى البلاد العربية ويجب أن يتحرك المحررون مع الأحداث ويجب أن يجد القارىء كل صفحة فى المجلة عن بلد مختلف ، ما عدا لبنان فيخصص له عدة صفحات . المهم أن يجد قارىء الكويت فى كل عدد شيئا عن الكويت ، وقارىء ليبيا شيئا عن ليبيا ، وقارىء السودان شيئا عن السودان . مفروض أن يضع مدير التحرير أمامه قائمة بأسماء البلاد العربية كلها وامارات الخليج ، ويحرص على أن يكون فى كل عدد ولو سطر واحد من كل بلد من هذه البلاد . فاذا لم يجد خبرا عن بلد معين كلف محررا أو محررين بالحصول على اى معلومات هامة من هذا البلد . من رأيى أن يحاول الكاريكاتير أن يفعل نفس الشىء ، دون أن يجرح هذا البلد ، فبعض هذه البلاد قد لا يفهم النكتة كما نفهمها . يجب أن يشعر كل قارىء أنه موجود على الخريطة . يجب أن تهتم الصياد بكل نجوم البلاد العربية من سياسيين وكتاب وصحفيين وفنانين واقتصاديين وعلماء وادباء وشعراء ، وأن تكتب عن الذين يصلون الى بيروت منهم . ان القارىء العربى يهمه اخبار الشاعر نزار قبانى أكثر مما يهمه أخبار فلان الوزير اللبنانى وتهمه اخبار ام كلثوم أهم من أخبار وزير زراعة لبنان !

نسيت أن أخبرك بأننى حتى الآن كتبت ثلاثة عشر فصلا من كتاب (من واحد الى عشرة) عن تاريخ السنوات العشر الأولى من حياتنا وذكرياتنا عن ثورة ١٩١٩ . فهو تاريخ الثورة من خلال تاريخ اسرة . وكتابة التاريخ فى الزنزانة مرهقة جدا . أرجو أن انتهى من كتابة هذا الكتاب فى خلال شهر يوليو . وأبدأ فى شهر

اغسطس فى كتابة قصة جديدة . وسررت انك تقرأ الفصول الأولى من كتاب واحد الى عشرة فى نفس الوقت الذى أكمل فيه هـذا الكتاب . ويهمنى أن اسمع ملاحظاتك عما قرأت . أننى تعودت على التضييقات الجديدة فى السجن . بعد أن نمكث أربعة اشهر فى الجحيم ننسى انه الجحيم . أحمد الله على انه أعطانى حتى الآن قدرة عجيبة على الرضا بكل الوان الحياة . اعود نفسى على كل شىء . كنت فى الماضى لا أطيق الجبن البلدى . الآن اصبحت أحبه. اغمسه فى الماء حتى يخرج منه الملح الكثير . اذوقه بعد ذلك فاذا به فى طعم القشدة ! يبدو ان كل شىء اذا غمسناه فى الماء يتحول الى طعم القشدة ، والماء اشبه بالزمن فهو قادر على ان يضيع طعم مرارة الملح من شفاهنا !

الناس هنا يعيشون فى جو التفاؤل . كأنهم يقرأون خطاباتـك المتفائـلة !

كلما اقتربت أعياد ٢٣ يوليو بدأت تخرج اشاعات عن قـرب العفو عن المسجونين السياسيين ، كل سجين يزوره أهله يحملون له مع الطعام أنباء سارة عن أن العفو قريب . مضى على سنوات أعيش فى هذا الجو اللذيذ كلما اقبل شهر يوليو . ان أمانى المسجون اذا لم تتحقق فهو يعيش عليها بضعة أيام فى عالم الأحلام .

وهذا أيضا هو موسم التنقلات بين ضباط السجن . الاشاعات تنقل ضباطا وتجىء بضباط آخرين . كل مسجون يكره ضابطـا يشيع أنه سينتقل . العادة دائمـا هى نقل الضـباط المحبوبين وابقاء الضباط المكروهين ! وهكذا بينما يكون الناس مشغولين بمن سيكون رئيس وزراء فرنسا الجديد يكون المسجونين فى عنبر واحد مشغولين باسم الضابط الذى سيعين قائدا على عنبرهم !

واذا كانت المدن الكبرى تشغل نفسها بمشكلة المــرور ، فان السجون مشغولة بمشكلة المرور ايضا . المرور هو زيارة احد كبــار الموظفين او المفتش أو الضباط للسجن . وعندما يقال لنا أن «هناك مرور» ينشغل كل واحد منا بتنظيف زنزانته . واخفاء الممنوعات الموجودة فيها ، بحيث اذا جاء الزائر وجد كل واحد منا على البلاط « تنفيذا للتعليمات » ! فيطمئن أن كل شيء على ما يرام . وعندما يعلن نبأ المرور يصاب كل انسان فى السجن بمغص . وكلما كبرت شخصية المسئول كبر المغص . ويجيء المرور أحيانا .وأحيانا لا يجيء . بمعنى أن المفتش يدخل السجن ويجلس فى غرفة المديــر ويشرب قهوة وليمون ويأخذ اثنين كيلو صابون ويوقع على رقة انه زار جميع الزنزانات وجميع المرافق ووجد كل شيء تمام ! وهكذا يظهر انه مرور كاذب ، كالحمل الكاذب ، فتظهر كل اعراض المرور ما عدا المرور نفسه !

واحتفالا بالزائر الكريم ، تغلق أبواب الزنزانات على المساجين، ولا تفتح لهم الا بعد أن ينتهى المرور ويخرج المفتش من باب الليمان، وقد يحدث ان يستمر المرور اربع ساعات فتضيع منا فرصــــة الفسحة ، وتغلق الزنزانة ٢٤ ساعة فى اليوم . يحدث كل هذا لأن مفتشا جاء ليراجع دفتر الصادر والوارد فى احد المكاتب .

وعندما يخرج الزائر نتنفس الصعداء ، وتفتح أبواب الزنازين ، وترى عددا كبيرا من المسجونين يعدون ويتدافعون الى دورات الميــاه .

وفى الختام أضــمك الى صدرى واقبلك والى اللقــاء القريب باذن الله .

اليد التي تقبض على أعناقنا

سجن ليمان طره

٢٨ يونيو ١٩٦٧

عزيزتي

انني لم أصدق أن هذه الهزيمة قد حدثت . كنت أستيقظ من النوم في الصباح واتصور ان ما حدث هو كابوس مخيف وقع اثناء نومي . وعند الصباح اكتشف انه الحقيقة ولم يكن كابوسا . تكرر لي هذا الشعور عدة أيام . الشيء الذي يجعلني أكاد افقد عقلي انه كان في امكاننا ان نتفادى كل هذا . حماقتنا هي التي ادت الى هزيمتنا . البطش الداخلي أعمانا فسقطنا في الفخ الخارجي . المعلقون الأجانب فضحونا . قرأت في بعض الصحف الفرنسية بحثا يقترح كاتبه أن يعرض الشعب العربي على طبيب نفساني . الذي يمزقني انني أرى الشماتة في عيون العالم . هددنا وتوعدنا ثم تحطمنا في ساعات . تظاهرنا باننا عمالقة واثبتنا اننا اقزام . بالغنا في قوتنا لتبالغ المعركة في هزيمتنا . الطريق الوحيد للنجاة أن نعترف باخطائنا ، ولكنني الاحظ في كل ما تكتبه صحفنا اننا نتهم كل انسان الا المتهم الأول : وهو الديكتاتورية في رأيي . هو الطغيان . هو حكم الفرد . هو انتهاك القانون . هو اعطاء العدالة اجازة . هو القضاء على الحريات . هو الرقابة على الصحافة . هو

الحراسة الغاشمة . هو السجون والمعتقلات . هو أجهزة الأرهاب. هو الكذب على الشعب وتضليله . هو الشعارات الملفقة . هو الجملة الكبيرة التى تحمل معانى صغيرة ، هو الجهل . هو الغرور . هو تقديس الفرد . هذا فى رأيى هو المتهم الأول فى الهزيمة ، ومن المظلوم تجاهل هذا المتهم والبحث عن متهمين صغار !

ان المحاولة تبذل الآن لنسيان ٥ يونيو وتمجيد ٩ و ١٠ يونيو . مطلوب أن يضيع أنين الشعب من الهزيمة المنكرة فى ضوضاء الزغاريد بعدول الرئيس عن تنحيه . الذى يقرأ صحفنا ويسمع اذاعاتنا يتصور اننا خضنا فى يومى ٦ و ١٠ يونيو معركة حربية جديدة ، واستردنا سيناء وغزة والجولان والضفة الغربية . واعدنا عشرات الوف الشهداء الى قيد الحياة ، ومسحنا الهزيمة . ان الذى اخشاه هو أنهم يحاولون أن يجعلوا من الكفن علما . ومن العار شرفا . ومن المأتم عيدا . ان لهجة الأعلام هى أن بقاء الحكم فى ايدى الحكام هو المنى والرجاء ، وأن ضياع الأرض هو مسألة تافهة لا قيمة لها .

ان النكت التى خرجت من أفواه الشعب ، وملأت كل مكان كأنها الغازات الخانقة ، هى رد الشعب على هذه المحاولات . أننى اعتقد أن الرئيس عبد الناصر فى حاجة الى من يقولون له الحقيقة أكثر من أى وقت مضى . ولكن كيف تصل الحقيقة والكل خائف .

اننى فوجئت ببعض الناس يحمدون الله على اننا هزمنا . يقولون انه لو اننا انتصرنا لطغى حكامنا أكثر مما طغوا ، وبغوا أكثر مما بغوا ، وجعلوا هذا الشعب يضع على وجهه « الطرح » وهو يمشى فى الشوارع ! وهو شعور مخز حقيقة . ولكنه يدل على اثر البطش والطغيان فى نفوس الناس . ومن رأيى أن طاقة النجاة هى الديموقراطية وهى الحرية . يجب أن يغير عبد الناصر طريقة

حكمه . يبعد على الفور الطغاة الصغار والفراعنة الصغار الذين أذاقوا الشعب عـذاب الهون . يجب أن يفتح ابواب المعتقـلات والسجون ، يجب أن يوقف الحراسة ومصادرة أموال الناس . يجب أن يعود القضاء العادى وينتهى القضاء العسكرى . يجب ان نطلق حرية الصحافة . يجب أن تجرى انتخابات حرة لبرلمان جديد يكون من حق النواب أن يتكلموا ويناقشوا ويعارضوا . انا اؤمن بان الاغلال والأصفاد والسلاسل التى قيدوا بها الشعب هى السبب فى الهزيمـة .

الكمامة التى وضعت على كل فم حتى لا يتكلم . العصابة السوداء التى وضعت فوق كل عين حتى لا ترى الأخطاء . الأصابع التى وضعت فى كل أذن حتى لا تسمع الحقائق . السلاسل التى قيدت بها حركتنا . كل هذا كان لحساب اسرائيل لا لحساب مصر . اسرائيل استفادت من قيودنا ، وانتصرت بسبب قيودنا ! كيف يمكن أن ينتصر شعب فى معركة حربية ، وكل فرد فيه فقد النطق وفقد الرؤية وفقد السمع وفقد الحركة . لا أحد آمن على نفسه ولا على أسرته ولا على عمله ... لكى نقضى على الهزيمة يجب ان نقضى على أسباب الهزيمة ، والا فسوف تصبح هذه الهزيمة ابدية ! الذين يقولون اننا سنحارب بعد شهر أو شهرين يضحكون على الشـعب ويضحكون على انفسهم . لن نستطيع الحرب قبل أن نقضى على الارهاب فى بلدنا ، يجب أن نتحرر 'ولا فى بلادنا لنستطيع أن نحرر كل شبر من أرض بلادنا .

الخائفون لا يحاربون . الأيدى المقيدة بالأغلال مشغولة بقيودها لا تسـتطيع حمل البنـادق والمدافع . المربوطون بالسلاسـل لا يستطيعون ان يتقدموا فى ميدان القتال ! طريق الحرية الوحيد

هو طريق النصر . لقد جربنا طريق الاستبداد فوصلنا الى الهزيمة . فلنجرب طريق الحرية !

فى سنة ١٩٥٦ استطعنا بجهود جبارة أن نحول الهزيمة الى نصر والتقهقر الى انطلاق . كسبنا المعركة بالدعاية التى قمنا بها فى جميع أنحاء العالم . بالجهود الدبلوماسية المضنية .

الموقف الآن يختلف . هزيمتنا أمام بريطانيا وفرنسا — وهما دولتان من الدول الكبرى — كانت شرفا . وهزيمتنا أمام اسرائيل أصغر دول العالم عار . فى ١٩٥٦ لم تكن قد وقعت كل المظالم التى وقعت اليوم . فى ١٩٥٦ دخلنا المعركة كدولة صغيرة تقاوم عدوان دولتين كبيرتين ، وفى هذه المرة دخلنا الحرب كعملاق يتحدى قزما . وهذا جعلنا نفقد عواطف العالم . اننى لم أيأس أبدا . اننى فى هذه الساعات الحالكة السواد أرى شعاعا من النور . الله لن يتخلى عن مصر اذا لم تتخل مصر عن الله . الايمان بالله يصنع المعجزات . المهم أن نضىء الأنوار لنرى طريقنا . أن نفتح عيوننا لنرى أخطاءنا . كان الحكام فى الماضى يعتبرون الكلام جريمة .. أنا أرى اليوم أن الصمت جريمة . يجب أن يقول الشعب رأيه . ويجب أن ينزل الحكام على رأى الشعب .

لم أكتب فى هذه المدة لأخى ولا لأولادى ولا لأصدقائى . أنت تعرفين أن الكتابة اليكم تسعدنى تخفف عنى عذاب السجن ووحدته . طوال مدة الحرب لم أستطع أن أكتب خطابا شخصيا . كنت مشغولا عنكم . مشغولا بمصر كلها . كان كل جندى يموت هو ابنى وأخى وصديقى . كل قنبلة تسقط كأنها سقطت فوق رأسى كأنها هدمت بيتى ودمرت حياتى . خبرتى جعلتنى للأسف أشعر بالكارثة قبل أن تقع . عندما بدأت المعركة كنت أخفى قلقى عن

الناس جميعـــا . أتركهم فى حشيش تفاؤلهم وأفيون أوهامهم حتى لا أفسد عليهم أحلامهم الجميلة .

لم يكفهم ما نحن فيه من هم وحزن وفجيعة . الأوامر تتوالى من وزير الداخلية بتشديد المعاملة على المسجونين السياســيين . « احنا فى ايه وانتم فى ايه » ؟!!

الخطابات تتأخر . الطعام الصحى يمنع من جديد . الخـــروج والدخول فى العنبر يصبحان أصعب من الدخول الى الجنـــة ومن الخروج من النار . واننى اتصور أن هذه الفترة مؤقتة . وانه كبت « الهزيمة » عند المسئولين . فشلوا فى هزيمة العدو ... فبـــدأوا يحاولون هزيمة المصريين ... المسجونين !

شعرت بسعادة بأن أخى قام بجهود فى لندن من أجل شرح قضية مصر فى أثناء الأزمة . مهما حدث لنا فان حياتنا وجهودنا وخبرتنا هى ملك لبلادنا . نضع كل ما نملك فى خدمتها فى كل المحن والخطوب والأزمات .

الحياة فى الزنزانة ليست راكدة . اننى لا أبقى فيها بفكرى سوى لحظات قليلة كل يوم . أفكارى دائما خارج الزنزانة . أتتبع أخبار الاذاعة وتعليقاتها حرفا بحـــرف . أعيش مع مصر فى كل خطوة تخطوها . كنت أمضى الســـاعات فى مكتبى أبحث عن عنـــوانات للصفحة الأولى . الآن أسمع مانشيتات كل دقيقة . الأحداث تمشى بسرية رهيبة . وأنا أجرى والهث خلفها حتى أستطيع أن الحق بها وأحللها وادرسها . كم اشعر بأسى وأنا أتتبع خبرا هاما ، وفجأة تقطع اذاعة السجن فى نصف الخبر لتطلب من الشاويشية الحضور الى المطبخ لاستلام غداء المساجين !

امضى الوقت فى قراءة القــرآن الكريم . كثـــيرا ما كنت اقول لتلاميذى فى قسم الصحافة بكلية الآداب ان القرآن فيه أعظم ما وصل اليه الفن الصحفى الحديث . فى امكانك أن تقـــرأ القرآن الكريم وكانك تقرأ اعظم جريدة يومية فى العالم . فيه حكمة اليوم . وخبر اليوم وخبر الغد . فيه أنباء الماضى والحاضر والمستقبل . فيه جدة وفيه اثارة . فيه الغاز وحلول للمشاكل . فيه حوادث وقضايا . فيه انباء خارجية وداخلية !

اننى أهرب من حزنى على بلادى الى القرآن . الناس يعيشون فى جو من الكآبة وخيبة الأمل واليأس . كأنهم يشيعون جنـــازة لا تنتهى . سيمر وقت طويل قبـــل أن تعود للناس ابتســـاماتها وضحكاتها . هموم بلادى تشغلنى . كأننى احمل على رأسى وحدى همها . كأننى أنا الذى سأدفع وحدى فاتورة آلامها وخسائرها . حاولت كثـــيرا أن أقنع نفسى بأن وجودى فى الســـجن يعفينى من مسئولية حمل همومها . لم أستطع . أشعر بأننى جزء من بلدى . بل جزء كبير منها . أحيانا أقول لنفسى انه لابد من حكمة الهية من وجودى فى السجن . ربما لو كنت الآن خارج السجن لمـــا ذقت ساعة واحدة من النوم . ولمـــا عرفت الراحة لحظة واحدة ولأصبت بالذبحة الصدرية . كأن الله عرف كل ما كان سيصيبنى من غارات الأحداث وقنابلها فوضعنى فى هذا المخبأ ، كنت فى أول الأمر اتصور أن الله ادخلنى السجن لأرى بعينى المظالم والظلم والتعذيب ، الذى لم اكن لأصدقه لو سمعته ، لولا أننى رأيته بعينى ، وذقته بجسدى — والآن اتصور أن حكمة دخول السجن ايضا ان الله يعلم اننى طالما انذرت وحذرت مما سيحدث . وان أحدا لن يصدق اننى أنذرت وحذرت ونصحت ، وكنت سأتحمل مسئولية الهزيمة ، وأدفع ثمن جريمة لم أرتكبها . بل قاومتها وحاربتها . اذكر اننى وأخى أصبنا معا بمرض السكر عقب الجهد الذى بذلنـــاه فى معركة العدوان

عام ١٩٥٦ . ماذا كان يصيبنا لو كنا فى مكاننا فى هذه الأيام . اننى أحمد الله على كل شىء . وقد كنت أقول انه لابد من حكمة الهيئة وضعتنى فى السجن ؟ !

لا تزال حريتى بعيدة . خصوم الحرية أقوياء . أنصار الحرية ضعفاء . شعورى أن حزب الظلام سوف ينتصر على حزب النور فى هذه الفترة . وسوف يستمر الاستبداد بل سوف يشتد . وهذا بخلاف جميع الآراء التى حولى التى تعتقد أن الاتجاه هو الى الحرية والديموقراطية . الأستاذ الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين من هذا الرأى ايضا . وهو أن الايام القادمة ستكون أشد سوادا ! مع كل هذا لم أفقد الأمل فى الحرية . ارى أن الفجر سيجىء بعد الظلام . سوف نقترب ببطء من أحلامنا ، من ابتساماتنا ، من ضحكاتنا . أؤمن بأن الله معنا . كل شىء وقع لى يزيدنى ايمانا بالله وثقة به . سررت أن رفض التنازل عن الشقة جعلهم يضطرون الى تسليمنا الشقة ، بعد أن اقفلوها منذ القبض على الى الآن . اشعر بأننى سأعود اليها فى يوم من الايام ونستأنف أحلامنا . الله اراد بما أصابنا ان يزيدنى ايمانا . أن يعرفنى بصورة واضحة قيمة الحرية . اننى أتصور أن متاعبى قد تزداد فى الأيام المقبلة . هذا ليس علامة سيئة . بل علامة طيبة . اشتداد الظلام معناه اقتراب الفجر . أنا لست متفائلا جدا مثل أخى على . أنا واقعى أكثر منه . أعرف أن الظلام سيطول . وبرغم كل ما حولى من أسباب التشاؤم واليأس والقنوط فان قلبى يملؤه التفاؤل والثقة بالمستقبل باذن الله . لقد وصلنا الى الحضيض . لا يمكن أن نهبط الى اكثر مما وصلنا اليه . كل حركة بعد ذلك ستكون الى فوق . لا تتضايقى اذا اشتدت الضغوط والقيود . اذا كانت مقابلتنا القادمة فى السلك . اذا وجدت متاعب فى ارسال طعام السكر اذا وجدت عقبات فى الحصول على الزيارة الخاصة ، اذا تأخرت الخطابات اذا انقطعت الأخبار .

كل هذه متاعب مؤقتة . المسجون هنـــا طبقا للائحة السجون لا يقيم وحده . يقيم القلق معه . يتولى حراسته . ومع ذلك فانني أشعر بأن اليـــد التي تقبض على عنقي بشـــدة لابد أن تتعب من الضغط عليه ، مع الأيام ستتراخى . انني أشعر بأن ايماني معي في زنزانتي ، يضاعف قوتي وصمودي وصبري .

وصلت الكهرباء الى زنزانتي بعد أن عشت عدة أسابيع في ظلام دامس . عادوا يهربون لي الثلج . أشرب الآن ماء مثلجا . نعمة من الله أرجو أن تدوم ..

مجلس الـوزراء فى
زنازين السجن الحربى

ليمـــان طره

يونيو ١٩٦٧

عـــزيزتى

آلاف الشباب المصرى يموت على ارض اليمن . مليون جنيه مصرى تنفقه مصر يوميا فى القتال فى حرب اليمن لتحرير الشعب اليمنى . نحرم انفسنا من القوت الضرورى فى سبيل عملية التحرير هـــذه .

ولكن انظرى ماذا فعلنا بشعب اليمن . رسائل هربت لى من السجن الحربى من زعماء اليمن تروى قصصا عجيبة ..

فى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٦٦ دعى عدد من زعماء ثورة اليمن لمقابلة المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية ونائب القائد العام للقوات المسلحة .

وجاءت سيارات فخمة ضخمة تحمل زعماء اليمن وكبار وزرائه الى المقابلة الهامة . وانطلقت السيارات الى صحراء مدينة نصر .. ووجد زعماء ثورة اليمن انفسهم فى زنازين السجن الحربى . فى الزنزانة رقم واحد السيد أحمد محمد نعمان عضو المجلس الجمهورى ورئيس وزراء اليمن الســـابق . فى الزنزانة رقم ٢ الفريق حسن العمرى القائد العام للقوات المسلحة وعضو المجس الجمهورى

ورئيس الوزراء السابق . فى الزنزانة رقم ٣ حسن مكى رئيس الوزراء السابق ونائب رئيس الوزراء بعد ذلك . فى الزنزانه رقم ٤ العقيد حسن المسورى سفير اليمن فى القاهرة ورئيس هيئة اركان الحرب سابقا . فى الزنزانة رقم ٥ العقيد ابراهيم الحمدى نائب القائد العام وقتئذ ورئيس مجلس القيادة فيما بعد . وفى الزنزانة رقم ٦ أحمد عبده سعيد وزير الدولة . فى الزنزانة رقم ٧ محمد الحجى وزير العدل فى الزنزانة رقم ٨ محسن السرى رئيس مجلس ادارة البنك اليمنى . فى الزنزانة رقم ٩ يحيى المتوكل وزير الداخلية. فى الزنزانة رقم ١٠ درهم أبو لحوم عضو مجلس القيادة . فى الزنزانة رقم ١١ محمد أبو لحوم عضو مجلس الثورة . فى الزنزانة رقم ١٢ أمين عبد الواسع نعمان وزير الزراعة ومحافظ صنعاء السابق .

مجلس وزراء بأكمله فى زنازين السجن الحربى بالقاهرة ! وهؤلاء زعماء ثورة اليمن التى مات الوف من شبابنا دفاعا عنها !

ولم يكن السجن لمدة يوم او اسبوع او شهر (ملحوظة افرج عنهم فى يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٦٧ اى بعد عام وشهرين اى ٣٨٧ يوما) .

ومعاملة زعماء ثورة اليمن ووزرائها كمعاملة المسجونين فى السجن الحربى سواء بسواء . الزنزانة تغلق عليهم طوال ٢٤ ساعة . لا تفتح الا ليذهبوا الى دورة المياه . يدقون على ابواب الزنازين ليذهبوا الى دورات المياه . فيشخط الحارس فى الوزراء ورؤساء الوزارات . ويقول لهم ان هذا لا يتم الا بعد الحصول على أمر الفريق حمزة البسيونى مدير السجن الحربى !

وكان رئيس الوزراء العجوز احمد محمد نعمان يصرخ من وراء باب الزنزانة وهو فى حالة ضيق ، وحارس السجن يشخط ميه ويقول له « لسه » !

وكان الرئيس النعمان يصرخ ويقول :

ـــ فى عهد الامام كنا نطالب بحرية « القول » ، والان نحن نطالب بحرية « البـــول » .

مكث الرؤساء ستة شهور لا يرون اولادهم أو زوجاتهم ! ولم يسمح لهم بقراءة الكتب ، ولا بكتاب واحد ، حتى القرآن الكريم .

وحفر الرئيس نعمان على جدران زنزانة السجن الحربى قصيدة تقـــول :

فى ظلام السجون أحيا وحيدا ... بين أحـــلام يقظة ومنـــام ..
بين جدران غرفة ذات بـــاب ... محـــكم الغلق أيمـــا احـــكام
لا ترى العين وجه حر كريم ... او صـــديق أو عابر للسلام
لا أرى الشمس،أو أحس بدفء ... من لظاها يدب فى الأجســـام
لا أرى الجو ، أو اشم هـــواء ... غير جو المرحاض والحمام !!

لماذا منع الرقيب حيثيات التعذيب؟

ليمـــان طره

عـــزيزتى

لاحظت أن الرقيب منع نشر حيثيات حكم محكمة أمن الدولة عن أسباب براءة الذين اعترفوا تحت التعذيب فى قضية كمشيش وقد جاء فى الحيثيات :

« كان الأقدمون يرون أن الاعتراف سيد الأدلة حتى لو صدر نتيجة التعذيب أو الاكراه . وفى التشريعات الانجلو سكسونية تبدا الدعوى بسؤال المتهم هل هو معترف « مذنب » من عدمه ، فان أقر بأنه مذنب أصبحت ادانته مفروغا منها وما على القاضى الا تطبيق العقوبة عليه . »

وهكذا انتشر نظام التعذيب بطريقة وحشية فى القرن الثانى عشر وفى القرون الوسطى . فكان المحققون يلجأون للتعذيب لحمل المتهم على الاعتراف ، اذ كان الاعتــراف هو الشــغل الشاغل للمحققين . بل أن المتهم ، وبعد الحكم عليه بالاعدام وقبل تنفيــذ الحكم ، كانوا يعذبونه للحصول على ادلة جــديدة . وحيث أنه سرعان ما اتضح ان معظم الاعترافات لم تكن لتمثل الا الكذب ارضاء للمحققين ، سواء أبديت بالرضا أو بالاكراه ، كالاعترافات الهستيرية أو الكاذبة التى أخذت بالتنويم المغناطيسى ، أو نتيجـة

اعطاء أقراص مخدرة ، أو باستعمال وسائل خداعية أو احتيالية .

ولقد هاجم الفلاسفة والكتاب استعمال هذه الوسائل الوحشية من التعذيب فى التحقيق . نادى بذلك مونتسكيو وبيكاريا ، وقالوا أن التعذيب يؤدى دائما الى اعترافات يترتب عليها ادانة الأبرياء

اعدام البرىء استنادا الى اعترافه !

« وضربوا الأمثلة بقصة (كامبو) التى تدل على مدى التمسك بالاعتراف ، من أن القاضى رأى بعينيه جريمة قتل وان الجانى فر هاربا ، ثم جاء خباز فوجد جراب الخنجر ملقى على الأرض ، فأخذه ، فضبطه البوليس معه ، فاتهموه بالقتل مع انه برىء ، وبواسطة التعذيب اعترف بقتل لم يرتكبه ، ثم جىء به أمام القاضى كامبو الذى شاهد الجريمة من نافذته ، ورأى الجانى الحقيقى ، وشاهد الخباز يلتقط الجراب ، ويعرف أنه لم يقتل ، ولكنه قضى باعدامه اخذا بالاعتراف نتيجة التعذيب !

« لهذا وبعد تطور الزمن اشترطت التشريعات الحديثة فى عموميتها ومعها احكام الفقه والقضاء ، سواء المصرى أو المقارن ، على انه يشترط للاخذ بالاعتراف أن يكون واضحا ، لا لبس فيه ولا غموض ، وأن يصدر من متهم متمتع بالتمييز فعلا ، فلا يعتد باعتراف مجنون أو سكران أو مخدر أو منوم مغناطيسيا ، أو تحت تأثير تحليل نفسانى ، أو نتيجة عقاقير ، أو نتيجة أجهزة لكشف الاختيار ، فيجب أن يكون الاعتراف حرا طليقا . أما الاعتراف الذى يجىء نتيجة اكراه مادى أو أدبى فانه يبطل تماما ، وتبطل كافة الأدلة التى اكتنفته والتى احاطت به بطلانا مطلقا ، ويستوجب براءة كل من احاط به هذا الاكراه .

انواع من الاكراه الذى يبطل الاعتراف

« والاكراه المادى يتمثل فى التعذيب ، أو الضرب ، أو هجوم الكلب البوليسى على المتهم ليمزق ملابسه . ومن طريف ما تقضى به فى فرنسا أن استمرار استجواب المتهم أربعين ساعة فيه حرمان له من النوم والراحة ، وهو نوع من الاكراه والتعذيب . وفى قضية أخرى استبعد اعتراف المتهمة بعد أن ثبت أنه جاء بعد حرمانها من الطعام . والاكراه الادبى يتمثل فى التهديد بالايذاء ، أو بالوعد ، أو بالوعيد ، أو بافشاء أسرار عائلية ، أو بالاعتداء على قريب . ففى جميع تلك الحالات وأمثالها يبطل الاعتراف ، لأنه لم يصدر عن طوع واختيار ، وانما بالقوة والاكراه والاجبار .

التعذيب جناية عقوبتها الأشغال الشاقة

ولذلك اعتبر تعذيب المتهم لحمله على الاعتراف جريمة استنكرتها معظم التشريعات ، ويعاقب مرتكبها بأشد العقوبات ، وهى فى تشريعنا العقابى جناية يعاقب عليها بالمادة ١٢٦ بالأشغال الشاقة أو السجن حتى عشر سنوات ، أما اذا مات المجنى عليه فالعقوبة هى عقوبة القتل .

آثار الاعتراف الباطلة فى نظر القانون الدولى

لذلك فقد انتهت الآراء فى القانون المقارن الى وجوب استبعاد الاعتراف من عداد الادلة ، فجاء فى قرارات المؤتمر الدولى السادس لقانون العقوبات فى روما عام ١٩٥٣ أن الاعتراف لا يعد من الأدلة القانونية . وجاء فى قرار المؤتمر الدولى للعلوم الجنائية فى سان

بتسبرج أن التعذيب يجب معاقبة مرتكبه ، وأن الاعتراف وحــده لا يكفى فى تسبيب الحكم بالادانة . وهذا سار فى القانون الفرنسى ، وانتهوا الى أن الاعتراف يجوز العدول عنه دائما .

وقد اوصت لجنة حقوق الانسان بهيئة الأمم المتحدة على انه لا يجوز ان يخضع اى شخص مقبوض عليه أو محبوس لأى اكراه مادى أو معنوى ، أو لغش أوحيلة أو لتنويم مغناطيسى أو لمحاليل مخدرة أو اى مواد تشوش حريته فى التصرف . وكل دليل يحصل بالطرق الســالفة يعتبر غير مقبول ، وأن أى اعتراف لا يعتــد به الا اذا تم فى حضور محامين أو أمام القاضى .

وجوب استدعاء محامى المتهم وقت الاستجواب

وانه ازاء تلك الحملات الشديدة من الفقهاء وأحكام القضــاء ، فانه يجب أخذ الاعتراف بالحيطة والحذر — حرصت التشريعات على وضع ضمانات لاستجواب المتهمين ، فأوجب تشريعنا الجنائى فى المــادة ١٢٤ على أنه لا يجوز استجواب المتهم فى الجنــايات الا بحضور محام اذا تمسك المتهم بحضوره ، وذلك لضمان عــدم التأثير على المتهم عند استجوابه ، أو عدم ايقاعه فى الخطأ . أما اذا حصل أى اكراه عليه فان اعترافه يبطل بطلانا مطلقــا .

ومن النظام العام مهما كان قدر هذا الاكراه من الضآلة . ومن ثم فيجب استبعاد الاعتراف ، وما اكتنفه به من أدلة أخرى . والا كان الحكم باطلا . على أن بطلان الاعتراف يستتبع كنتيجة حتمية ، طبقا للمــادة ٣٣٦ اجراءات جنائية ، بطلان سائر الأدلة المستمدة منه أو المترتبة عليه ، كالارشاد عن السلاح ، أو الأرشاد عن متهمين آخرين .

تلكم هى أحكام القانون التى تعصم حريات الناس ولا تستبيحها، وتعاقب بالشدة كل من سولت له نفسه العبث بهـا ، او الاستهانة بأمرها . ومؤداها أن أى اكراه تستشفه المحكمة باديا فى اعتراف احد المتهمين فانها تسارع باستبعاد هذا الاعتراف وما ارتبط به من ادلة اخرى ، بل ترى ان هذا الاكراه جناية يعاقب عليها القـانون ، وتنزل حكمها فى الدعوى ، وعقوبتها هى الأشغال الشـاقة او السجن من ثلاث سنوات الى عشر سنوات ، او عقوبة القتل ، ان مات المتهم نتيجة التعذيب . بل ويجوز طلب اعادة النظر اذا صدر حكم نهائى على المتهم فى الدعوى نتيجة هذا التعذيب ، واستنادا الى شهادة من قاموا بتعذيبه ، أو اذا ظهر بعـد الحكم ان اعترافه المتهم كان وليد الاكراه أو كان وهو معترف فاقد الشعور .

وحيث انه بانزال تلك المبـادىء على الدعوى الحالية وما ثبت فيهـا من وقائع تعذيب الى اعتراف متهمين بارتكاب الحادث ، واستلامهم أسلحة من المدعى عليهم ، وبالتحريض ، حالة كون أحدهم كان معتقلا فى الطور ، ويستحيل مقارفته هذا الحادث فان المحكمة تستبعد بلا أدنى شك أو تردد كافة الاعترافات كدليل فى الدعوى ، سواء ما لحق المتهمين او الشهود ، مكتفية بما انتهت اليه تحقيقاتها فى الجلسة .

هذا هو نص حيثيـات محكمة أمن الدولة العليـا فى قضية كمشيش .. فلماذا منع الرقيب نشرها فى الصحف ؟

السبب انه لو طبقت هذه القاعدة القانونية ، لخرج جميع المسجونين السياسين من السجون !

ما من واحد منهم سمحوا له بأن يجيء بمحام يحضر التحقيق ! كل واحد منهم تعرض للاكراه المــادى والمعنوى . وكل واحد منهم ضرب أو عذب أو هجم عليه الكلب البوليسى ، ومزق ملابسه ، أو نهش لحمه ، كل واحد منا منع من النوم ومن الراحة والطعام والمــاء عدة أيام . كل واحد منا هددوه واعتدوا على أقاربه . بعضنا احضروا زوجاتهم وخلعوا ملابسهن وطلبوا من الحراس أن يغتصبوهن أمام أزواجهن ! عشرات منا قتلوا مثل محمد الفيومى الذى قتلوه فى السجن الحربى ودفنوه فى صحراء مدينة نصر . أحدنا عذبوه فى السجن الحربى حتى أغمى عليه ، وظنوا انه مات ، وحملوه مع أربع جثث لمتهمين سياسيين آخرين دفنوهم فى صحراء مدينة نصر ، وفى الصباح استيقظ السجين السياسى من أغمائه ، ونفض عنه الرمال وازاح الجثتين المدفونتين فوقه ، وخرج الى النور يبحث عن الحياة ، فما كاد الحارس يراه حتى فزع وراح يعدو وهو يصرخ « عفريت ! عفريت ! عفريت » !

أحدنا ضربوه حتى فقد النطق . وظنوا انه ميت . فأبلغوا نيابة أمن الدولة بأنه مات بالكوليرا . فأمرت النيابة كتابة بحرق جثته خوفا من العدوى .. ثم ظهر أنه لا يزال حيا فارسلوه الى المعتقل ، ولكنه بقى ميتا رسميا ، فحرموه من معاش والده لأنه مات ، وفصلوه من كلية الطب لأنه مات ، وبقى معتقلا فى المعتقل وميتــا فى الأوراق الرسمية فى وقت واحد !

روى لى جارى فى الليمان انور زعلوك صاحب جريدة الحقائق كيف أن زبانية صلاح نصر ضربوه بالأيدى والعصى ، وداسوا عليه بالأقدام ، وجزدوه من ملابسه حتى أصبح عاريا تماما كما ولدته أمه ، وعلقوه فى كلبش من الحديد من القدمين كالذبيحة ، وتركوه

بلا أكل ولا شرب ، وأدخلوا آلة حادة فى شرجه ، وبدأوا ينفخون بطنه ، وهو يتلوى من الألم والعذاب ، واغمى عليه ، وأفاق فوجد نفسه فى بركة من الدماء ، ثم قاموا بخلع أظافر أصابعه ، وهددوه باحضار زوجته وأخواته وبناته .

وروى لى زميلى المسجون السياسى عادل سليمان المحرر بالجمهورية أنهم شدوه من جهازه التناسلى بعد ربطه بخيط نايلون ، ووضعوا على رأسه آنية من معدن سلطوا عليها الكهرباء واحس فى داخله بالاف الاهتزازات وهو يصرخ كالمجنون ، وأنهم انهالوا عليه بالضرب والصفع والركل وحرموه من شرب الماء واطفأوا السجائر المشتعلة فى جسمه واطلقوا عليه الكلاب البوليسية المتوحشة وعلقوه من ذراعيه وساقيه ووضع الحارس حذاءه فى فمه وعندما اغمى عليه غمسوا رأسه فى قصرية تواليت افرنجى وكووا جسده بالنار والمسامير الملتهبة والأسياخ .

وروى لى عدلى ابادير الموظف بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والمحكوم عليه بالسجن ١٠ سنوات فى قضية سياسية ملفقة انهم خلعوا ملابسه ، وتولوا كى ظهره بأسياخ من الحديد فى أماكن متفرقة ، ثم صبوا ماء باردا على اماكن الكى ، وانهالوا عليه ضربا بالكرابيج ، وكسروا سنتين فى فمه .

وقال لى المسجون السياسى محمد عبد الغنى النشرتى أنهم جردوه من ملابسه وضربوه بالسياط والأسياخ والعصى ، وعلقوه من ساقيه الى أعلى وكووا القضيب والخصيتين بالنار بواسطة جسم ملتهب ، ثم غرسوا دبابيس ملتهبة فى ظهره ثم خلعوا أظافره .

وذكر لى المسجون السياسى شفيق اندراوس وكيل بنك اسكندرية فرع الموسكى انهم جردوه من ملابسه ، ووضعوا سلكا كهربائيا

على جسمه ومرروا عليه تيارا كهربائيا فكان يصرخ ويقفز الى أعلى ، فينهالون عليه بالضرب والركل ، واحضروا جهازا أشبه بالخرطوم وادخلوه في فتحة الشرج ، ونفخوا بطنه بالهواء ، وشعر بالام فظيعة ، وأحس أن مصارينه تتمزق ، وانتفخ بطنه ، ووقف احد الحراس على بطنه المنتفخ وامروه ان يضع حذاءه في فمه ، ثم حرقوا ظهره بالنار بقضيب من الحديد الملتهب .

هل سيجيء يوم يعاقب فيه بالقانون الذين داسوا بأقدامهم على القانون ، الذين أهدروا كرامة الانسان المصرى ، الذين استباحوا حريات الناس ، الذين عبثوا بالعدالة ، واستهانوا بكرامة الرجال !

ان منع الرقيب نشر حيثيات المحكمة عن التعذيب فى قضية كمشيش معناه أن التعذيب لا يزال أساس الملك وليس العدل هو أساس الملك !

من يعلم .. أن الله قادر على كل شيء ! قد نتبادل الأمكنة ويجلس فى الأقفاص التى يحبسوننا فيها الذين ظلمونا والذين عذبونا ، والذين تصوروا انهم الآلهة الذين فى أيديهم حق الحياة أو الموت !

ان الله أكبر من كل الظالمين !

القتل بغير محكمة !

ايمـــان طره

عزيزتى

تذكرين اننى فى خطابى الى الرئيس جمال عبد الناصر ، الذى كتبته له من سجن الاستئناف فى أول ديسمبر سنة ١٩٦٥ اننى قلت له بالحرف الواحد « وهددونى بأن صلاح نصر سيقتلنى بالسم ، وقالوا ان لديه سما لا يمكن أن يكتشفه اى طبيب شرعى فى العالم ».

وجاءت تحقيقات النيابة فى حادث مصرع عبد الحكيم عامر بالسم تؤيد بعد سنتين كل ما قلته فى خطابى للرئيس عن السم الذى يستعمله صلاح نصر والذى قتل به الملك فاروق !

ان أحد تلاميذى أطلع على تحقيق النائب العام محمد عبد السلام فى حادث السم ، وارسل نص مذكرة وضعها النائب العام عن هذا الحادث ، وهى مذكرة مكتوب عليها « سرى للغاية » وقد استطعنا الحصول عليها .

« لمناسبة قيام الصلة بين سم الاكونيتين الذى انتحر به المشير عامر وادارة المخابرات العامة ، تطرق التحقيق الى بحث مصدر حصول هذه الادارة على السموم ، ومقـــدار كمياتهـــا ، وأوجه استعمالها .

وقد توليت بنفسى تحقيق هذا الجانب ، وتبين من الاطلاع على سجلات الادارة انه فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٦٣ استوردت الادارة من خارج البلاد ، دون تحـــديد مصدر معين ، خمسة جرامات من مادة ديجتوكسين Digitoxine وخمسة جرامات من مادة اكونيتين Aconitine وكلتاهما مادة سامة ، وتتميز الثانية بأنهـــا سريعة الذوبان فى الماء ، وفيها مرارة بسيطة لا يشعر بها الانسان ، اذا تناولها مع الماكولات ، أو المشروبات ، وبخاصة أنواع العصير ، وان بضعة مليجرامات منهـــا تكفى غالبا لاحداث الموت .

ونظرا لاحتمال تطاير بعضها ، أو التصاقه بالورق ، فان ٢٥ مليجراما تكون قدرا مضمونا لاحداث الوفاة .

واثبت فى السجلات انه فى يوم ٩ من ابريل سنة ١٩٦٧ سلم ٦٠٠ مليجرام من كل من المادتين الى « وجيه » ، والمقصود بهذا الاسم السيد وجيه محمد عبد الله مدير مكتب السيد صلاح نصر ، وقد قسم هذا القدر الى ستة أجزاء ، كل جزء ١٠٠ مليجرام ، وضعت فى العبوات المعدة لتثبيت الريتالين فى الورق المفضض . وقد سبق القول بأن واحدة من هذه الورقات المفضضة ، تبين انها تكمل تماما الورقة التى وجدت على جسد المشير ، ووضح فى الصور الشمسية التى اخذها الطبيب الشرعى ان أجزاء الحروف المكتوبة فى كل من الورقتين يكمل بعضها بعضا تماما .

وتبين من التحقيق انه يوجد بادارة المخابرات العـــامة قسم للسموم ، يرأسه الكيميائى مختار احمد ذكرى ، وأن هذا القسم يتبع ادارة البحوث التى يرأسها السيد محمد حلمى القاضى .

وانه فى يوم ٩ من ابريل سنة ١٩٦٧ اتصل وجيه عبد الله مدير مكتب صلاح نصر بمحمد حلمى القاضى رئيس ادارة البحوث ،

وكلفه أن يرسل الى صلاح نصر ، بناء على أمره ، جانبا مما لديه من سموم . فأبلغ هذا الأمر الى مختـــار احمد ذكرى ، فوضع فى الفجوات الخاصة بحبات الريتالين ٦٠٠ مليجرام من كل من مادتى الديجتوكسين والاكونيتين ، مقسمة الى مقادير متساوية ، تقدر كل منها ١٠٠ مليجرام ، وسلمها مختار ذكرى فى اليوم التالى ، الى وجيه عبد الله ، ومعها ورقة بالتعليمات المتضمنة خواصها وكيفية استعمالها ، على النحو السابق ، وسلمها وجيه بدوره الى مدير ادارة المخابرات (صلاح نصر) .

وقد قرر السيد صلاح محمد نصر فى التحقيق أنه طلب حقيقة،ولكن فى تاريخ لا يذكره ، مادة سيانور أو سيانيد البوتاسيوم ، وأنه تسلم بالفعل مادة سامة ، وكان يظن انها احدى هاتين المادتين ، وأنه وضعها فى مكتبه ، وظلت فيه بحالتها ، الى أن مرض يوم ١٣ من يوليو سنة ١٩٦٧ ، وانتقل من مكتبه فى ٢٣ منه ، الى احدى الاستراحات ، ولم يعد الى مكتبه الى أن أعفى من منصبه فى ٢٦ من أغسطس .

ومن المحقق فى هذا الصدد الاشارة الى أن الاكونيتين الذى وجد على جسد المشير يزيد على ١٥٠ مليجراما ، ولا يعرف مصير باقى الـ ٦٠٠ مليجرام التي سلمت الى صلاح نصر .

ولكن لماذا تحتفظ ادارة المخابرات العامة بهذه السموم . ولماذا يوجد بها قسم خاص بالســـموم بالذات . وفى اى غرض كانت تستعمل هذه السموم ؟

ان أقوال رجال المخابرات العامة لا تدع مجالا لأى شك فى أن هذه السموم اعدت واستعملت بالفعل للقتل .

فقد قرر مختار أحمد ذكرى رئيس قسم السموم انه كان يعمل في هذا القسم منذ سنة ١٩٥٩ ، وأن سمى الديجيتوكسين والاكونيتين استحضرا في سنة ١٩٦٣ من الخارج . وغالبا من المانيا او سويسرا ، وانهما « لايستخدمان الا كسم قاتل » . أما التحاليل وغيرها من البحوث العلمية فان ادارة المخابرات كانت تستعمل فيها سموما من انواع أخــرى . وقال في موضـــع آخــر « احنـــا محضرين السموم دى لا لأغراض علمية ، وانما لهدف القتل لمصلحة الدولة » وعاد وجيه محمد عبد الله مدير مكتب صلاح نصر فقرر « ان هذه السموم تستعمل في أغراض لمصلحة الدولة ، وبأوامر دائما من مستويات الدولة » ، « ان السموم هــذه وسيلة ضمن وسائل أخرى ، مما يمكن استعماله للتخلص ممن تقتضى مصلحة الدولة التخلص منـــه » .

وقرر محمد حلمى القاضى مدير ادارة البحوث أن وجيه عبد الله طلب منه بناء على امر المدير (صلاح نصر) « سما سريع المفعول » وأن هذه السموم تستخدم لأغراض المخابرات ، وقد تسلم لأى مندوب للقيام بعملية لمصلحة أمن الدولة ، وقد تستخدم ضد العملاء في الداخل أو في الخارج .

« أما السيد صلاح محمد نصر فقد وردت عبارته في هذا الخصوص بالصيغ الآتيـــة :

« اننى لا يمكننى أن أدلى الآن بأسماء السموم ، وأين استعملت ؟ واعترف بانه أنشأ قسما للسموم منذ سنين طويلة ، والغرض منه عمل تجارب على أنواع السموم التى قد تستخدم ضد الخونة من أعداء البلاد ، وإن ذكر أى أسرار أو اسماء الذين استعملت ضدهم

هذه السموم قد يضر المصلحة العليـا للدولة أو يمس كثيراً من المسئولين » .

واعترف « انى طلبت سموما كثيرة للاغراض التى ذكرتها » .

واعترف بالحرف الواحد فى التحقيق « اننى طلبت سموما كثيرة » للاغراض التى ذكرتها . وطلبت كميه من سيانور البوتاسيوم او سيانيد البوتاسيوم لأعمال لا استطيع ان افصح عنها .

وقال صلاح نصر بالحرف الواحد انه كان يعد هذه السموم ، ويسلمها بنفسه لبعض العمليات ، وكان يسلمها بنفسه للذين يقومون بسم الذين تقرر قتلهم .

ولما سئل صلاح نصر عن السبب فى انه لم يسلم المادة السامة التى ضبطت فى مكتبه قال : « السبب كان مسافر سويسرا وكنت غير مطمئن اليه » .

وقال : ان ذكر تفاصيل هذه العمليات قد يكشف عن أسرار خطيره !

وهكذا يهربون لى داخل السجن وثائق تثبت اجرام الذين ظلمونى! لو كنت خارج السجن لما استطعت ان احصل على مثل هذه الوثيقة !

ولكن الله يفعل من أجل المظلومين ما لا يخطر على بالهم !

وهنا تذكرت وانا أقرأ هذه الاعترافات كيف دسوا السم للدكتور انور المفتى الطبيب الخاص للرئيس جمال عبد الناصر .

* * *

هل سيجىء يوم يؤلف فيه مجلس الامة لجنة برلمانية للتحقيق وتسأل صلاح نصر من هم الذين قتلهم .. وكيف يجوز قتل انسان بغير محاكمة وبغير حكم ، ان الله وحده هو الذى يحيى ويميت ، فمن الذى أعطى الفرد سلطة الاله !

اننى مؤمن بأنه سيجىء يوم يكشف الله فيه عن كل هـذه الجرائم مهما احيطت بالسرية والكتمان !

* * *

تهريب صحف / وكتب الى داخل الزنزانة

ليمـان طـره

٢١ يوليو سنة ١٩٦٦

عـزيزتى

اننى العب الآن مع السلطة لعبة القط والفار ! انا الفار طبعا ! انهم يحاصروننى بالعيون والأرصاد . يتبعون خطواتى . قال الرئيس للمشير « انا اعرف مصطفى جيدا . انه لا يمكن ان يسكت ابدا .. لابد ان يفعل شيئا ! » .

ويظهر ان هذا الراى قاله الرئيس امام وزير الداخلية ، لأن الرقابة اشتدت على ، وهم يتصورون ان معنى كلمة « انه لابد ان يفعل شيئا » ان معنى ذلك اننى سأحاول الهرب ! وهكذا يحاولون حصار جسمى ! وهذا من حسن حظى ، فانا لا اريد ان اهرب ، كل ما احاوله هو ان اهرب افكارى وآرائى ! ما قيمة ان اكون فى السجن او خارج السجن اذا كانت افكارى محبوسة !

ولهذا فقد استفدت من اشاعة استعدادى للهرب . انها الدخان الأبيض الذى يخفى خلفه تحركات افكارى ورسائلى وقصصى ومقالاتى وكتبى !

وذات مساء دق جرس التليفون فى غرفة نوم العميد عبد الله عمارة مدير منطقة سجن ليمان طره . وكانت الساعة الثانية عشرة بعـد منتصف الليل .

وهب مدير السجون مذعورا من نومه . .

وصاح مدير مصلحة السجون فى هلع : أين مصطفى امين ؟

وأجاب مدير السجن فى دهشة : انه موجود فى زنزانته بالسجن .

قال مدير المصلحة فى حزم : لا . . انه غير موجود فى السجن . لقد وصل الى وزير الداخلية الآن تقرير خطير موثوق به يؤكد أن مصطفى أمين شوهد من دقائق فى شارع ٢٦ يوليو . . قم من فراشك وافتح السجن واذهب وتأكد بنفسك .

وقفز مدير الليمان من فراشه فى رعب ، وارتدى ملابسه العسكرية فى ثوان ، وانطلق الى ليمان طرة الذى يبعد عن بيته بحوالى عشرة أمتار ، هى عرض الشارع فقط . وكان باب السجن الذى يبعد ٣٠٠ متر مغلقا ومختوما بالشمع الأحمر ، ففض المدير الختم ، ودخل السجن ، ووصل الى العنبر رقم واحد ، وهو عنبر المسجونين السياسيين ومعهم عدد من المسجونين العاديين ، وصعد الى الطابق الرابع ، واتجه الى الزنزانة رقم ٩٨ ، ونظر المدير من نظارة الزنزانة فرآنى نائما فى فراشى أغط فى النوم .

ولم يرد المدير أن يوقظنى حتى لا تعرف فضيحة التقارير الكاذبة التى تصل الى وزير الداخلية !

وعاد مدير الليمان الى بيته وطلب مدير مصلحة السجون تليفونيا وقال له :

ـــ انني نظرت من نظارة الزنزانة ، ووجدت مصطفى أمين نائما مغطى ببطانية .

وساله مدير المصلحة فزعا : هل كلمته ؟

قال مدير الليمان : لا .

وعاد مدير مصلحة السجون يساله فى ذعر : ولم نكشف وجهه ؟

قال مدير الليمان : لا .

قال مدير المصلحة فزعا : وهل دخلت الزنزانة ؟

واجاب مدير الليمان : لم افتح الزنزانه ، وانما اكتفيت بالنظر داخل الزنزانة ، ووجدته مغطى بالبطانية .

فقال مدير المصلحة غاضبا : اذن الخبر الذى عند سيادة وزير الداخلية صحيح .

ان مصطفى امين خدعكم . الذى رأيته ليس مصطفى أمين هو عدد من الوسادات مغطى بالبطانية فقد شوهد فعلا فى شـــارع ٢٦ يوليو .

اجاب مدير الليمان فى دهشـة : مستحيل ! اننى رايت البطانية ترتفع وتنخفض ، وهذا يدل على ان هنـــاك انفاسا تتحرك لا وسادات !

قال المدير الذكى : لابد انه اتفق مع مسجون آخر ليحل مكانه ، او انه خدر احد الحراس ووضعه تحت البطانية .. هل احصيت عدد المسجونين ؟ هل احصيت عدد الحراس ولم نجد واحدا منهم

قد نقص ! اذهب مرة اخرى ، وافتح السجن ، وارفع البطانية ، وتأكد أن الذى تحتها هو مصطفى امين بلحمه وعظامه . ان وزير الداخلية يؤكد أن مصطفى أمين قد هرب و اننا نائمون !

وعاد العميد عبد الله عمارة مدير الليمان مرة اخرى الى السجن، وفتح عنبر واحد ، وصعد الى الطابق الرابع ، وفتح باب الزنزانة رقم ٩٨ ورفع البطانية ، ورآنى نائما ، آكل أرزا مع الملائكة !

وعاد مدير السجن الى بيته ، واتصل تليفونيا بمدير مصلحة السجون وأبلغه بشرى العثور على تحت البطانية .

وأبلغ مدير المصلحة البشرى الى وزير الداخلية .

ونام وزير الداخلية ، ونام نائب وزير الداخلية ، ونام كبار موظفى الداخلية ونام مدير مصلحة السجون !

وتصورت أن وزير الداخلية لن يصدق بعد ذلك التقارير السرية التى تصل اليه . ولكن بعد ذلك بشهور دق جرس التليفون فى غرفة نوم العميد عبد الله عمارة . وكانت الساعة الرابعة صباحا .

وصاح مدير السجون فى صوت مرتجف : اصح من نومك ! ان مصطفى امين يستعد الآن للهرب . وصلتنا معلومات مؤكدة بانه قام بنشر قضبان زنزانته ، وانه يستعد للهرب . وزير الداخلية علم أن طائرة ستهبط فى حوش الليمان ، وانها أعدت خصيصا للهرب به الى خارج مصر ..

قال العميد عبد الله عمارة : هذا كلام حشاشين .

قال مدير مصلحة السجون غاضبا : هذا كلام وزير الداخلية ..

ان معلوماته مؤكدة ووصلت اليه من داخل السجن ، ومطلوب منك ان تمسك مصطفى أمين وهو يهرب !

واسرع العميد عبد الله عمارة الى زنزانتى، وايقظنى من النوم ، وراح يشد فى قضبان الزنزانة ، ويمتحن بابها ، ويبحث فى كل مكان عن المنشار الذى هربته لأنشر به القضبان الحديدية !

ووجد مدير السجن أن القضبان الحديدية مثبتة بالأسمنت المسلح .. وانه لا يوجد فى الزنزانة أو فى الزنازين المجاورة اسلحة ولا منشار !

وعاد مدير السجن الى فراشه بعد ان طمأن مدير مصلحة السجون ، الذى طمأن وزير الداخلية الذى طمأن وزير الحربية حتى يلغى الأمر الذى أصدره بأن تهب الطائرات لمطاردة الطائرة التى خطفتنى !

وذات يوم جاء لوزير الداخلية تقرير سرى بأننى أخفى فى زنزانتى جهازا سريا متصلا بالخارج .

وقامت قوة من مباحث مصلحة السجون وهاجمت زنزانتى فلم تجد الجهاز المزعوم ! وكان العقيد زكى وهبه مأمور العنبر قد اكد لهم ان هذا كلام فارغ فأكدوا انها معلومات موثوق بها جدا !

وفى ظل هذا الرعب والفزع والأنباء الكاذبة استطعت ان اكتب الوف الخطابات ، وبعض القصص ، وبعض الكتب ، وان اتلقى يوميا عددا من الخطابات فيها كل ما يهمنى أن أعرفه وما لا ينشر فى الصحف وما يشطبه الرقيب !

وخطر ببالى خاطر غريب .. ان جميع الاستحكامات والاحتياطات وضعت لمقاومة هروبى من داخل السجن الى خارج الأسوار .

لماذا لا أفعل العكس ، واهرب رجلا من خارج السجن الى داخل زنزانتى !

اننى استطعت أن أكون من زملائى المسجونين نظاما يشبه نظام اخبار اليوم ، نظاما يفعل المستحيلات ، فلماذا لا أستعين بهذا الجهاز فى تهريب انسان الى داخل السجن !

واستعدت ذكرياتى .. تذكرت أن الانجليز أقاموا فى عام ١٩٤٢ معتقلا فى ضاحية الزيتون ، وأحاطوه بحراسة شديدة ، ووضعوا فى هذا المعتقل عددا من السياسيين من خصوم الانجليز وخصوم الوزارة القائمة فى تلك الأيام .

وكان بين المسجونين السياسيين فى هذا المعتقل أنور السادات والشيخ الباقورى وجلال الحمامصى ومحمد صبيح وموسى صبرى .

وخطر ببالى أن أهرب نفسى الى داخل المعتقل . واشتركت مع جلال الحمامصى فى وضع خطة الهروب .

وذات ليلة ، وفى أثناء عملية تغيير الحرس ، استطعت أن أدخل سرا الى المعتقل ، وأمضى وقتا طويلا مع المعتقلين السياسيين . وكنت فى تلك الأيام رئيسا لتحرير مجلة الاثنين ، ورئيسا لقسم الأخبار فى جريدة الأهرام .

ونجحت الخطة . وكررت المحاولة للمرة الثانية ونجحت أيضا .. فلماذا لا أكرر المحاولة فى ليمان طره .

وخطر ببالى ان اهرب الى زنزانتى محررا من تلاميذى فى أخبار اليوم ومصورا من تلاميذى . اننى كتبت الوف الخطابات أصف الزنزانة وحياتى فى الزنزانة . وكم من المرات قلت فى دروسى الصحفية ان التحقيق الصحفى يبقى ناقصا اذا خلا من الصور . فلماذا لا تلتقط صور لزنزانتى ولى فى ملابس السجن .

واخترت تلميذى رامت بطرس المحرر بأخبار اليوم ، واخترت أحمد عبد العزيز المصور بأخبار اليوم .

وتم وضع ترتيب مرورهما خلال كردونات متعددة من الحراس تبدأ من باب الليمان الى أن تصل الى زنزانتى فى الطابق الرابع من عنبر واحد !

وتم التقاط عشرات من الصور ..

وانصرف المحرر والمصور دون أن يشعر بهما أحد .

ثم بدأ يلعب فى عبى الفار ! انهما حصلا على نصر صحفى عالمى ، ماذا يحدث لو استبدت بهما شهوة النصر الصحفى فنشرا هذه الصور فى الصحف خارج مصر ! ان أحمد عبد العزيز قال انه لو نشر هذه الصور فى صحف العالم لباعها بعشرة آلاف جنيه .

لو حدث ذلك لانفضح الجهاز السرى الذى يعمل داخل السجن وخارجه ، والذى استطاع ان يهرب الوف الخطابات وعددا من القصص وبعض الكتب السياسية . واتفقت مع صديقين غير معروفين ، من خارج السجن ، وتنكرا فى زى ضباط المباحث العامة . وذهبا الى دار أخبار اليوم وقابلا المصور احمد عبد العزيز وانتزعا منه الأفلام ، واثارا الفزع فى قسم التصوير وقالا : لو ان احدا فتح

فمه وذكر ما حدث فسوف يجد نفسه مسجونا مع مصطفى أمين فى زنزانة واحدة .

وصدق مصور أخبار اليوم هذا التهديد واطبق فمه ولم يقل كلمة واحدة عما حدث .

ثم وقعت فى مشكلة .. اين أخفى هذا الفيلم الخطير ! ؟ وقررت أن أخفيه داخل السجن .. انه المكان الأمين الوحيد الذى لا تصل اليه حملات التفتيش ! !

ودفناه فى مكان مجهول فى حديقة العنبر .. وسوف يبقى مدفونا هنا .. الى أن يخرج معى الى الحرية !

فى يوم من الايام لابد أن تشرق الحرية .. ولابد ان تخرج اشياء كثيرة مدفونة تحت التراب .. احد هذه الأشياء هذا الفيلم .. والشىء الثانى المدفون هو الحقيقة .. والشىء الثالث هو .. انا !!

كلنا سنخرج من القبور !

بأمر الله !

فى هذا الـكتاب

صفحة

صفحة

كتب المؤلفة

أمريكا الضاحكة ـــ حياة طالب مصرى مفلس فى أمريكا .
الطبعة الأولى سنة ١٩٤٣ . الطبعة الثانية سنة ١٩٤٣.
الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٤ ا نفدت) .

فاطمـــــه
مثلتها بالسينما أم كلثوم وأنور وجدى سنة ١٩٤٧ .

عمالقة واقــزام
ساسة مصر وسياسة مصر قبل الثورة سنة ١٩٥١نفدت.

ليالى فاروق (جزءان) سنة ١٩٥٤ (نفدت) .
قصة حياة الملك السابق

معبودة الجماهير سنة ١٩٦١ (نفدت) .
مثلها بالسينما عبد الحليم حافظ وشادية

صاحبة الجلالة فى الزنزانة الطبعة الأولى ســنة ١٩٧٤ . الطبعة
الثانية سنة ١٩٧٤ ـــ الطبعة الثالثة ١٩٧٥
الصراع بين الصحافة والطغيان .

سنة أولى سجن
الطبعة الأولى سبتمبر ١٩٧٤
الطبعـــة الثانية ديسمبر ١٩٧٤.
الطبعة الثالثة ينــاير ١٩٧٥
الطبعـــة الرابعة فبراير ١٩٧٥
الطبعـــة الخامسة مـــايو ١٩٧٥

الكتاب الممنوع (جزءان) الطبعة الأولى ســـنة ١٩٧٤ . الطبعة
الثانية سنة ١٩٧٥ أسرار ثورة ١٩١٩

سنة أولى حب يناير ١٩٧٥.
لا تحت الطبع
ست الحســـن تحت الطبع
من واحد الى عشرة تحت الطبع

مطابع الأهـــرام التجـــارية

رقم الايداع بدار الكتب
٤٣١٦ / ١٩٧٥

الذين وضعوا مصطفى امين فى السجن ، واغلقوا عليه باب الزنزانة ، تصوروا انهم لوثوه وقيدوه وكمموه واخرسوه الى الأبد ، تصوروا انهم دفنوه حيا فى قبر محكم ، وهالوا عليه التراب . والموتى لا يتكلمون ! ..

ولكن أصدقاء مصطفى امين وتلاميذه خارج السجن ، وزملاؤه المسجونون السياسيون استطاعوا أن يجعلوه داخل الزنزانة أكثر اطلاعا عما يجرى فى البلد مما كان وهو رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم ! كانوا يهربون له الانباء والأسرار والوثائق عما يجرى فى الدولة . وهكذا كان يتابع يوميا الجرائم التى ترتكب والحقوق التى تغتصب والحريات التى تداس بالأقدام . كان هناك تنظيما تحت الأرض يهرب الى مصطفى كل يوم الرسائل الممنوعة والأنباء الممنوعة . وكان مصطفى يهرب لهم كل يوم رسائل عما يجرى فى داخل القبر الذى يعيش فيه .

وفى خطابات مصطفى امين السرية كل ما كان يجرى فوق الأرض وتحت الأرض . الصراع على السلطة . الخلافات بين القادة . قصص الارهاب والطغيان . دموع المسحوقين وضحكاتهم . المذابح التى كانت تجرى وراء الأسوار . كانت مهمته ان يهرب الى خارج السجن قصة كل مظلوم داخل الأسوار . كان يعتقد أن كل مظلوم هو مصطفى امين ، وان مصطفى امين هو كل مظلوم .

انها ليست قصة رجل واحد ، بل قصة كل مظلوم فى مصر . ماذا يحدث عندما يكون القانون فى اجازة . عندما تطفىء الانوار ويسود الظلام . عندما توضع الحقيقة فى الزنزانة ويحكم عليها بالسجن المؤبد . الرجال والنساء الذين كانوا يقومون بعمليات التهريب متحدين حراسة مشددة ورقابة رهيبة وعيون متلصصة وجو من الخوف والرعب ، كانوا يعرضون حياتهم وحرياتهم للخطر ، ولكنهم كانوا يقومون بعملية فدائية هى اخراج الحقيقة من الظلام الى النور ، من السجن الى الحرية ...



كتاب سنة أولى سجن طبع خمس مرات فى عام واحد .
سبتمبر ١٩٧٤ الطبعة الثانية فى ديسمبر ١٩٧٤ الطبعة الثالثة
الطبعة الرابعة فى فبراير ١٩٧٥ الطبعة الخامسة فى مايو ١٩٧٥
انه سجل أكبر رقم قياسى فى توزيع الكتاب السياسى فى الشرق
وهذا هو سنة ثانية سجن ..
وبعد كتاب « سنة ثانية سجن » سيصدر كتاب سنة ثالثة سجن !



مطابع الاهرام التجارية